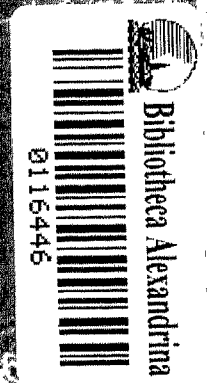


كتاب الاعتبار

لأشامة بن منقذ

وهو مؤيد الدولة أبو منظر أشامة بن مرشد الكنانة الشيرازي

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية



كِتَابُ الْأَعْتِبَارِ

لِإِسَامَةَ بْنِ مُنْقِدٍ

وهو مؤيد الدولة أبو مظفر أسامة بن مُرشد الكِنَاني الشَّيرَزي

مكتبة
General Origin

The Alexandria Library (GOAL)
www.goal.gov.eg

فيليب حبي، و.ف.

الهيئة العامة، ٢٠١١ - الإسكندرية
رقم التسجيل 956-92
رقم التسجيل ٥٤٩٩٦

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
المركز الرئيسي: ٥٢٦ شارع بورسعيد، القاهرة
فرع: ١٤ ميدان العتبة، القاهرة
تليفون: ٩٣٦٢٧٧-٩٤٢٦٢٠



ENTRANCE TO THE CASTLE OF SHAYZAR

View taken from east of the Castle, showing the remains of the Bridge and the Orontes encircling the Castle on almost three sides.

قلعة شيزر كما هي اليوم • آثار الجسر القديم طامرة على غاطس المائي

محتويات الكتاب

صفحة

١

مقدمة المحرّر

الباب الاول حروب واسفار

١	١ - قتال الافرنج
٤	٢ - أسامة في دمشق ١١٣٨ - ١١٤٤ م
٦	٣ - أسامة في مصر ١١٤٤ - ١١٥٤ م
٣٤	٤ - زيارة أسامة الثانية لدمشق ١١٥٤ - ١١٦٤ م
٣٦	٥ - معارك مع الافرنج ومع المسلمين
١٠٣	٦ - مكافحة الاسود وسائر الضواري
١١٣	٧ - اختبارات حربيّة
١٣٢	٨ - طبائع الافرنج و اخلاقهم
١٤٢	٩ - اختبارات وملاحظات

الباب الثاني

نكت ونوادير

١٧٠	١ - أخبار الصالحين
١٨١	٢ - الشفاء بطرق غريبة

الباب الثالث اخبار الصيد

١٩٢	١ - الصيد في سورية والجزيرة ومصر
١٩٩	٢ - والد أسامة صياداً
٢٢٧	آخر الكتاب
٢٢٩	الفهرس

صدر الكتاب
١١، ب ب
بين ص ١٦٦ و ١٦٧
آخر الكتاب

رسم قلعة شيزر
صحيفتان من المخطوطة
خريطة شيزر ونواحيها
خريطة سورية ومصر والعراق

مقدمة المحرر

في العام الذي تلا فيه البابا أوربانوس الثاني في كلارمونت خطابه المحسوب بحق وباعتبار نتائجه الصليبية أفعال خطاب في التاريخ، ولد لبني مُنقذ الأمراء في شيزر على العاصي (وذلك في ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٤٨٨ المقابل ٤ تموز ١٠٩٥) صبي أطلق عليه والداه اسماً تحلّى به في صدر الاسلام أول قائد عربي عهد إليه أمر فتح الشام (١)، وكان قد ورد في الرقم الحميمية السابقة للاسلام (٢) • ذلك هو أسامة بن مرشد بن علي بن مفلد ابن نصر بن مُنقذ مؤلف كتابنا هذا وبطل روايته

عاش أسامة شهماً فارساً وزهاً مجاهداً مقاتلاً ولعاً أديباً وشاعراً • تلهى صياداً وقضى الكثير من سنيه جواباً • نشأ على ضفاف العاصي بجوار حماه، وصرف معظم شبابه في البلاط الثوري بدمشق، وفي قصر الخليفة الفاطمي بالقاهرة، وغالب

(١) أسامة بن زيد بن حارثة

(٢) في متحف اللوفر بباريز حجر أتى به من صنعاء الرحالة بركهاردت عليه كتابة بالقلم المسند تضمنت اسم «أسامة بن عامر» • راجع M. Lidzbarski, *Ephemeris für Semitische Epigraphik* (غيسين ١٩٠٢) ج ١ ص ٢٢١

كتاب الاعتبار

سني كهولته في الدار الاتابكيَّة بالموصل وفي حصن كيفا على
دجلة

زار بيت المقدس في فلسطين، وحجَّ إلى الحرَّمين، وتنقَّل
بين معظم العواصم الاسلاميَّة من مدنيَّة ودينيَّة. عاشر نور
الدين، وتصيَّد مع زنكي، وصاحب الخليفة الحافظ وخلفه الظافر.
تعرف شخصيًّا بيوهمند وتكرد وفُلك من الاقرنج الصليبيين
وخصه قبيل وفاته بدمشق عن ٩٦ عاماً قمرياً صديقه صلاح الدين
الأيوبي بعطفه. آخى الاقرنج - ولا سيما الفرسان منهم - في
حين السلم وقاتلهم في حال الحرب، كما قاتل غيرهم من
الاسماعيليَّة وسائر العرب - فضلاً عن الأُسد والوحوش - وأخيراً
في اواخر ايام حياته دوّن لنا كل ما خبره بالذات، وعرفه من مصادره
الأصلية، في مذكّرات شائقة رائعة قلّ نظيرها - من حيث الأمانة
في النقل، والصدق في الرواية، والدقة في الملاحظة، والنكهة في
التعبير - في مجمل آداب اللغة العربيَّة

فحياة اُسامة اذن تمثّل لنا الفروسيَّة الاسلاميَّة العربيَّة على ما
ازدهرت في ربوع الشام في اواسط القرون الوسطى والتي بلغت
حدّها الكامل في صلاح الدين، وسيرته تتضمن موجز تاريخ البلاد
في القرن الثاني عشر - قرن التجريدات الصليبيَّة الثلاث الأولى،

مقدمة المحرّر

ومذكّراته الموسومة « كتاب الاعتبار » مرآة تتجلّى فيها المدينة الشاميّة في اجلى مظاهرها - وذلك ليس بحد ذاتها فقط بل بالمعارضة مع المدينة الافرنجيّة التي قامت الى جانبها ولو ان اُسامة عاش اليوم لكان بلا ريب عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربيّ، ولكان بيته «صالوناً» للدب بدمشق، ولراسل «الهلال» و «المقطّم» ولأكثر من العيش في الهواء الطليق يدرس طبائع الحيوان ويرقب نموّ النبات، ولنالت جياده العربية جوائز سبق في بيروت، ولكان بلا تردّد في أثناء الحرب العظمى ديّون فرقة من المتطوّعة تولّى قيادتها بنفسه

على بعد خمسة عشر ميلاً الى الشمال من حماه أكمة صخريّة منتصبة على ضفّة العاصي الغريّة يكلّتها حصن لم يزل قائماً لليوم معروفاً باسم «سيجر» تحريف «شيزر» • شيزر هو العرسح الذي تمثّلت عليه معظم الحوادث المدوّنة في الكتاب والتي جرت وقائعها في أيام اُسامة الفتى • الهضبة لتتوئها سمّاها مؤلفو العرب «عرف الديك» • نهر العاصي يلتف حول الأكمة من جهاتها الثلاث، فهي اذن شبه جزيرة بوضعيتها الجغرافيّة • غير ان الانسان اكمل عمل الطبيعة بحفره خندقاً في الصخر الواصل بين شبه الجزيرة والبر ممّا زاد في مناعة الحصن وفي تعدّد الوصول اليه •

كتاب الاعتبار

وشيزر اثنان: قسم واقع ضمن القلعة على الراية وهو «البلد»، وقسم قرب الجسر على العاصي وهو «المدينة» • وللقلعة ابواب ثلاثة اهمُّها يفتح نحو الجسر • وعلى الجسر حصن أُطلق عليه اسم «حصن الجسر»

اذا غزا غازِ البلاد السوريَّة من الشمال فامامه طريقان: طريق بحريَّة تمرُّ في اللاذقية فالساحل الفينيقيّ - وهي الطريق التي اختارها الاسكندر وكثير من الغزاة الاثوريّين، وطريق داخلية تماشي العاصي الى حماه فحمص ثم تعطف غرباً مع وادي النهر الكبير حتى البحر شمالي طرابلس، أو انها تستمرّ من حمص في سهل البقاع وتتصل اخيراً بالساحل الغربي جنوباً عند أقدام سلسلة لبنان • الطريق الثانية هي التي سلكها معظم الفاتحين المصريّين والبابليّين من مثل رعمسيس ونبوخذنصر وهي التي آثرها اكثر الصليبيّين • ولا بدّ لمن طرق هذه الطريق الثانية من الاجتياز بأفامية (قلعة المضيق) وباختها الجنوبيَّة شيزر المسلطنة على وادي العاصي • هذا ما يجعل لموقع شيزر خطورة حربيَّة

لشيزر اسم في رأس قائمة المُدن السوريَّة المتوغّلة في القدم • ذكرها طُثميس للمرّة الاولى بالهير وغلبيَّة نحو سنة ١٥٠٠ ق • م، في عرض وصف احدى حملاته من مصر، باسم «سِنزار»

مقدمة المحرّر

أو «سيزار» • وذكرها بعده خلفه البعيد عنحوتب الثاني (٣) •
ووردت بصيغة «زِنزار» في رقم تلّ العمارنه المساريّة •
وسأها اليونان الاقدمون «سِدْزارا» والبيزنطيّون «سيزِر» •
وفي اواخر القرن الرابع قبل المسيح أسكنها سلوقص الأول
مهاجرين من لارِسّا في ثاليا وغير اسمها الى «لارِسّا» • على
ان الاسم الساميّ الاصليّ ما لبث أن عاد فتغلّب وظهر بالعربية
في صيغة «شيزر» • وعلى هذه الصورة ورد الاسم في بيت قديم
لامرئ القيس:

تقطع أسباب اللبنة والهوى
عشيّة رُحنا من حماة وشيزرا

وفي آخر لعبيدالله بن قيس الرقيّات؛

فواحرزنا إذ فارقونا وجاوروا

سوى قومهم أعلى حماة وشيزرا (٤)

أمّا مؤرخو الافرنج الصليبيّون فاطلقوا عليها اسم "Caesarea"

– قيصريّة • واحياناً قيصريّة العاصي للتمييز

فتح العرب شيزر عام ١٧ (٦٣٨) فيما فتحوا من المدن الشامية،

(٣) J. H. Breasted, *Ancient Records of Egypt* (شيكاغو ١٩٠٦) ج ٢

فقرة ٥٨٤ و ٣١٤

(٤) ياقوت «معجم البلدان» (لبزغ ١٨٦٨) ٣: ٣٥٣

كتاب الاعتبار

وذلك عقب الاستيلاء على حصن وحماه بقيادة ابي عبيدة ابن الجراح، فتلقاه اهل شيزر «يكفرون ومعهم المقلسون، ورضوا بسئ ما رضي به اهل حماة» (٥). انما البلدة لأهمية موقعها الجغرافي، وباعتبار كونها مفتاح سوريّة الداخله، بقيت مطمح أبصار البيزنطيين الذين استخلصوها مراراً من ايدي العرب وخسروها، الى ان اخضعها الامبراطور باسيل الثاني سنة ٩٩٩ وبقيت بيد الروم حتى عام ١٠٨١ وهو العام الذي استرجعها فيه عزّ الدولة سديد المُلْك ابو الحسن عليّ، جدّ اُسامة، من أيدي الامبراطور الكسيس كومنينوس

وكان صالح المرّ داسي، صاحب حلب، قد منح الأُمراء المنقذين من بني كِنانة عام ١٠٢٥ اقطاعاً في جوار شيزر. فتمكّن أحدهم الأُمراء، مقلّد، من الاستيلاء على كفرطاب سنة ١٠٤١. وجاء بعده خلفه أبر المتوج مقلّد بن نصر الذي بسط سلطته الى العاصي وبنى حصن الجسر عند قدمي شيزر ليقطع عنها المدد. ولكنّ البلدة بقيت بيد البيزنطيين الى أيام سديد المُلْك. فسديد المُلْك اذن هو مؤسس الدولة المنقديّة بشيزر. ولدن وفاته عام

(٥) اللاذري «فوح اللدان» (لیدن ١٨٦٦) ص ١٣١

مقدمة المحرّر

١٠٨١ عقبه ابنه عزّ الدولة ابو المرهف نصر (٦)، وهو مع
اشتهاره بالورع وحبّ السلام تولّى السى حين، وفيما سوى شيزر،
أفامية وكفرطاب واللاذقية

توفي ابو المرهف بلاعقب عام ١٠٩٨، فتحدّرت الإمارة من
بعده السى أخيه الاصغر مجد الدين أبي سلامة مرشد (١٠٦٨ -
١١٣٧) والد مؤلف كتابنا أسامة. ولكن مجد الدين شُغف
بالصيد ونسخ القرآن أكثر من السياسة، فتنازل عن السيادة لأخيه
الاصغر عزّ الدين ابى العساكر سلطان مردّدا «والله، لا وليتها»
ولأخرجنّ من الدنيا كما دخلتها» (٧)

في أثناء إمارة سلطان، عمّ أسامة، كانت شيزر عرضة لغزوات
متتابعة من بني كلاب في حلب، ومن الاسماعيلية (الحشاشين)،
ومن الروم البيزنطيين، ومن الافرنج الصليبيين. رشقها
الامبراطور جان كومينوس عام ١١٣٨ بالمنجنق عشرة أيام
متوالية. وحاول الافرنج تكراراً الاستيلاء عليها، ولكن على غير
جدوى. مناعتها الطبيعية، وحصونها المتينة، وزعامتها المنقذية
أنقذتها كل مرّة من السقوط

(٦) فصل ذلك كله اس الاثير «كامل التواريخ» في *Recueil des historiens*

des croisades historiens orientaux (پاریز ١٨٧٢) ٥٠٤٠١

(٧) ابو نامة «كتاب الرّوضتين نسي أخبار الدولتين» (مصر ١٢٨٨) ١: ١١١ -

١١٢. وابن الأثر في *Recueil* ١ ٥٠٤

كتاب الاعتبار

وفي خلال اِ مارة سلطان جرت أكثر الحوادث التي دَوَّنها
اُسامة في مذكَراته، وهو شاهد عيان لها، فخلد وقائعها وجعلها
ارثاً لنا. ومع ان اُسامة كان احد اخوة اربعة، هو ثانيهم، فان
عمّه سلطاناً، الذي لم يكن له أولاً ولد ذكر، استخض اُسامة
بعطفه ورعايته، ودرّبه على الفنون الحربيّة، وكان يمتحن بالسؤال
حضور ذهنه في ساعة القتال (ادناه ص ١٠٠) . وعلى الجملة انشأه
تنشئة من يريد ان يجعل منه خلفاً له . وكثيرة كانت المهمّات
الشخصيّة التي عهد سلطان بها لابن أخيه، من مثل رفقة زوجة
عمّه واولاده من شيزر في أيام الحرّ الى مصياث (أدناه ص ١٤٨) .
أما بعد أن رُزق العمّ ولداً يخلفه فوجهة نظره نحو ابن أخيه
تغيّرت، والحسد اخذ يعمل عمله فيه، ممّا جعل اُسامة الشاب يغادر
شيزر موقتاً عام ١١٢٩، ونهائياً بعد وفاة والده اخي سلطان في ٣٠
أيار سنة ١١٣٧ . وكانت جدّة اُسامة (٨) لأبيه قد حدّرتة مرّة
من عمّه، وقد رأت حفيدها داخلًا البلدة مساءً ويده راس أسد ضخم
كان قد اصطاده، فأسدته النصّح بشأن تأثير عمل كهذا في نفس
عمّه بفولها «ما يقرّ بك هذا منه، وانه يزيدك منه بعداً ويزيده
منك وحشة ونفوراً» (ادناه ص ١٢٦) . وبرغم ذلك فـ «كتاب

(٨) والدة اسامة في ابن الانير «تاريخ الدولة الأتابكيّة» في *Recueil* (باريز
١٨٨٧) ح ٢ جز ٢ ص ٢٠٠

مقدمة المحرّر

الاعتبار» (ص ٧١) يحفظ لنا نكتة تمثّل شهامة سلطان * وخلصتها ان امرأة كان قد تزوّجها سلطان وطلّقها فوَقعت اسيرة في يد الافرنج، ففكّ للحال أسرها وسلّمها لاهلها قائلاً «ما أدع امرأة تزوّجتها وانكشفت عليّ في أسر الافرنج»

تُوفي سلطان حوالى عام ١١٥٤ فخلفه ابنه تاج الدولة ناصر الدين محمد، وهو آخر الأُمراء المنقذين * في أيّامه تمثّلت على مسرح شيزر مأساة مفرّجة قضت على بني منقذ بأسرهم * بمناسبة اختتان ولد لتاج الدولة أولم الوالد وليمة حضرها جميع آله، وفي اثنائها حدث الزلزال الشهير عام ٥٥٢ (١١٥٧) الذي «هلك فيه ما لا يُحصى» والذي خرّب «بالمرّة حماة وشيزر وكفرطاب والمعرة وحمص وحصن الاكراد» (٩) «ولم ينجُ من بني منقذ أحد» (١٠) سوى زوجة تاج الدولة التي انتشلت من تحت الردم * الا ان نور الدين، صاحب دمشق، عاد فعمرّ شيزر

التأثير الاكبر في نفسيّة أسامة كان لعمّه سلطان، وبعده لوالده صورة الوالد التي أبقاها لنا أسامة في مذكّراته تمثّله لنا رجل تقوى وسلام لا تهتمُّ شؤون هذا العالم الفاني، يفرغ «زمانه لتلاوة

(٩) اس الأثير في Recueil ٥٠٣:١

(١٠) اصاً ٥٠٥٠١ - ٥٠٦

كتاب الاعتبار

القرآن والصيام والصيد في نهاره، وفي الليل ينسخ كتاب الله» (ادناه ص ١٩٨) • وهذا يجب ألا يفهم منه انه كان متقاعدًا جبانًا • ففي غير مكان يذكر اُسامة أن والده لم يكن «له شغل سوى الحرب وجهاد الافرنج ونسخ كتاب الله» (ادناه ص ١٩١) • ثم يقتبس عنه عبارة قالها لماً حذّره ولده في معركة: «يا ولدي في طالعي انني لا ارتاع» (ادناه ص ٥٦)

ولنستشهد الآن ببعض الوقائع الدالّة على نوع التربية التي تربيّاها اُسامة في ظلّ والده وعمه، وسرّها كلها متضمّن في تصريح اُسامة «ما رأيت الوالد، رحمه الله، نهاني عن قتال ولا ركوب خطر، مع ما كان يرى فيّ وأرى من اِشفاقه واِثاره لي» (ادناه ص ١٠٣) • اُسامة، وهو دون العاشرة، يطعن خادمه طعنة نجية قاضية دون ان يستوجب سخط والده (ادناه ص ١٤٥) • يباشر القتال وهو حدث يافع فيذكر كيف انه في اول قتال حضره حمل على افرنجيّ طعنه فخرج من السرج لخفة جسمه وقوة الطعنة (ادناه ص ٤١) • يرى حيّة، وهو صبيّ، على حائط الدار فيتسلّق اليها ويأخذ يحزّ رأسها بسكّينه الصغير، وهي تلتفّ على يده، وابوه يراه ولا ينهاه (ادناه ص ١٠٣) • تعود رهائن من افرنج وأرمن كانت في شيزر الى بلدها فتقع في أيدي صاحب حمص،

مقدمة المحرّر

الاحلام آمن بها ووضع فيها كتاباً خاصاً (ادناه ص ١٨٦)
من أمتع فصول الكتاب وأطلاها فصل حثّل فيه أسامة الأثر
الذي أثّره في نفسه - وهو المسلم المحافظ - الأفرنج الصليبيون .
ملاحظات ابن جبير واقوال ابن الاثير لها أهميتها . ولكنها لا
توازي اهمية هذا الفصل المبني على اختبارات شخصية عديدة .
الأفرنج - في نظر المؤلف - لهم شجاعتهم، ولكنهم خالون من
«الغيرة» الجنسية (ادناه ص ١٣٥) . طبّهم ساذج جاهل بالمعارضة
مع الطب العربيّ على ما مثله ثابت (ادناه ص ١٣٢ - ١٣٣) وابن
بطلان النصرانيّان (ادناه ١٨٣ - ١٨٥) . محاکماتهم غيبة غريبة
(ادناه ص ١٣٨ - ١٤٠) . «من هو قريب العهد بالبلاد الأفرنجية
أجفى أخلاقاً من الذين قد تبلّدوا وعاشروا المسلمين» (ادناه ص
١٣٤) . الكاتب لم يرضَ عليهم بلقب شياطين (ادناه ص ١١٨ س
٢١ وص ١٢٨ س ١٤) و «كافرين» (ص ١٢٨ س ١٤ وص ١٣٥ س
١٤) ولم يتردّد في استنزال لعنة الله عليهم (ص ١٣٩ س ١٤ وص
١٤٠ س ١) عملاً بسنة كتاب ذلك اليوم، وفي الدّعاء الى الله
تعالى كي «يطهر الدنيا منهم» (ص ١٣١ س ٥) . لذلك يلذّ لنا
ان نسمع صديقاً أفرنجياً يدعو أسامة «يا اخي» (ص ١٣٢ س ٩)
ويرجوه ان يسمح لابنه مرهف ان يرافقه الى بلاد الأفرنج، وان

كتاب الاعتبار

نرى اُسامة يدعو الفرسان الداويَّة (Templars) «أصدقائي» (ص ١٣٤ س ٢٠)، ونرى هؤلاء يُخلون له في المسجد الاقصى مكاناً صغيراً يصلِّي فيه اذا زار بيت المقدس

وفي الكتاب فضلاً عن ذلك اشارات وفيرة تنير لنا احوال البلاد الشامية لذلك العهد من زراعية واجتماعية، وتعرض أمام بصائرنا الواناشتي من صور الحياة السورية العربية • القطن كان من غلَّة كفرطاب (ص ١٥١ س ١٦)، غايات شمالي البلاد الكنيفة كانت غنيَّة بالأَسود والنمور والغزلان وحُمُر الوحش (ص ١٠٥ - ١١٢ و ١٩٢ - ١٩٣)، جلاء العروس (ص ١٨٠ س ٢) - على ما هو متَّبَع لليوم في لبنان - كان عادة مرعيَّة في القرن الثاني عشر، استتجار نَدَابَات تندب في المآتم (١١٥ س ١٢) كان معروفاً يومئذٍ كما هو معروف اليوم

آخر فصول الكتاب (ص ١٩٠ فما بعد) يتناول مسألة الصيد على ما مارسه أبناء ذلك الزمان بالبازي والصقرو بمعونة الكلاب، وذلك على شواطئ دجلة والفرات والعاصي والنيل • حتى صيد السمك بالطُّرُق العتيقة الساذجة لم يفت اُسامة فانه وصفها (ادناه ص ٢١٧ - ٢١٨) كأنك ترى العملية بعينيك

مخطوطة «كتاب الاعتبار» هي وحيدة لا أخت لها، على ما

مقدمة المحرّر

نعلم، محفوظة في مكتبة الاسكوريال باسبانيا . وهي ٦٧ ورقة، ولكنها مخرومة الأول حيث ضاع منها ٢١ ورقة، فيكون أصلها ٨٨ ورقة . المخطوطة مكتوبة بالحبر الاسود بالخط الشامي الذي يرتقي الى القرن الثالث عشر . فهي اذن من أقدم المخطوطات العربية التي اتصلت بنا

في خاتمة المخطوطة ما نصّه:

وكان في آخر الكتاب ما مثاله:

قرأت هذا الكتاب من أوله الى آخره في عدة مجالس على مولاي جدي
الامير الاجل العالم الفاضل الصدر الكامل عضد الدين، جلس
الملوك والسلاطين، حجة العرب خالصة امير المؤمنين، آدم
الله سعاده . وسألته ان يجيزني روايته عنه .
فاجابني الى ذلك . وسطر خطه الكريم .
وذلك في يوم الخميس ثالث عشر صفر
سنة عشر (٣٩) وستباية .
صحيح ذلك . وكتب
جده مرهف بن
أسامة بن
منقذ
حامدأ
ومصلياً

التاريخ اعلاه، ١٣ صفر سنة ٦١٠ (٤ تموز سنة ١٢١٣) هو ليس
تاريخ مخطوطتنا هذه - كما وهم درنبرغ (٤٠) - بل تاريخ

(٣٩) «عسره» في الاصل . قابل ادناه من ٢٢٦

(٤٠) في المقدمة الافرنسية ص ١٠ التي قدّم بها طبعة «كتاب الاعتبار»

فيشكوه فكل من هو من العهد بالبلاد الافرنجية احفظ لظافا من الذين قتلوا
 وعاسروا المسلمين في حفا الخلفاء فمهم الله اسي كنت اذ اربنت المسلمون
 دخلت الى المسجد الاقصى وفي حانته مسجد صغير مدخله الافرنجية كسبه فكتب احفظ
 المسجد الاقصى وفيه الدواوير وهم اصداق يملكون لك المسجد الصغير اصله من
 يومها فكريت وروفت الصلاة في حيا على واحد من الافرنجيين وروحي الى الشرق
 وقال كذا صلي بسا دار له يوم من الالوه اخذوه اخذوه عني وعلت انا الى
 الصلاة فاعتقلهم وعاد بهم على نك لعنه ورد وحي الى الشرق وقال هذا
 صلي معا الدواوير دخلوا اليه واخرجوه واعدروا اليه والواهد اعرب وصل
 من بلاد اذربيج في يد الامام وما راى من صلي بالاعراب في تلك الصلاة
 محرجت كسبهم ذلك الشيطان وبعبر وجره وروفت وما الحفد من رطل الصلاة
 الى القنله ٥ ورايتهم واصلهم جاء الى الامير معبر الذين من حلاله
 وهو في الصيرة فقال يريد مصر الله صغير قال نعم تسمى سيرا سحا او انا صوره
 من موم والسبح عليه السلم صغيرة جربها فقال هذا الله صغير تعالى الله عما
 سواها الفوق علوا كبيرا وليس عديم سى من الصيرة والغرة يكون الرجل منهم مسمى موم
 وامرانه طفاه رجل اخرنا حرد المراه وبعتر له بها وسجدت معها والروح
 واقف ناحيه بنظر فراغها من الحرس فلذا طولت عليه خلاها مع الحارب وحي
 وما شاهدت من اللاتي كت اذا حنتها باللس ايرك دار رطل
 قال له مغردان عمار المسلمين لها طار يصح الى الطربو وما نلها من حاسب
 الطربو لاخر دار رجل افرنجى بيع الحمر للبحار با حرد من موم من السد وما دى عليه
 وبعولك فلان الماحر فدمع بنته فزهد الحمر مراد بها ساقوه في موضع لها
 وللا واجر به عذابه السد الذي في تلك القفده حجابونا ووجدت
 مع امرانه في العرائش فقال له اي شي ادخلك الى عدا ماى قال له تعان
 دخلت اسمرج قال وكنت دخلت الى فراسي قال ووجدت فراسا مفروشا
 محب فيه حال والمراه ما معه معك قال العرائش لها كتب ادر امة ما من اشها

Facsimile of Folio 41B of "Kitāb-al-'Itibār" MS in the Escurial

صحيفة ٤١ قفا منقولة عن مخطوطة «كتاب الاعتبار» المحفوظة في مكتبة الاسكوريال باسبانيا

مقدمة المبحر

قال وحدثني عن عبد بن علي عن ابي بصير عن ابي بصير عن ابي بصير عن ابي بصير عن ابي بصير
 ومن ذلك انه كان عبد بن علي عن ابي بصير عن ابي بصير عن ابي بصير عن ابي بصير عن ابي بصير
 رحمه الله قال سمعت ابا بصير عن ابي بصير عن ابي بصير عن ابي بصير عن ابي بصير
 سكون علي بن ابي بصير عن ابي بصير عن ابي بصير عن ابي بصير عن ابي بصير
 زمانه فرائي وانا فرستهم بجلن علي بن ابي بصير عن ابي بصير عن ابي بصير
 سالم بن ابي بصير عن ابي بصير عن ابي بصير عن ابي بصير عن ابي بصير
 بذلك الموضوع فلقته فريده عليه فاستوطاه فقال سالم بن ابي بصير
 للامام والامام يسألهم الست اعني امرائه وقال الصادق له قل للامام في بعض العلام
 احصها وادخلها فاسئلت علي بن ابي بصير وقال ابي بصير انك تعلم انك تعلم ذلك السعير
 ودرجها فاعد بيظري منكري ووهي حوت حيتي فانظر واليه هذا الاختلاف
 العظيم ما فهم غيره ولا يحوه وفيه النجاعة العظيمه وما يكون السجاده الا
 من العوه والاعده من سوا الاخره ^{هـ} وما توارس ^{هـ} هذا الذي انما
 دخل الحام بمدنه صور فجلس في حلقه فيها فقال لي بعض علماني في الحام امره
 طارح فجلس علي الحاصطه كواذا التي كانت في الحام فدرج ووهي معالي قد
 ليست ثابها وهي افعه مع انها ولم اخرجوا منها امره فلبت لوانظر اصحابي
 بالله انصره امره هي وانا انصر ان يسأل عنها فمضي فلما رآه رجع ذليلها
 وطلع منها فالتفت الي ابونا وقال هذه التي ساءت امرها وما لها من عسل راسها
 فادخلها معي الحام عسلت راسها فلبت جد على هذا الكره ثوابي
 ومن عجيب طيرهم ما حدثنا به كيام دنور صاحب طيره وكان مقدما
 فيهم وانفقوا في رافق الامير معز الذي رحمه الله من عكا الى طيره وانا فمضي بها في الطير
 قال كان عندنا في بلاد فارس شهر العذر فرض اشرف على المودعينا التي تسمى كور
 مسومنا فلما نحن معنا حتى بمصر الفارس فلان قال نعم ووهي معنا ونحن مع من له
 ادخلته عليه عوني فلما رآه قال اعطوني سمع فاحصنا له دليل فسمع
 فلتنه وعله مثل عمد الاصبع وعمل كل واحد في حاسه نفسه فادخلنا فارس

Facsimile of Folio 42A of "Kitāb-al-Itbār" MS in the Escorial

صفحة ٤٢ وجه معوله عن مخطوطه « كتاب الاعتبار » المخطوطه في مكتبة الاسكوريال باسبانيا

باب

كتاب الاعتبار

الأُمّ التي نُسخَتْ عنها . نسختنا اذن غير مؤرَّخة، ولكنها منقولة عن مخطوط كُتِبَ بعد وفاة المؤلف (أُسامة) بست وعشرين سنة قمرية وعليه اجازة من مرهف ابن أسامة المحبوب ممهورة بامضائه

المخطوطة هذه نشرها الاستاذ هارتوغ درنبورغ بالطبع (ليدن ١٨٨٤) * وهي التي نحن الآن ننشرها نقلاً عن الصورة الفوتوغرافية التي استحصلناها من الاسكوريال بمساعي السفارة الاميركية في مدريد

مخطوطتنا هذه حافلة بالاغلاط النحوية الصرفية التي لا يمكن ان يكون مؤلفها - واضع كتاب في البديع وصاحب ديوان - قد ارتكبها . وهي فضلاً عن ذلك مشبعة بالعبارات العامية (ولاسيما في الجمل المقتبسة والمحكية)، مما يدل على ان المؤلف وهو شيخ ضعيف أملى كتابه شفاهاً وان ايدي الناسخ او النساخ عبت به واليك امثلة من آثار عدم العناية في النسخ: «دثنى» «دشن» (ص ٥٢ س ١ - ٢) - «موز» «موزا» (ص ٧٢ س ١٤ - ١٥) - «الرَّحَى» «الرحا» (ص ١٠٥ س ١١ و ١٢) - «قاسم» «قسيم» (ص ١٧٠ س ١٧ و ص ١٧٢ س ١٣) - الى آخر ما هنالك من الكلمات التي وردت بصورتين او اكثر في سطر واحد أو في صفحة واحدة

تت

مقدمة المحرّر

اما استعمال العبارات العامية فهو فضلاً عن دلالة على سلامة ذوق اُسامة في الانشاء - اذ ان ثمة الكثير من الحقائق البعيدة الغور في طبيعة الانسان واختباره لا يسهل التعبير عنها في الأدب العالي وجلته اصطناعي بل في النسق «الدارج» الأقرب اتصالاً بمصادر الحياة ونواحيها - فأمره يهمننا من وجهة اخرى • مقابلة هذه الاصطلاحات مع ما يماثلها في لغتنا العامية اليوم فيه درس هامّ في تطوّر اللغة العربية المحكيّة • وهالك امثلة من اُسامة:

(ا) «أيش [أي شيء] انتسم؟» (ص ١٢ س ٦) - «ما في [لا يقدر] هذا يسرق رغيف خبز» (ص ٤٥ س ٨ - ٩) - «تموا [ما زالوا] يطردونهم» (ص ٥١ س ٢) - «خفت لا [لثلا] يكون» (ص ٦٤ س ٧ و ١٥) - «طلّع [تطلّع] تحتها» (ص ٢١٤ س ١٦) - «حمدت الله سبحانه الذي [التي - في العامية] ما ناله ضرر» (ص ٦٣ س ٧)

(ب) استعمال صيغة الجمع العاقل إما لا يعقل: «الكلاب نطعمهم [نطعمها] من عيشنا» (ص ١٢ س ١٤)

(ج) استعمال المثنى المنسوب في حالة الرفع: «ديواني كل شهر دينارين [ديناران]» (ص ٧٥ س ١٦) - «وفيه خرنقيين [خرنقان]» (ص ١٩٦ س ١٤)

كتاب الاعتبار

(د) ارجاع ضمير الجمع او المفرد الى اسم مثنى: «اطرهم
[[اطرهما]]» (ص ١٩٦ س ١٤) - «يست رجلاي ودقت
[[ودقتا]]» (ص ١٧٧ س ١١) - «فخرج فارسان ٠٠٠ فصادفوا
[[فصادفا]] رجلاً ٠٠٠ فاخذوه [[فاخذاه]]» (ص ٦٣ س ١٦)
(ه) لغة اكلوني البراغيث: «فاقتطعوهم [[فاقتطعهم]] الروم»
(ص ٩٢ س ١٨)

(و) الميل لاهمال الهزمة او لتحويلها ياءً: «الحيط [[الحائط]]»
(ص ٧٤ س ١٠) - «خبَّيته [[خبَّانته]]» (ص ٤٦ س ٣) - «غاروا
[[أغاروا]]» (ص ٥٨ س ١٥) - «[[اسل]] [[اسأل]]» (ص ٨٧ س ٩)
(ز) ادغام الحرفين المتجانسين واقحام ياء بعدهما: «دلَّيت
[[دللت]] الحرامية» (ص ١٣٨ س ١٧) - «شقيته [[شققته]]» (ص
١٤٧ س ١١)

(ح) الاشباع: «روح [[رُح]]» (ص ١٢٤ س ٦)
وفي نسق الكاتب ظاهرة غريبة، ميله لاستعمال صيغة المؤنث:
«مغار معلّقة» (ص ٧٠ س ١٩) - «عقرب صغيرة» (ص ١٠٩ س
٨) - «حجر ثانية» (ص ١١٤ س ١٤) - «الأرنب دخلت» (ص
١٩٢ س ١٨) - «سكيناً صغيرة» (ص ١٠٣ س ١٧) - «طارات
الحجل» (ص ٢٠٠ س ١٦)

مقدمة المحرّر

وللمخطوطة من حيث الخطّ ميزات منها أنها انتهت إلنا خلواً من حر كات الاعراب، ومن علامات الوقف، ومن اكثر نقط الحروف بحيث يصعب احياناً التمييز بين الفاعل والمفعول، وبين المعلوم والمجهول، وبين نهاية الجملة الواحدة وبداية الأخرى . خذُ مثالاً على ذلك لفظة «عدل» التي وردت في قصة نمر جاء به أحد الحلبيين الى صاحب القدموس . فان درنبورغ، على ما يظهر، قرأها «عدل» (طبعة درنبورغ ص ٨٣) وترجمها (٤١) "la séance" ، وهي في الحقيقة «عدُل» (ادناه ص ١١١ س ٤١) بمعنى كيس . ولقد ورد في قصة بعض قطعاً عي الطرق كلمة «سهم» فقرأها درنبورغ «تسبقهم» (ص ٥٤)، وقرأها لاندبرغ (٤٢) «تسبقهم»، وقرأها كاتب هذه الأسطر «يشقهم» (ادناه ص ٧٢ س ٢٠) . بين «السبق» و «الشق» بالتهجئة فرق متضمن في بعض نقط، ولكنه بالفعل فرق عظيم . في المخطوطة اسم علم ورد على هذه الصورة «حرار» (ادناه ص ١٢٤ س ١) فهو: جرّار، جزّار، جزّاز، حرّار، حرّاز، حرّاز، حرّاز، خرّاز، خزّار، خزّاز - عشر قراءات فقط لا غير وكلها واردة اسما اعلام في

(٤١) *Autobiographie d'Ousāma* (باريز ١٨٩٥) ص ١١٠

(٤٢) C. de Landberg, *Critica Arabica* (ليدن ١٨٦٦) جز ٢٠ ص ٢٦

كتاب الاعتبار

الذهبي(٤٣) فاخترُ لك منها ما يحلو

عدم وجود احرف هجاء كبيرة لتمييز العلم عن النكرة، كما هي الحال في اللغات الاوربية، يؤدي أحياناً للاشتباه في اللغة العربية ° ففي صفحة ٥٠ سطر ١٦ (ادناه) و صفحة ٢٠٦ سطر ١٤ وردت «العلاة» وهي اسم بلدة في سورية الشمالية فحسبها درنبورغ (ص ٣٧ و ١٥٢) نكرة وترجمها "la ville haute" (٤٤) ° أما «قرية خربة» (ادناه ص ٨١ س ٧) فحسبها علماً (٤٥)

ارجاع الضير من معضلات العربية ° والاشكال فيه جعل درنبوغ مرآة يحسب ان المطعون طار من السرج الى رقبة الحصان(٤٦)، والحال انه الطاعن (ادناه ص ٦٣ س ٥)، وأخرى ان الجرائحي نشر ساق المريض(٤٧)، والظاهر ان المريض هو الذي نشر ساق نفسه (ادناه ص ١٤٦ س ٧)، وثالثة ان الجريح أنغشي عليه(٤٨) والحال ان الغلام الشاهد هو الذي أنغشي عليه (ادناه ص ١٤٥ س ١٨)

(٤٣) «المشبه» (ليدن ١٨٦٣) ٩٧ - ١٠٠

(٤٤) Autobiographie ص ٥٠

(٤٥) ابضاً ص ٨١

(٤٦) ابضاً ص ٦٣

(٤٧) ابضاً ص ١٤٢

(٤٨) ابضاً ص ١٤٢

مقدمة البحر

ليس فسي مصطلحات العربية علامات للاقتباس تضمنّ الجمل المحكية • وهذا ما جعل درنبورغ (٤٩) يعتبر الجملة الاخيرة من خطاب اُسامة لرجالة عسقلان داخلة في ذلك الخطاب، مع انها ليست جزءاً منه (ادناه ص ١٦ س ٧) • لمّا مثل اُسامة بين يدَي الملك الافرنجي فأعرب له هذا عن فرحه به لأنّه فارس عظيم أجاب اُسامة (ادناه ص ٦٥ س ١٤ - ١٥) «انا فارس من جنسي وقومي» • وورد على اثر ذلك في الاصل «واذا كان الفارس دقيقاً طويلاً كان اعجب لهم» • فدرنبورغ (٥٠) ضمّن هذه العبارة الثانية في الاقتباس وجعل اُسامة بالاستنتاج دقيقاً طويلاً، والذي يلوح لي ان العبارة الثانية غير داخلة في الاقتباس والضمير فيها يعود للافرنج، فيكون اُسامة سميناً قصيراً

لم يكن اُسامة يحسن غير اللغة العربية • فهو يقول عن الافرنج «انهم لا يتكلمون الا بالافرنجي ما ندرى ما يقولون» (ادناه ص ٦٦ س ٨) • وفي مكان آخر (ادناه ص ١٤٠ س ٢١ - ٢٢) يشير الى امرأة افرنجية «تبربرلسانهم وما ندرى ما تقول» • ثم يذكر ان رفيقه الغرسياني «التفت الى غلام له كلمه بالتركي ولا ادري ما يقول» (ادناه ص ١٠٠ س ٩ - ١٠)، وفي غير موضع يقول «وهم

(٤٩) *Autobiographie* ص ١٤ س ٣٨

(٥٠) ايضاً ص ٦٦

كتاب الاعتبار

يتكلمون بالتركي ولا أدري ما يقولون» (ص ١٥١ س ٧) * على
ان ذلك كله لم يمنعه من استعمال كلمات افرنجية كـ «سرجندي»
(ص ٢٥ س ١٥) و «سرجند» (ص ٦٧ س ٦) (sergeant)
- «تركبولي» (ص ٥١ س ١) (Turcopole) - «برجاسي» (ص
١٤١ س ٣) (bourgeoisie) - «البسكند» (ص ١٣٩ س ٤) (viscount)
- «الداما» (ص ١٣٦ س ٢٠) (Madame) - «البرونس» (ص
١١٩ س ١) (prince)

والذي يهمننا اكثر من ذلك استعماله طائفة من الكلمات الفارسية
والتركية واليونانية التي كانت صقلتها ألسن متكلمي العربية
وألقنها آذانهم * ومما يجب ملاحظته ان غالب أسماء آلات
الحرب انما هي فارسية، وذلك لان العرب نقلوا الاساليب الحربية
عن جيرانهم الفرس * واليك بعض الامثلة من الالفاظ الفارسية
المعرّبة:

«سندروس» (ص ١٢ س ٢) (تعريب سندروس، معدن)
- «سرفسار» (ص ١٣ س ١٧) (سرفسار، راس العنان) -
«كزاغند» (ص ٤٦ س ١٤) (كزاغند، كزاغند، ستره تقوم مقام
الدرع) - «درگاه» (ص ٤٩ س ١٣) (درگاه، بلاط الملك) -
«دشني» (ص ٥٢ س ١) (دشنه، خنجر) - «خرشت» (ص ٥٢ س

مقدمة المحرّر

(٦) (خِشْت، حرّية) - «موزا» (ص ٧٢ س ١٤) (مُوزَه، خِيف) -
«اوزبه» (ص ٧٣ س ٦) (اوزبك، امير الجيش) - «بُشت»
(ص ١١٧ س ١٣) (پشت، عباءة) - «تَر كَش» (ص ٢١٣ س ١٧)
(تر كَش، جعبة) - «ديدب» (ص ١٢٧ س ١٣) (ديدبان، راقب)
وهناك لفظتان فارسيّتان اشبه امرهما على درنورغ فحسبهما
عريّتين: «برجم» (ص ١٥٩ س ٧) وهي برجم، شعر ذنب عجل
البحر • فظنّها درنورغ «براجم» العربية وترجمها articulations
"de doigts" (٥١) • و «نشاف» (ص ١٢٣ س ٣) وهي في الراجح
«نِشاف» الفارسية بمعنى بله • ولقد ترجمها درنورغ
"consumption" (٥٢)

واليك انموذج من الالفاظ التركية الواردة في الكتاب: «يَرَق»
(ص ١٠١ س ١٩) وهي يراق، سلاح - «جوبان» (ص ١٠٦ س ٣)
وهي چوبان، راع (٥٣)
ومن الالفاظ اليونانية: «سقلاطون» (ص ١١ س ١) ثياب موشية
- «قنطارية» (ص ٥٧ س ٢٠) الرمح - «زربول» (ص ١٠٩ س ٣)
حذاء

(٥١) Autobiographie ص ١٥٦

(٥٢) ايضاً ص ١٢٩

(٥٣) اما درنورغ فحسبها علماً "Djaubān al-Khail"

في Autobiographie ص ١٠٥ س ١٠

كتاب الاعتبار

ولا بد لي هنا من الاعتراف ان الاستاذ درنبورغ جاهد قبلي
جهاد العلماء الابطال في حلّ ألغاز المخطوطة العربية وكشف
معياتها، واني مدين له بالشيء الكثير من حيث قراءة الاصل وفهم
المراد

على اثر ظهور ترجمة درنبورغ الافرنسية لـ «كتاب الاعتبار»
ظهرت ترجمة المانية بقلم شومان (٥٤) اعتمد فيها الكاتب على
الترجمة الافرنسية برغم تصريحه في مقدمة الكتاب انه ترجمه عن
الاصل العربي * وهذه بعض الشواهد على ذلك: درنبورغ اغفل
سهواً في ترجمته (٥٥) اسم خطيب اسعد الاول وهو «سراج
الدين» مع انه مثبت في طبعته العربية (ص ١٢٥ س ٥٥ قابل ادناه
ص ١٧٠ س ٢) وكذلك فعل شومان (ص ٢٢٩) * أفحم درنبورغ
في مكانين من ترجمته (ص ٢٦ س ١٤ و ٣٧) كلمة «ناصر» بعد
«ناصر الدين» وهي غير واردة في طبعته (ص ٢٠ س ٢ و ١٢ *
قابل ادناه ص ٢٦ س ١٥ و ص ٢٧ س ٦) وشومان (ص ٥٠ و ٥١)
اتبع اثره * في موضع آخر اشتبهت كلمة «ثمان» (ادناه ص ١٠٥
س ٤) على درنبورغ (ص ٧٧ س ١٩) فحسبها «ثمان» وجعل غلة
(٥٤) Georg Schumann, *Usāma Ibn Munkidh Memorien* (١٩٠٥

(٥٥) *Autobiographie* ص ١٦٥

مقدمة المحرّر

الطاحون مائة دينار "cent dinārs" (ص ١٠٤ س ١٩ و ٢٨) بدلا
من ثمان مائة دينار، وشومان اقتفى اثره وترجم "hundert Denaren"
(ص ١٥٤ س ١٥ - ١٦ و ٢٤)

ولقد نشر كاتب هذه السطور في العام الفائت عن المخطوطة
المودوعة بالاسكوريال « كتاب الاعتبار » هذا مترجماً للانكليزية
بعنوان *An Arab-Syrian Gentleman and Warrior in the Period*
of the Crusades طبع نيويورك . وهي المخطوطة التي نملها
الآن للنشر . وفي العام نفسه ظهر في لندن طبعة اخرى
انكليزية (٥٦) لا قيمة علمية لها ولا جديد فيها لانها مبنيه على
الترجمة الافرنسية السابقة

ولا بد في الختام من التنبيه الى انني كنت ارغب جدّ الرغبة
ان ابقى الاصل المخطوط على ما هو تماماً دون احداث اي تغيير
او ابدال، لولا ان ذلك الاصل على ما انتهى اليه التناقص خال من
النقط والحركات وعلامات الوقف والعناوين، كما يتضح من
نماذج الصور الفوتغرافية المنشورة في هذا الكتاب . فنشره على
اصله لا يفهمه قارىء . لذلك رأيت ان ابوب الكتاب، واقسمه
فقرات، واجعل للابواب والفقرات عناوين كلها من قلم التحرير

G. R. Potter, *Autobiography of Ousama ibn-Mounkidh* (٥٦)

كتاب الاعتبار

سوى كلمة «فصل» في راس الباب الثاني ص ١٦٩ و «قصد الفرنج دمشق» عنوان قطعة ص ١١٤ وعلى كل فاني لم احدث تغييراً ما الا اشرتُ اليه في الحاشية مع اثبات الاصل . كل ذلك تقييداً بالسنن العلمية الحديثة المرعية في نشر المخطوطات، وعملاً بواجب الامانة التاريخية . وكلما كان ضمن قوسين مربعين || في المتن هو ايضاً من قلم المحرّر . والاعداد ضمن القوسين تشير الى عدد الصفحات في المخطوطة الاصلية، وهي مرفوقة بالحرف و - وجه أوق - قفا

في مساء الاثنين الواقع في ٢٣ رمضان من سنة ٥٨٤ (١٥ تشرين الثاني سنة ١١٨٨)، وهي السنة التالية للسنة التي استرجع فيها صلاح الدين بيت القدس من يد الفرنج، تُوفي اُسامة في دمشق عن ٩٦ سنة قمرية (٩٣ شمسية)، ودفن ثاني يوم وفاته في سفح جبل قاسيون الجبل الذي نعته يا قوت (٥٧) بانه «معظم مقدّس» . ولقد دُرس قبره مع ما دُرس من الاثار في ذلك الجانب من الجبل وقامت على انفاقها الدور الحديثة (٥٨) ولكن المترجم

(٥٧) «معجم البلدان» ١٣:٤

(٥٨) هذه خلاصة تقرير تكررتم به الاستاذ المغربي احد اعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق و كنت كلّفته أمر التنقيب عن قبر اُسامة

مقدمة المحرّر

وهو مسلم، فتصدر اوامر والد اُسامة له في هذه الصيغة «اتبِعْهُمْ
بِمن معك، وارموا انفسكم عليهم، واستخلصوا رهائنكم» (ادناه
ص ١٠٣) • الكلمات الاخيرة «ارموا انفسكم» تقع من نفس
اُسامة موقعاً شديداً

وللدلالة على الرّابط البنويّ الذي كان يربط الابن بابيه يكفي
الاستشهاد بعبارة اوردها اُسامة بعد أن أظنّب بحسن خط والده:
«وما يقتضي الكتاب ذكر هذا، وانما ذكرته لاستدعي له [للوالد]
الرّحمة منّ وقف عليه» (ادناه ص ٥٣)

أما والده اُسامة فلنا ان نتحقّق المعدن التي جُبلت منه من
مراجعة حادثة اوردها اُسامة • ومفادها ان الاسماعيلية مرّة هاجمت
شيزر والرجال متخلفون • فوزعت اُمّ اُسامة السلاح وألبست
ابنتها الخفّ والازار واجلستها على روشن مشرف على الوادي
حتى اذا ما انتهى الأعداء اليها تدفعها وترميها الى الوادي فتراها
ميتة ولا اسيرة في أيدي «الفلاحين والحلاجين» (ادناه ص ١٢٥) •
حقاً ان والدته كجدته كانت من «اُمّهات الرّجال» (ادناه ص
١٢٦)

تلك هي البيئة التي نشأ فيها اُسامة وترعرع • فتصلّب عوده
وهومرن، وألف اقتحام المخاطر والمغامرات، وتربّى على مبادئ •

كتاب الاعتبار

الفروسية والشهامة • وذلك في عصر تلاحت فيه الحروب،
وتتابعت الغزوات من الافرنج والعرب - من مسيحيين ومسلمين،
وفي بلاد توفرت فيها الوحوش الضارية والحيوانات المفترسة •
حتى ان اُسامة ما كان يخرج للصيد في جوار شيزر الا وهو مسلح
مستعد للعدو المفاجيء (ادناه ص ٢٠٠) • ولم يشهد اُسامة القتال
في شيزر وحماه من مدن سورية الشمالية فقط، بل في عسقلان وبيت
جبريل من أعمال فلسطين، وفي شبه جزيرة سيناء ومصر، وفي
ديار بكر والموصل • فلاغرو ان اصبح اسمه في التواريخ الاسلامية
مرادفاً للبطولة

الذهبي (١١) سَمَّاه «احد ابطل الاسلام» • ابن الاثير (١٢)
وصفه بانه « كان من الشجاعة في الغاية التي لا مزيد عليها» •
واُسامة نفسه أجمل اختباراته الحربية بقوله في آخر أيامه «فكم
لقيتُ من الاهوال، وتفتحتُ المخاوف والأخطار، ولاقيتُ
الفرسان، وقتلت الأُسود، وضربتُ بالسيوف، وطُغنت بالرماح،
وجرُحتُ بالسهام والجروح» (ادناه ص ١٦٣) - هتاف ليس
المقصود منه التأثير الخطابي فحسب، بل تبيان الحقائق
ومن خلال كل هذه الاختبارات تبيّن لنا شخصية اُسامة فاذا

(١١) «دول الاسلام» (حيدر آباد ١٣٣٧) ٧١:٢

(١٢) «الدولة الأتابكية» في *Recueil* ج ٢ جز ٢٠٧ ص ٢٠٧

مقدمة المحرّر

بها شخصية مستسلمة تستقبل الافراح كما تودّع الاحزان، تواجهه الظفر كما تجابه الفشل، بروح الصبر والتسليم * النصر - باعتبار اسامة - من الله (ادناه ص ١٤٧ س ١٩)، وكذلك الهزيمة * الموت لا «يقدمه ركوب الخطر، ولا يؤخره شدة الحذر» (ادناه ص ١٦٣) * «الله مقدّر الأقدار، وموقت الآجال والأعمار» (ادناه ص ١٦٢) * في العبارة الاخيرة متضمن فلسفة الحياة بأسرها كما فهمها اسامة

وفي مجمل معاملاته مع أصدقائه وأخصامه يُدهشنا هذا الرجل بميله للتصفة والعدالة * ها كه مع رفيق في مكان مشرف على ثمانية فرسان من الافرنج * الرفيق يشير باخذهم على حين غرة، ولكنّ جواب اسامة: «ما هذا انصاف * بل نحمل عليهم انا وانت» (ادناه ص ٥٨) * والمبهج انه لا يلبث ان يتم سرد هذه الحادثة، التي هزم فيها مع رفيقه ثمانية، حتى يشرع بسرد غيرها يهزمها فيها «رويجل» (ادناه ص ٥٨) * يروي قصة ممتعة تظهر الطب الافرنجي سقيماً بالمعارضة مع الطب العربي (ادناه ص ١٣٢ - ١٣٣) - وهي من أبداع قصص الكتاب - ثم لا يلبث ان يردفها بأخرى تظهر الوجهة الفضلى من طب المغرب (ادناه ص ١٣٣ - ١٣٤) * يطنب بوالده صياداً، ولكن سلامة ذوقه توحى اليه على

كتاب الاعتبار

الأثر «ما أدري كنت اراه بعين المحبة كما قال القائل: «وكل ما يفعل المحبوب محبوب، ما أدري أكان نظري فيه على التحقيق» وأنا ذاكر شيئاً من ذلك ليحكم فيه مَنْ يقف عليه» (ادناه ص ١٩٨)

قضى أسامة سنياً غير قليلة في البلاط الفاطمي بمصر (سنة ١١٤٤ - ١١٥٤) وربما لم يكن لذلك العهد من دار عشتت فيها جرائم المكائد والمفاسد كما في تلك الدار: يد الوالد على الولد، والولد على الوالد، ويد الخليفة على الجميع • ابن الاثير (١٣) يدعي ان أسامة هو الذي أشار على عباس بن أبي الفتوح بقتل العادل وزير الظاهر (ادناه ص ١٨) • ولكن مذكرات أسامة لا تدل على انه لوث يديه في حال من الأحوال • صلاح الدين الغريسياني، ذلك الجلف التركي، يوسط من يشاء من رجاله - يأمر بقطعهم شطرين من الوسط - لسبب أو لغير سبب، وأسامة لا يتردد في التوسط بامرهم (ادناه ص ١٥٦ - ١٥٧) • عم أسامة يجلوه عن مسقط رأسه، ثم يودي الزلزال بحياة ابن عمه وسائر آله في شيزر، فيريتهم أسامة الشاعر بقصيدة كلها شعور طيب:

لم يترك الدهر لي من بعد فقدهم
قلباً أجشمه صبراً وسلوانا

(١٣) «كامل التواريخ» (أيسالا ١٨٥١) ١١: ١٢١

مقدمة المحرّر

فلو رأوني لقالوا ماتَ أعدُنَا
وعاشَ للهمّ والاحزانِ أنفانَا
لم يتركِ الموتُ منهم مَنْ يخبرني
عنهم فيُوضحُ ما قالوهُ تبيانَا
بادوا جميعاً وما شادوا فواعجباً
للخطبِ أهلكَ عمّاراً وعمرانَا
هذي قصورهم أمست قبورهم
كذاك كانوا بها من قبل سگانَا

الى ان يقول:

بنو أبي وبنو عمّي دمي دمهم

وإن أروني مناواةً وثنائنا (١٤)

احترام اُسامة لجنس النساء أمر يسترعي انتباهنا. فانا نراه يضع تأليفاً موسوماً «أخبار النساء» ويكرّس في «كتاب الاعتبار» (ادناه ص ١١٨ - ١٣١) حقولاً طويلة للاشادة باعمال البطولة التي قام بها البعض منهنّ، وبينهنّ والدته. وفي قصته مع خادمته العجوز التي أفرد لها بيتاً في داره وكان يناديها «يا أمّي» (ادناه ص ١٨٦) نافذة نبصُّ منها الشيء اللطيف ضمن أعماق قلبه. وما ألطف ملاحظته بعد ان اقتدى اسيرة مسلمة مع غيرها من يد الافرنج فهربوا قبل ان يدفع الثمن فالزمه الافرنجي القيمة كلها: «وهان ذلك عليّ لسرّتي بخلاص اولئك المساكين» (ادناه ص ٨٢)

(١٤) ابو شامة ١٠٦:١

ض

كتاب الاعتبار

حين لم يكن أسامة مهمو كاً بقتال الأعداء من بني البشر كان يشتغل بقتال الحيوانات المفترسة التي كانت سورية الشمالية يومئذٍ تعجّ بهاء، أو يصطاد الغزلان والطيور والأرانب وحُمُر الوحش بالبازي وبالباشق في شيزر ودمشق وفي الموصل والقاهرة • وترى زبدة اختباره مضمّنة في فصل في الصيد ختم به كتابه، فصل ربما لم يكن في اللغة العربية أنفس منه في موضوعه • أسامة يقول عن نفسه انه شهد الصيد «سبعين سنة» (ادناه ص ٢٢٥)، وانه حضر قتال الأسد في مواقف لا تُحصى وقتل عدّة منها لم يشار كه في قتلها احد (ادناه ص ١٠٩ و ١٤٤)، وان الخليفة الحافظ عناه في سؤاله الانكاري «واي شيء شغل هذا الا القتال والصيد؟» (ادناه ص ١٩٤) • لذته في درس الحيوان جعلته يكشّف ان «الأسد كالناس فيها الشجاع وفيها الجبان» (ادناه ص ١٠٦) ويحسب «ان الأسد اذا خرج من موضع لا بدّ له من الرجوع اليه» (١٥) (ادناه ص ١٠٦ و ١٠٩)، ويلاحظ «أن الأسد مثل سواه من البهائم يخاف ابن آدم ويهرب منه • وفيه غفلة وبله، ما لم يُجرح • فاذا جرح فحينئذٍ هو الاسد» (ادناه ص ١٠٩)، ويقول ان النمر «دون سائر الحيوان يقفز الى فوق أربعين ذراعاً» (ادناه ص ١١٠) • على ان

(١٥) لم أجد في الكتب العلميّة ما يثبت صحة هذه النظرية

مقدمة المحرّر

صاحبنا شارك جيله في بعض خرافاتهم: «ومن خواصّ النمر انه اذا جرح الانسان وبالت عليه فأرة مات، ولا ترتدّ الفأرة عن جريح النمر» (ادناه ص ۱۱۱). ولما عرض افرنجي في حيفا فهداً للبيع أدرك اُسامة لأوّل نظرة من طول الوجه وزرقة العينين ان الحيوان نمر لا فهدي وبالتالي لا يصلح للشراء (ادناه ص ۱۱۱). ومن دقيق ملاحظاته ان الحُبّارى اذا اقترب منها الصقر «استقبلته بذنبها، فاذا دنا منها سلحت عليه بلّت ريشه وملأت عينيه وطارت» (۱۶) (ادناه ص ۲۱۶)

نظر اُسامة للصيد كسبب للهو ظاهر من البيت الذي استهل به
فصل الصيد:

ولله مني جانبٌ لا أُضِعهُ

وللهو مني والبطالة جانبٌ (ادناه ص ۱۹۰)

ونزعت الاستقرائية تلوح من عدم تليته طلب نور الدين عندما سأله هذا ان يصلح الباز فرفض وأجاب - لماً اظهر نور الدين عجه كيف ان اُسامة يقضي عمره بالصيد ولا يحسن اصلاح الباز - «يامولاي، ما كنّا نصلحها نحن، كان لنا بازيارية وغلّمان يصلحونها» (ادناه ص ۱۹۷)

(۱۶) قابل مراجعة كتاب C. H. Stockley, *Shikar* في
London Times Literary Supplement عدد ۱ تشرين الثاني سنة ۱۹۲۸

كتاب الاعتبار

تهذيب أسامة المدرسي تناول دراسة النحو عشر سنين عند قدمي أبي عبدالله الطليطلي «سيويه زمانه» الذي كان قد تولّى دار العلم بطرابلس (ادناه ص ٢٠٧) ولا شك أن سياق دروسه تناول فضلاً عن النحو الخطّ والشعر والقرآن - وهي فروع التهذيب في ذلك العصر - فتهذب أسامة بموجب النظام الذي كان يتشكّف به أشرف العرب في زمانه - ونشأ راويةً كاتباً، وأديباً شاعراً

بهذه الصفة الأخيرة - صفة الشاعرية - عرفه معظم الذين ترجموا له - فالذّهبي (١٧) يذكر عن لسان أسامة انه قال انه كان يحفظ اكثر من عشرين الف بيت من الشعر الجاهلي - والراجح انه لم يتصل بجيل أسامة هذا المقدار من الايات - عماد الدين الكاتب الاصفهاني الذي اجتمع بأسامة في دمشق يقول في «خريدة القصر وجريدة العصر» (١٨) «أسامة كاسمه، في قوّة ثره ونظمه... حلوا المجالسة، حالي المساجلة، ندي الندي بماء الفكاهة، عالي النجم في سماء النباهة» - ابن عساكر، تلميذ أسامة، ذكر في «التاريخ الكبير» (١٩) بان لاسامة «يداً بيضاء في الأدب والكتابة

(١٧) ملحق بـ *Vie d'Ousāma*, Derenbourg, (باريز ١٨٨٥) ص ٥٩٥

(١٨) (باريز ١٨٨٧) ص ١٢٢

(١٩) (دمشق ١٣٣٠) ٢: ٤٠٠ - ٤٠١

مقدمة البحر

والشعر» واقتبس عن لسان احدهم قوله ان اُسامة «شاعر اهل
الدهر، مالك عنان النظم والنثر» وان مقطعاته «أحلى من الشهد
والذّ من النّوم بعد طول السهر» * يا قوت في «معجم البلدان»
(٢٠) اقتبس من اشعار اُسامة * أبو شامة (٢١) يفيد ان صلاح
الدين الايوبيّ كان «عنده ديوان الامير مؤيد الدولة اُسامة ٠٠٠
وهو به مشغوف، وخاطره على تأمله موقوف، والى استحسانه
مصروف» * وصلاح بن يحيى (٢٢) يفاخر باقتنائه ديوان شعر
«عزّ الدين» (كذا) اُسامة بن منقذ بخطه
وهالك أبيات تدلّ على قوة الإبداع في اُسامة الشاعر قالها في
ضرس له قلعه:

وصاحبٍ لا أملُ الدَّهرَ صُجْبتهُ

يشقى لنفعي ويسعى سعيَ مُجْتهدٍ

لَمْ ألقه مُدّ تصاحبنا فحين بدا

لناظريّ افترقنا فرقة الأبد (٢٣)

وغيرها كتبها على حائط مسجد في حلب وكان قد زار المسجد
قبلاً في طريقه الى الحجّ:

(٢٠) ٤١٧:٢

(٢١) ٢٤٧:١

(٢٢) «تاريخ بيروت» (بيروت ١٩٠٢) ٣٥ - ٣٦

(٢٣) الذهبي ملحق *Vie d'Ousāma* ص ٥٩٦ قابل ابن عساكر ٤٠٢:٢،

ابن خلكان ١١٢:١، أبو شامة ٢٦٤:١، عماد الدين الكاتب ١٢٣

غ

كتاب الاعتبار

لك الحمدُ يا مولايَ كم لك منهُ
عليّ وفضلٌ لا يحيطُ بها شكري
نزلت بهذا المسجدِ العامَ قافلاً
من الغزوِ موفورَ النَّصيبِ من الأجرِ
ومنه رحلتُ العيسُ في عامي الذي
مضى نحو بيتِ اللهِ والركنِ والحجرِ
فأدّبتُ مفروضاً وأنقطتُ ثقلَ ما
تحملتُ من وزرِ الميسئةِ عن ظهري (٢٤)
وأخرى تُعرب عن حنينه لوطنه الشاميّ وعن توق نفسه للرُّجوع
إلى أهله وقد كتبها على حائط دار سكنها بالموصل:

دارٌ سكنتُ بها كرهاً وما سكنت
روحي إلى شجنٍ فيها ولا سكنِ
والقبرُ أسترُ لي منها وأجملُ بي
إن صدّني الدهرُ عن عودي إلى وطني (٢٥)
واليك ما كتب في مطلع كتاب إلى بعض أهله:

شكا ألم الفراقِ النَّاسُ قبلي
ورُوع بالنَّوى حيٌّ وميت
وأما مثل ما ضمتُ ضلوعي
فإني ما سمعتُ وما رأيتُ (٢٦)
شغفُ أسامة بالكتبِ يتضح من ملاحظة أبدأها عند ما عادت
أسرته من مصر فوقعت في أيدي الأفرنج وخسر الكثير من المال،

(٢٤) ابن الأثير «الدولة الاتابكية» في *Recueil* ج ٢ جز ٢٠ ص ٢٠٨

(٢٥) ابن عساكر ٢: ٤٠١

(٢٦) ابن خلكان ١: ١١١

مقدمة المحرّر

فلم يأسف عليه أسفه على ما فقدته من الكتب وعددها أربعة آلاف مجلّد من الكتب الفاخرة «فانّ ذهابها» على ما قال في حزاذة في قلبي ما عشت» (ادناه ص ٣٥)

أتقن أسامة الفن القصصي وأبدع في ايراد نكته كلّ الإبداع . فلو انه عاش اليوم لتأهّل لمركز استاذ في احدى مدارس الصحافة التي تلقن طلبتها دروساً في كيفية معالجة الماخرات وسرد الحوادث . خذ مثلاً الكيفية التي روى فيها قصة الطيب الافرنجي بازاؤ الطيب العربي (ادناه ص ١٣٢ - ١٣٣)، او قصّة جزاء الامانة (ادناه ص ١٧٨ - ١٨٠)، فان الفن الحديث يكاد يعجز عن التحسين عليها

لأسامة المؤلف لا أقل من ثلاثة عشر كتاباً اتصلت بنا اسماؤها . وضع معظمها في أخريات حياته وهو مُبعد في حصن كيفا حيث انفسح له المجال للدرس والتأليف . ولقد ذكر بعضها حاجي خلفه في «كشف الظنون» ١٠ - «كتاب البديع في البديع» ٢٠ - «تاريخ القلاع والحصون» ٣٠ - «أزهار الانهار» ٤٠ - «التاريخ البلدي» ٥٠ - «نصيحة الرّعاة» ٦٠ - «التجائر المربحة

كتاب الاعتبار

والمساعي المنجحة» (٢٧) ٧٠ - «كتاب العصا» (٢٨) ٨٠ -
«أخبار النساء» ٩٠ - «ديوان أسامة» ١٠٠ - «كتاب التّوم
والاحلام» (ادناه ص ١٨٦) ١١٠ - «كتاب المنازل والأديار»
(٢٩) ١٢٠ - «كتاب لُبَاب الآداب» (٣٠) ١٣٠ - «كتاب
الاعتبار» وهو الذي نحن الآن بصددده

بعد ان تجاوز أسامة التسعين استدعاه صلاح الدين الايوبي من
حصن كيفا وأسكنه داراً بدمشق وذلك بمساعي ابن أسامة المحبوب
مُرْهَف الذي كان من المقرّبين لدى السلطان (٣١) وأرجع

(٢٧) راجع وصف دربورغ لهذه المخطوطات في *Vie d'Ousāma* - ٣٣٠ -

٣٣٨

(٢٨) نشر در نورغ منتخبات منه ومن «ديوان أسامة» بعنوان *Anthologie de
textes Arabes inédits par Ousāma et sur Ousāma* (باريز ١٨٩٣)

(٢٩) مخطوطة في المتحف الاسيري في لبنفراد ذكرها الاستاذ اغناطوس

كراتشكوفسكي في «مجلة المجمع العلمي العربي» تموز سنة ١٩٢٥ ص ٣٣٥

(٣٠) مخطوطة كتب لسي عنها مالکها الدكتور يعقوب صروف قُبل وفاته وعليها

بخط ابن أسامة مُرْهَف ان والده اهداها اليه عام ٥٨٢٠ راجع «المقتطف»

كانون الاوّل سنة ١٩٠٧ و نيسان سنة ١٩٠٨ وربما كانت بخط المؤلف نفسه .

وفي رسالة خصوصية من الشيخ خليل الخالدي بالقدس انه رأى وهو بقونية نسخه

من «كتاب الغريبين» في آخره ما صورته: «وكان الفراغ منه يوم الاثنين ثالث

وعشرين شهر رمضان سنة خمس وخمسين وخمسمائة [١١٦٠] بمدينة حمص .

كتبه لنفسه منقذ بن مرشد بن علي بن مقلّد بن نصر بن منقذ الكناني المالكي»

(٣١) ومن الذين امتازوا من آل منقذ شمس الدولة، ابن اخي أسامة، أوفده صلاح

الدين عام ١١٩٠ الى بلاط الموحّدين براكش للمخابرة بشأن استخدام اسطولهم

لقطع سبيل الاتصال البحري بين الأفرنج وبين بلادهم . وكان لأسامة عمّ

مقرّب من الخليفة الفاطمي بمصر (انظر ادناه ص ٢٠٨)

مقدمة المحرّر

له صلاح الدين اقطاعاً كان في الأصل على ما يظهر مُلك أسامة، فعاد خمر الحياة يجري في عروق الشيخ بعد ان كان استحال خلاً، وتنعّم صديقنا بشيء من الرفاه والهناء قبيل وفاته • فأخذ يلقي المحاضرات في البديع، ويدرس في المدرسة الحنفيّة بدمشق • ولكن لاسباب نجهلها انقلب عليه ظهيره صلاح الدين، وربما كانت اقامة أسامة في مصر ولّدت فيه ميلا للتشيع لحظه صلاح الدين (٣٢) «محيي دولة أمير المؤمنين» (ادناه ص ١٦٤) و«سنة الخلفاء الراشدين» (ادناه ص ١٦٥) • ولا نعلم كم طال هذا الجفاء • على ان صالح بن يحيى (٣٣) ذكر أن صلاح الدين ولّى على بيروت «عزّ الدين أسامة بن منقذ احد ملوك بني منقذ وكان من المعظّمين عند السلطان حتى لم يكن يقدم عليه احداً في المشورة والرأي» • وعاد فروى (ص ٣٨) ان عزّ الدين أسامة بن منقذ لما كان والياً على بيروت وبلغه خبر استيلاء الافرنج على صيداء خرج من المدينة بجماعته واهله • ويظهر من هذا ومن ابن الاثير (٣٤) انه كان يومئذٍ ببيروت حاكم يُعرف بأسامة ولكنّه

(٣٢) الذهبي ملحق *Vie d'Ousāma* ص ٦٠٢

(٣٣) «أرخب بيروت» ٣٥ - ٣٦

(٣٤) في *Recueil* ج ٢ جز ١٠ ص ٨٥

كتاب الاعتبار

هو غير ابن منقذ . فالافرنج فتحوا بيروت عام ١١٩٧، وابن منقذ
تُوفي عام ١١٨٨ (٣٥)

بعد ان توقّل اُسامة ذروة التسعين (ادناه ص ١٦٠) وهو في
دمشق يتفياً في ظلال نعمة مولاه صلاح الدين، أخذ يطلُّ من
ذاك العلو الشاهق على سابق اختباراته، ويدوّنها - أو يلقنّها -
بانشاء ساذج عادي لا تصنع فيه ولا تعمل (٣٦) - تلك هي
المذكّرات الخالدة الموسومة «كتاب الاعتبار» . أملاها اُسامة
وهو يردّد:

إذا كتبتُ فخطّي جدُّ مضطربٍ
كخطِّ مرتعشِ الكفّين مرتعدٍ
فاعجب لضعفِ يدي عن حملها قلماً
من بعدِ حطمِ القنابي لبنة الأسدِ
وإن مشيتُ وفي كفتي العصا ثقلتُ
رِجلي كأنّي أخوضُ الوحلَ في الجلّدِ (٣٧)

ولسان حاله:

(٣٥) لم ينتبه لهذا الخلط بين الأسمتين الاب شيخو محرّر صالح بن يعبي فإنه في
حاشية ٢ ص ٣٥ جعل الاثنين واحدا
(٣٦) الشاذ الوحيد عن هذه القاعدة وصف اُسامة لشيخوخته ولعطف صلاح الدين
عليه . ادناه ص ١٦٠ - ١٦٦
(٣٧) ادناه ص ١٦٣ - ١٦٤

مقدمة المحرّر

قد كنتُ مسعراً حرباً كلّما خمدتُ
أذكيتهَا بأقْداحِ البيضِ فِي القلْلِ

أمّا الآن:

فصرتُ كالغادةِ المكسّالِ مضجَعُهَا
على الحشَايا وراءَ السُّجفِ والكَللِ
قد كدتُ أعفنُ من طولِ الثَّوَاءِ كما
يصدّيءُ الهنْدَ طولُ اللَّبْتِ فِي الخللِ
أروح بعد دروعِ الحربِ فِي حُللِ
من الدِّيِّ بَقِي فَبؤْساً لِي وللحُللِ (٣٨)

بين كتب الأدب العربي سيرٌ عددها غير قليل . منها ما كُتِبَ
في عصرِ اُسامةِ بالذات: كسيرة صلاح الدين الموسومة «الفتح
القسبي في الفتح القدسي» بقلم عماد الدين الكاتب الاصفهاني،
وأختها الموسومة «النوادر السلطانية» بقلم القاضي بهاء الدين،
وكسيرتي نور الدين وصلاح الدين المعنوتين « كتاب الروضتين
في اخبار الدولتين» تأليف ابي شامة . ولكنها كلها تتضاءل أمام
سيرة اُسامة بقلم نفسه . « كتاب الاعتبار» هو اول سيرة في الآداب
العربية - على ما نعلم - المترجم والمترجم له فيها واحد

رمى المؤلف من وراء كتابه الى تعليم امثوله أدبية، لذلك
سمّاه « كتاب الاعتبار» . وأورد موادَّ يُرجى منها ان يُعتبر

(٣٨) ادناه ص ١٦١

كتاب الاعتبار

القارىء بما حلّ بغيره وان يستفيد لنفسه (ادناه ص ١٦٢) . أمّا العظة التي اراد ان ينقشها على ذهن القارىء بحيث لا تُمحي فهي «ان ركوب أخطار الحروب لا يُنقص أجل المكتوب» فاني رأيت ٠٠٠ معتبراً يُوضح للشجاع العاقل، والجهان الجاهل، ان العمر موقّت مقدّر، لا يتقدّم اجله ولا يتأخّر» (ادناه ص ١٦٢)، وان «الله مقدّر الأقدار، وموقّت الآجال والاعمار» (ادناه ص ٦٢)، وانه يجب ان لا «يظنّ ظانّ ان الموت يقدره ركوب الخطر، ولا يؤخّره شدة الحذر» (ادناه ص ١٦٣)، وان «النصر في الحرب من الله تبارك وتعالى، لا بترتيب وتدبير، ولا بكثرة نفير ولا نصير» (ادناه ص ١٤٧)

ولإثبات قضيّته أتى المؤلّف بالقصّة تلو القصّة . التشابه والمشاركة، واحياناً التناقض والمخالفة، كان السّمك الذي قاده من رواية الى رواية . ولكن الكثير من المادّة جاء دون تنظيم منطقي وفي أماكن غير خاصّة به . هنا وهناك يشعر القارىء ان الراوي قد رشّ شيئاً من «البهار» على القصّة لتحسينها، أو مطّّ الواقع قليلاً في الحادث لا شباع داعي الغرضيّة . أخبار كرامات الأولياء ومناقبهم (الباب الثاني ص ١٦٩ - ١٨٧) كلها ازدردها السامة، ولم يتسامّ فوق المستوى الذي عاش فيه جيله . كذلك

مقدّمة المحرّر

الدمشقي الشهير ابن خلكان زار تربة أسامة بُعيد وفاته حيث قال
«ودخلت تربته وهي على جانب نهر يزيد الشمالي وقرأت عنده
شيئاً من القرآن وترحّمت عليه» (٥٩)

(٥٩) «تأريخ» ١١٢:١ يبيّن «ليل الثلاثاء» لوفاة أسامة وهو مساء الاثنين . كذلك
يبيّن يوم الأحد ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٤٨٨ لولادته، ولكن هذا التاريخ يقع
الأربعاء . انظر ادناه ص ١٢٤ ح ٧٠

الباب الاول
حروب واسفار

الباب الاول

حروب واسفار

١ - قتال الافرنج (١)

معركة قنسرين (٢)

(٣) ١٠٠٠ [١] ولم يكن (٤) القتل في ذلك المصاف في المسلمين كثيرًا . وكان وصل من الامام الراشد بن المسترشد (٥)، رحمهما الله، ابن بيشتر (٦) رسولا الى اتابك (٧) يستدعيه . فحضر ذلك المصاف، وعليه جوشن مذهب، فطعنه فارس من الافرنج، يقال له ابن الدقيق (٨)، في

(١) ابواب الكتاب والعناوين كثثها من قلم المحرر، ما عدا «قصد الفرنج دمشق» عنوان قطعة من ١١٤ وكلمة «فصل» في رأس الباب الثاني من ١٦٩ فانها اصلية (٢) بلدة في شمالي سورية . ولقد حفظ لنا الذهبي «تاريخ الاسلام» (ملحق درنبرغ *Vie d' Ousāma* باريس ١٨٨٩) من ٦٠١ - ٦٠٢ اشارة الى هذه المعركة بقلم أسامة تدل على ان أسامة شهدها بنفسه

(٣) المخطوط مخروم من اوله . وعدد الاوراق الناقصة ٢١

(٤) «علم بكر» في «كتاب الاعتبار» لابن منقذ طبعة هر تويغ درنبرغ (ليدن ١٨٨٤) ص ٠٢ وسنشير اليها فيما بعد بقولنا طبعة درنبرغ . «ولسم يكثر» في *Critica Arabica* بقلم Carlo de Landberg (ليدن ١٨٨٨) نمرة ٢ من ١٥

(٥) الخليفة العباسي ١٧ ايلول سنة ١١٣٥ - ٨ آب سنة ١١٣٦

(٦) ابو بكر بيشتر بن كريم بن بيشتر . ذكره ابن الاثير «الكامل» طبعة طر نبرغ (ليدن ١٨٥١ - ٧٤) ج ١ ص ٤٠٥

(٧) لقب تركي فارسي معناه «والد الامير» . والاشارة الى عماد الدين زنكي

أتابك الموصل ١١٢٧ - ١١٤٧

(٨) لعلها تحريف Benedictus وكانت تُلفظ بالافرنسية في ذلك العهد

“Benedeit”

صدره اخرج الرمح من ظهره، رحمه الله . بل قتل من الافرنج خلق
كثير
وامر اتابك، رحمه الله، فجمعت روموسهم في حقل مقابل الحصن،
فكانت قدر ثلاثة الاف رأس

الروم والافرنج يحاصرون شيزر

ثم ان ملك الروم (٩) عاد خرج الى البلاد في سنة اثنتين وثلاثين
 وخمس مئة (١٠)، واتفق هو والافرنج، خذلهم الله، واجمعوا على قصد
 شيزر ومنازلتها . فقال لي صلاح الدين «ما ترى (١١) ما فعله هذا الولد
 المُكَلِّ؟» يعني ابنه شهاب الدين احمد . قلت «واي شيء فعل؟» قال
 «انفذ اليّ يقول «ابصر من يولتي بلدك» . قلت «واي شيء عملت؟»
 قال «نفذتُ الى اتابك اقول تسلم موضعك» . قلت «بئس ما فعلت!
 اُما يقول لك اتابك «لمأ كانت لحمأ اكلها، ولمأ صارت عظماً (١٢)
 رماها عليّ؟» قال «فأي شيء عمل؟» قلت «انا اجلس فيها . فان سلم
 الله تعالى كان بسعادتك، ويكون وجهك ابيض عند صاحبك . وان أخذ
 الموضوع وقتلنا كان بآجالنا، وانت معذور» . قال «ما قال لي هذا القول
 احد غيرك»

وتوهمت انه يفعل ذلك . فحفلتُ الغنم والدقيق الكثير والسمن وما
 يحتاجه المحاصر . فانا في داري المغرب ورسوله جاءني قال «يقول
 لك صلاح الدين ونحن بعد غد سائرون الى الموصل فاعمل شغلك
 للمسير» . فورد على قلبي من هذا هم عظيم وقلت «اترك اولادي واحوتي
 واهلي في الحصار واسير الى الموصل؟» فاصبحت ركبت اليه وهو في (١٣)

(٩) جان كومنينوس Comnenus (١١١٨ - ١١٤٣)

(١٠) ١٩ ايلول سنة ١١٣٧ - ٨ ايلول سنة ١١٣٨

(١١) غير واضحة في الاصل

(١٢) «لحم ٠٠٠ عظم» في الاصل

(١٣) غير واضحة في الاصل

الخيام استأذنته في الرواح الى شيزر لأحضر لي نفقة ومالاً نحتاج اليه في الطريق (١٤) • فاذن وقال (١٥) « لا تبطيء » • فركبت ومضيت الى شيزر • فبدأ منه ما (١٦) اوحش قلبي، وعرك ابني، فنازل، فنقذ السي داري، فرفع كل ما فيها من الخيام والسلاح والرحل وقبض على امر احبتي (١٧) وتتبع اصحابي - فكانت نكته كبيرة رائعة

(١٤) « لا حصر لي منه فقال حاجّ اليه في الطروب » طعة در سورغ ص ٣

(١٥) هذه الكلمة والتي فلها لا يمكن قراءتها في الاصل

(١٦) هذه الكلمة وما يليها غير مقرأة في الاصل

(١٧) قراءة هذه الكلمة وما قبلها غير الكدة

٢ - أسامة في دمشق

١١٣٨ - ١١٤٤ م

فأقتضت الحال مسيري الى دمشق، ورسل اتابك تبردّد في طلبي الى صاحب دمشق . فأقمت فيها ثمانى (١) سنين، وشهدت فيها عدّة حروب، واجزل لى صاحبها، رحمه الله، العطيّة والاقطاع، وميّزني بالتقريب والاكرام - يضاف ذلك الى اشتمال الامير معين الدين (٢)، رحمه الله عليّ، وملازمتي [١ ق] له، ورعايته لاسبابي

ثم جرت اسباب اوجبت مسيري الى مصر . فضاع من حوائج دارى وسلاحى ما لم اقدر على حمله . وفرطت في املاكي ما كان نكبة اخرى . كل ذلك والامير معين الدين، رحمه الله، محسن مجمل كثير التأسّف على مفارقتى مفرّ بالعجز عن امرى، حتى انه انفذ اليّ كاتبه الحاجب محمود المسترشدي، رحمه الله، قال «والله لو ان معى نصف الناس لضربت بهم النصف الآخر، ولو ان معى ثلثهم لضربت بهم الثلثين، وما فارقتك لكن الناس كلّهم قد تمالوا (٣) عليّ وما لى بهم طاقة . وحيث كنت فالذي بيننا (٤) من المودة على احسن حاله» . ففي ذلك اقول:

(١) في سنة ٥٣٢ هـ . لمّا حاصر جان كومنينوس شيزركان أسامة لم يزل فيها . وفي سنة ٥٣٩ هـ نجده في مصر . فافامته في دمشق اذن لم ترد مدتها عن سبع سنين
(٢) معس الدين آسر، وزير شهاب الدين محمود، وظهر أسامة . توفي ٣ آب سنة ١١٤٩

(٣) كذا في الاصل . وهي من مالا

(٤) «نشأ» طبعة دربورغ ص ٤

أسامة في دمشق

مُعِينَ الدِّينِ كَمْ لَكَ طَوْقُ مَنْ
يُعْبِدُنِي لَكَ الْإِحْسَانُ طَوْعاً
فَضَارَ إِلَى مَوَدَّتِكَ اتِّسَابِي
الْمَ تَعْلَمُ بَانِي لَاتِمَائِي
وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ يُضْحِكْ هِمَاسِي
وَلَكِنْ خَفْتُ مِنْ نَارِ الْأَعَادِي
بِحَيْدِي مِثْلَ أَطْوَاقِ الْحَمَامِ
وَفِي الْإِحْسَانِ رِقٌّ لِلْكَرَامِ
وَإِنْ كُنْتُ الْعِظَائِي الْعِمَّاسِي
إِلَيْكَ رَمَى سَوَادِي كُلُّ رَامِ
لِقَسْرِ دُونَ إِعْذَارِ الْعُسَامِ
عَلَيْكَ فَكُنْتُ إِطْفَاءَ الضَّرَامِ

٣ - أسامة في مصر

١١٤٤ - ١١٥٤ م

ثورة في الجيش المصري

فكان وصولي الى مصر يوم الخميس الثاني من جمادى الآخرة سنة تسع وثلثين وخمسمائة (١) . فآقرّني الحافظ لدين الله (٢) ساعة وصولي . فخلع عليّ بين يديه، ودفع لي تحت ثياب ومائة دينار، وخولني (٣) دحول الحمّام، وانزلني في دار من دور الأفضل بن امير الجيوش (٤) في غاية الحسن وفيها بسطها وفرشها ومرتبة كبيرة وآلتها من النحاس - كل ذلك لا يُستعاد منه شيء . واقمت بها مدّة (٥) اقامة في إكرام وإحترام وإنعام متواصل وإقطاع زاج

فوقع بين السودان، وهم في خلق عظيم، شرٌّ وخُلف: بين الريحانية، وهم عبيد الحافظ، وبين الجيوشية (٦) والاسكندرانية والفرحية . فكان الريحانية في جانب، وهاولاء كلّهم في جانب، متّفقين على الريحانية وانضاف الى الجيوشية قوم من صبيان الخاص (٧) . فاجتمع من الفريقين خلق عظيم . وغاب (٨) عنهم الحافظ، وتردّدت اليهم رسله، وحرص

(١) ٣٠ سربين الثاني سنة ١١٤٤

(٢) الخليفة الفاطمي . توفي تشرين الاول سنة ١١٤٩

(٣) غير واضحة في الاصل

(٤) «امير الجيوش» لقب الوزير بدر الجمالي وهو ارمني الاصل

(٥) ١١٤٤ - ٥٤ م

(٦) نسبة لبدر الجمالي . «صبح الاعشى» للقلقشندي (مصر ١٩١٦ - ٢٥) ج ٣

ص ٤٨٢

(٧) الحرس الفاطمي وعدده ٥٠٠ القلقشندي ٤٨١:٣

(٨) «وغلّب» طبعه درنبرغ ص ٤

على ان يُصلح بينهم . فما اجابوا الى ذلك، وهم معه في جانب البلد . فاصبحوا التقوا في القاهرة فاستظهرت الجيوشية واصحابها على الريحانية فقتلت منهم في سُوَيْتَمَة [٢ و] امير الجيوش الف رجل حتى سدوا السويقة . ونحن نبيت ونصبح بالسلاح خوفاً من ميلهم علينا، فقد كانوا فعلوا ذلك قبل طلوعي الى مصر
وظنّ الناس لما قُتل الريحانية ان الحافظ ينكر ذلك ويوقع بقاتليهم، وكان مريضاً على شفى . فمات، رحمه الله، بعد يومين، وما انتطح فيها
عُزَّان

خروج ابن السّار على الظافر

وجلس بعده الظافر بامر الله، وهو اصغر اولاده . واستوزر نجم الدين بن مصال، وكان شيخاً كبيراً . والامير سيف الدين ابو الحسن علي بن السّار (٩)، رحمه الله، اذ ذاك في ولايته . فحشد وجمع وسار الى القاهرة، ونفّذ الى داره . فجمع الظافر بامر الله الامراء في مجلس الوزارة، ونفّذ اليها زمام القصور (١٠) يقول «يا امراء هذا نجم الدين وزبري وناثبي . فمن كان يطيعني فليطعه ويمثل امره» . فقال الامراء «نحن مماليك مولانا سامعون مطيعون» . فرجع الزمام بهذا الجواب فقال امير من الامراء شيخ يقال له لكرون «يا امراء، ترك علي بن السّار يُقتل؟» قالوا «لا والله» . قال «فقوموا» . فنفروا كلّهم وخرجوا من القصر شدوا على خيلهم وبغالهم وخرجوا الى معونة سيف الدين بن السّار . فلما رأى الظافر ذلك وغلب عن دفعه اعطى نجم الدين بن مصال مالا كبيراً وقال «اخرج الى الحوف (١١)، اجمع واحشد وانفق فيهم، وادفع ابن السّار» . فخرج لذلك

(٩) «السّار» في «السيكلوبيديا الاسلامية» مادة «العادل» . وولايته الاسكندرية وُبْحيرة

(١٠) القلقشندي ٤٨٥:٣

(١١) مقاطعة في شرقي الدلتا

ودخل ابن السّار القاهرة، ودخل دار الوزارة . واتّفق الجند على طاعته، واحسن اليهم . وامرني ان ايت انا واصحابي في داره، وافرد لي موضعاً في الدار اكون فيه . وابن مصال في الحوف قد جمع من لَوّاة (١٢) ومن جند مصر ومن السودان والعربان خلقاً كثيراً . وقد خرج عبّاس ركن الدين، وهو ابن امرأة علي بن السّار، ضرب خيمه في ظاهر مصر . فعدت سرية من لَوّاة، ومعهم نسيب لابن مصال، وقصدوا مخيم عبّاس . فانهمز عنه جماعة من المصريين، ووقف هو وغلماناه ومن صبر معه من الجند ليلة مخايستهم

وبلغ الخبر الى ابن السّار فاستدعاني في الليل، وانا معه في الدار، وقال «هاولاء الكلاب (يعني جند مصر) قد شغلوا الامير (يعني عبّاساً) بالفوارغ، حتى عدا اليه قوم من لَوّاة سباحة، فانهمزوا عنه ودخل بعضهم الى بيوتهم بالقاهرة، والامير موافقهم» . قلت «يامولاي، نركب اليهم في سحر . وما يضحى النهار الا وقد فرغنا منهم، ان شاء الله تعالى» . قال «صواب . ابكر في ركوبك» . فخرجنا اليهم من بكرة، فلم يسلم منهم الا من سبحت به فرسه في النيل . واخذ نسيب ابن مصال ضرب رقبته

هزيمة ابن مصال

[٢ ق] وجمّع العسكر مع عبّاس وسيّره الى ابن مصال . فلقه على دلاص (١٣)، فكسرهم وقتل ابن مصال وقتل من السودان وغيرهم سبعة عشر الف رجل . وحملوا رأس ابن مصال الى القاهرة . ولم يبق لسيف الدين من تعاندته ولا تشاqqه

وخلع عليه (١٤) الظافر خلع الوزارة ولقبه الملك العادل، وتولّى الامور

(١٢) قبيلة بربرية في افريقية الشمالية

(١٣) اسم لبلدة ومقاطعة في الصعيد . «معجم البلدان» لياقوت طبعة فستندل

(ليبزغ ١٨٦٦ - ٧٣) ج ٢ ص ٥٨١

(١٤) على ابن السّار

الخليفة بكيد لوزيره الجديد

كل ذلك والظافر منحرف عنه، كاره له، مضر له الشر. فعمل علي قتله وقرّر مع جماعة من صبيان الخاص وغيرهم ممن استمالهم وانفق فيهم ان يهجموا داره ويقتلوه. وكان شهر رمضان (١٥)، والقوم قد اجتمعوا في دار بالقرب من دار الملك العادل ينتظرون توسط الليل وافتراق اصحاب العادل. وانا تلك الليلة عنده

فلما فرغ الناس من العشاء وافترقوا، وقد بلغه الخبر من بعض المعاملين (١٦) عليه، احضر رجلين من غلمانہ وامرهم ان يهجموا عليهم الدار التي هم فيها مجتمعون. وكانت الدار، لما اراده الله من سلامة بعضهم، لها بابان: الواحد قريب من دار العادل، والاخر بعيد. فهجمت الفرقة الواحدة من الباب القريب، قبل وصول اصحابهم الى الباب الاخر، فانهزموا وخرجوا من ذلك الباب. وجاءني منهم في الليل من صبيان الخاص نحو عشرة رجال (١٧)، كانوا اصدقاء غلماني نخبوءهم. واصبح البلد فيه الطلب لاولئك المنهزمين، ومن ظفر بهم منهم قتل

أسامة يخلص زنجياً

وعجيب ما رأيت في ذلك اليوم أن رجلاً من السودان الذين كانوا في العملة انهزم السى علو داري، والرجال بالسيوف خلفه، فاشرف على القاعة من ارتفاع عظيم. وفي الدار شجرة نبق كبيرة. فقفز من السطح الى تلك الشجرة، فثبت عليها. ثم نزل ودخل من كم مجلس قريب منه فوطيء على منارة نحاس، فكسرهما، ودخل الى خلف رحل في المجلس اختبى (١٨) فيه

واشرف اولئك الذين كانوا خلفه. فصحت عليهم واطلعت اليهم

(١٥) كانون الثاني سنة ١١٥٠

(١٦) «المعجلين» طبعة درنبرغ ص ٦

(١٧) «رحاله» في الاصل

(١٨) كذا في الاصل

الغلمان، دفعوهم • ودحلت الي ذلك الاسود • فنزع كساء كان عليه وقال
«خذ لك» • قلت «اكثر الله خيرك • ما احتاجه» • واخرجه وسيرت معه
قوماً من غلماني، فنجا

مزور التوقيع تُضرب رقبته

وجلس في صفّة في دهليز داري • فدخل عليّ شابّ سلّم وجلس •
فرأيتُه حسن الحديث حسن المحاضرة • هو يتحدّث وانسان استدعاء
فمضى معه ونفّدت خلفه غلاماً يبصر لماذا استدعي • وكنت بالقرب من
دار العادل • فساعة ما حضر ذلك الشابّ بين يدي العادل امر بضرب
رقبه • فقتل • وعاد الغلام، وقد استخبر عن ذنبه، فقيل له «كان يزور
التواقيع» • فسبحان مقدّر الاعمار وموقت الاجال
وقتل في الفتنة جماعة من المصريين والسودان

أسامة بهمة حربية لدى نور الدين

[٣] وتقدّم اليّ الملك العادل، رحمه الله، بالتّجهز للمسير الي
الملك العادل نور الدين (١٩)، رحمه الله، وقال «تأخذ معك مالا وتمضي
اليه ليازل طبريّة، وينغل الفرنج عنّا، لنخرج من هاهنا نخرب غزّة» •
وكان الافرنج، حذلهم الله، قد شرعوا في عمارة غزّة (٢٠) ليحاصروا
عسقلان • قلت «بامولاي، فان اعتذر او كان له من الاشغال ما يعوقه، ايّ
شيء تأمرني؟» قال «ان نزل عليّ طبريّة، فاعطه المال الذي معك • وان
كان له مانع، فدَيّون من قدرت عليه من الحند واطلع الي عسقلان اقم
بها في قتال الافرنج، واكتب اليّ بوصولك لاّمرك بما تعمل»
ودفع اليّ سِتّة آلاف (٢١) دينار مصريّة، وحمل جمل ثياب

(١٩) ابن امانك ريكى وخلفه سنة ١١٤٦

(٢٠) بالدون الثالث Baldwin ملك اورشليم شرع بعمارة غزّة عام ١١٤٩ أو

ديقي (٢٢) وسقلاطون (٢٣) ومنسجب (٢٤) ودمياطي (٢٥) وعمائم •
ورثب معي قوماً من العرب ادلاءً

وسرت وقد ازاح (٢٦) علّة سفري بكلّ ما احتاجه من كثير وقليل •
فلماً دنونا من الجفّر (٢٧) قال لي الادلاء «هذا مكان لا يكاد يخلو من
الافرنج» • فامرت اثنين من الادلاء ركبا مهريين وسارا قدّامنا الى
الجفّر • فما لبثا ان عادا، والمهاري (٢٨) تطير بهما، وقال «الفرننج
على الجفّر!» فوقفت وجمعت الجمال التي عليها ثقلي ورفاقاً من السفّارة
كانوا معي، وردهتهم الى الغرب • وندبت سّة فوارس من ممالكي وقلت
«تقدمونا، وانا في اتركهم» • فساروا يركضون وانا اسير خلفهم • فعاد اليّ
واحد منهم وقال «ما على الجفّر احد • ولعلّهم ابصروا عرباً» (٢٩) •
وتنازع هو والادلاء • فنقذت من ردّ الجمال، وسرت

فلماً وصلت الجفّر، وفيه مياه وعشب وشجر، فقام من ذلك العشب رجل
عليه ثوب اسود، فاخذناه • وتفرّق اصحابي فاخذوا رجلاً اخر وامراتين
وصياناً (٣٠) • فجاءت امرأة منهن مسكت نوبي وقالت «ياشيخ، انا فسي
حسبك» • قلت «انت آمنة • ما لك؟» قالت «قد اخذ اصحابك لسي ثوباً
وناهقاً ونايحاً وحرزة» • قلت لغلماني «من كان اخذ شيئاً يردّه» •

(٢٢) دبيق واسمها اليوم دبيح بلدة في مقاطعة دمياط من الدلتا اشتهرت بجودة
افسنتها

(٢٣) كلمة يونانية تُطلق على ثياب كتّان موشية

(٢٤) فرو يُسَخّد من جلود السنجاب

(٢٥) امتازت دمياط في العهد الفاطمي بصناعة الاقمشة الحريرية والكتّانية المقصّبة •

«الخطط» للمقرزي (طبعة غاسنون ويت ١٩٢٢) ٣: ٢٠٠

(٢٦) «أراح»

(٢٧) واحة بين مصر وفلسطين

(٢٨) الجمع بدل المثني • عاوية

(٢٩) «عربان» في الاصل • «غربان» طعة درنبورغ ص ٨

(٣٠) «وصيان» في الاصل

فاحضر علام قطعة كساء لعل (٣١) طول ذراعين . قالت «هذا الثوب» .
واحضر آخر قطعة سنندروس (٣٢) . قالت «هذه الخرزة» . قلت
«فالحمار والكلب؟» قالوا «الحمار قد ربطوا يديه ورجليه، وهو مرمي
في العشب . والكلب مفلوت (٣٣) يعدو من مكان الى مكان»

فجمعتهم ورأيت بهم من الضرّ امرّاً عظيماً: قد يبست جلودهم على
عظامهم . قلت «ايش (٣٤) انتم؟» قالوا «نحن من [٣ ق] بني أبي» .
وبنو أبي فرقة من العرب من طيء لا يأكلون الا الميته (٣٥) ويقولون
«نحن خير العرب . ما فينا مجذوم ولا ابرص ولا زمن ولا اعمى» . واذا
نزل بهم الضيف ذبحوا له واطعموه من غير طعامهم . قلت «ما جاء بكم الى
هاهنا؟» قالوا «لنا بحسسمى (٣٦) كتول ذرة مطمورة جثنا نأخذها» . قلت
«وكم لكم هنا؟» قالوا «من عيد رمضان لنا هاهنا، ما رأينا الزاد باعيننا» . قلت
«فمن اين تعينون؟» قالوا «من الرمة (يعنون العظام البالية الملقاة) ندقها
ونعمل عليها الماء وورق القطف (شجر بتلك الارض) ونتقوت به» .
قلت «فكلابكم وحمركم؟» قالوا «الكلاب نطعمهم (٣٧) من عيشنا،
والحمر تأكل الحنيش» . قلت «فلم لا دخلتم الى دمشق؟» قالوا «خفنا
الوباء» . ولا وباء اعظم مما كانوا فيه! وكان ذلك بعد عيد الاضحى (٣٨)
فوقفت حتى جاءت الجمال، واعطيتهم من الزاد الذي كان معنا . وقطعت
فوطه كانت على رأسي اعطيتها للسراء تين . فكادت عقولهم تزول من فرحهم
بالزاد . وقلت «لا تقيموا هاهنا يسبوكم الافرنج»

(٣١) كذا في الاصل . والاصح «لعلها»

(٣٢) كلمة فارسية تطلق على صمغ من الشجر او معدن شبيه بالكهرباء

(٣٣) «مقلوب» طبعة دربورغ ص ٨

(٣٤) استعمال عامي لم يزل دارجاً لليوم في بلاد الشام

(٣٥) حرّمها القرآن ٥: ٤

(٣٦) او «حسباء» في القسم الجنوبي من البادية السورية والسفالي من الحجاز

(٣٧) عامية فصيحها «نطعمها»

(٣٨) فالقصة اذن قد مضى عليها اكثر من شهر بن وهي في الصحراء

فطنة دليل

ومن طريف ما جرى لي فسي الطريق انني نزلت ليلة اصلي المغرب والعشاء قصرًا وجمعًا (٣٩) • وسارت الجمال • فوقفت على رفعة من الارض وقلت للغلمان «تفرقوا فسي طلب الجمال، وعودوا اليّ» • فانا ما ازول من مكاني • فتفرقوا وركضوا كذا وكذا فمارأوهم • فعادوا كلهم السي وقالوا «ما لقيناهم • ولا ندري كيف مضوا» • فقلت «نستعين بالله تعالى ونسير على النوء» • فسرنا ونحن قد اشرفنا من انفرادنا عن الجمال في البرية على امر صعب

وفي الادلاء رجل يقال له جزية (٤٠) فيه يقظة وفطنة • فلما استبطنا علمنا اننا قد تهنا عنهم • فاخرج قداحة وجعل يقدح، وهو على الجمل، والسرار من الزند يتفرق كذا وكذا • فرائنا على البعد • ففصدنا النار حتى لحقناهم • ولولا لطف الله وما الهمة ذلك الرجل كنا هلكنا

خرج المال يضيع

ومما جرى لي في تلك الطريق ان الملك العادل، رحمه الله، قال لي «لا تعلم الادلاء الذين معك بالمال» • فجعلت اربعة آلاف (٤١) دينار في خرج على بغل سروجي مجنوب معي وسلمته الى غلام وجعلت الف دينار ونفقة لي وسر فسار دنانير (٤٢) مغربية في خرج على حصان مجنوب معي وسلمته الى غلام • فكنت اذا نزلت جعلت الاخراج في [٤] و [وسط بساط، ورددت طرفيه عليها، وبسطت فوقه بساطاً (٤٣) اخر، وانام على الاخراج واقوم وقت الرحيل قبل اصحابي • يجيء الغلامان اللذان معهما التخرجان

(٣٩) اي انه ركع اثنين بدل الاربع وجعل صلاة المغرب وصلاة العشاء واحده

(٤٠) «جرية» في الاصل

(٤١) «الف» في الاصل

(٤٢) كذا في الاصل • وربما كان الصواب «وسر فسار ذهب ودنانير» • سرفسار

تعريف «سرفسار» الفارسية ومعناها رأس العنان الذي يسك باليد

(٤٣) «بساط» في الاصل

فیتسلّمٰنهما • فاذا شدّاهما علی الجنائب ركبت وایقظت اصحابي، تهمّنا بالرحيل

فزلنا ليلة في تيه بني اسرائيل • فلمّا قمت للرحيل جاء الغلام الذي معه البغل المجنوب اخذ الخرج وطرحه على وركبي البغل ودار يريد يثدّه بالسّموط • فزلّ البغل وخرج يركض وعليه الخرج • فركبت حصاني، وقد قدّمه الركابيّ، وقلت لواحد من غلماني «اركب • اركب» • وركضت خلف البغل فما لحقته، وهو كأنّه حمار وحش، وحصاني قد اعى من الطريق • ولحقني الغلام، فقلت «اتبع البغل كذا» • فمضى وقال «والله، يامولاي، ما رأيت البغل • ولقيت هذا الخرج قد شلّته» • فقلت «للخرج كنت اطلب • والبغل اهون مفقود»

ورجعت الى المنزلة واذا البغل قد جاء يركض دخل في طوّالة الخيل ووقف • فكانه (٤٤) ما كان قصده الا تضييع اربعة آلاف (٤٥) دينار

مقابلة نور الدين

ووصلنا في طريقنا الى بصرى (٤٦) • فوجدنا الملك العادل نور الدين، رحمه الله، على دمشق • وقد وصل الى بصرى الامير اسد الدين شيركوه (٤٧)، رحمه الله • فسرت معه الى العسكر • فوصلته ليلة الاثنين، واصبحت تحدّثت مع نور الدين بما جئت به • فقال لي «يا فلان، اهل دمشق اعداء، والافرنج اعداء، ما آمن منهما اذا دخلت بينهما» • قلت له «فتأذن لي ان أدّيون من محرومي الجند قوماً آخذهم وارجع، وتنفذ معي رجلاً من اصحابك في ثلثين فارساً ليكون الاسم لك؟» قال «افعل» • فدّيونت الى الاثنين الاخر ثمانى (٤٨) مائة وستين فارساً واخذتهم •

(٤٤) «مكانه» طبعة دربورغ ص ١٠

(٤٥) «الف» في الاصل • وتكرارها بدل على ان «الف» كانت تُكتَب كذلك

(٤٦) إسكى شام من عمال حورن

(٤٧) عمّ صلاح الدين الايوبي

(٤٨) «ثمان» في الاصل

وسرت في وسط بلاد الافرنج ننزل بالبوق ونرحل بالبوق

الشق في مسجد الرقيم

وسير معي نور الدين الامير عين الدولة الياروقي (٤٩) في ثلثين فارساً فاجتزت في طريقني بالكهف والرقيم (٥٠). فنزلت فيه ودخلت صليت في المسجد، ولم ادخل في ذلك المضيق الذي فيه . فجاء امير من الاتراك الذين كانوا معي يقال له برشك (٥١) يريد الدخول في ذلك الشق الضيق . قلت «اي شيء تعمل في هذا؟ صل برأ» . قال «لا اله الا الله» . انا حرام اذا حتى لا ادخل في ذلك الشق الضيق! قلت «اي شيء تقول؟» قال «هذا الموضع [٤ ق] ما يدخل فيه ولد زنا - ما يستطيع الدخول» . فوجب قوله ان قمت دخلت في ذلك الموضع صليت، وخرجت، وانا - الله يعلم - ما اصدق ما قاله . وجاء اكثر العسكر فدخلوا وصلوا

ومعي في الجند براق (٥٢) الزبدي معه عبد له اسود دين كثير الصلاة، ادق ما يكون من الرجال واذبهم . فجاء الي ذلك الموضع، وحرص بكل حرص على الدخول، فما قدر يدخل . فبكى المسكين وتوجع وتحسر، وعاد بعد الغلبة عن الدخول

موقعة مع الافرنج في عسقلان

فلماً وصلنا عسقلان سحر، ووضعنا اثقالنا عند المصلتي، صبحونا [كذا] الافرنج عند طلوع الشمس . فخرج الينا ناصر الدولة ياقوت، والي عسقلان، فقال «ارفعوا، ارفعوا اثقالكم» . قلت «تخاف لا يغلبونا (٥٣) الافرنج عليها» . قال «نعم» . قلت «لا تخف» . هم يروننا في البرية

(٤٩) امير تركي كان سابقاً في خدمة زنكي

(٥٠) البترا . راجع القرآن ٨:١٨

(٥١) «رئك» في الاصل

(٥٢) «راق» في الاصل

(٥٣) كذا . والمقصود «لثلاً يعلبا»

ويعارضوننا، الى ان وصلنا الى عسقلان، ما خفناهم . نخافهم الان ونحن عند
مدينتنا»

ثم ان الافرنج وقفوا على بُعد ساعة . ثم رجعوا الى بلادهم جمعوا
لنا وجاءونا بالفارس والراجل والخيم يريدون منازل عسقلان . فخرجنا
اليهم، وقد خرج راجل عسقلان . فدرتُ على سرب الرجالة وقتلت
«يا اصحابنا، ارجعوا الى سوركم، ودعونا وايّاهم . فان نصرنا عليهم فاتم
تلحقونا . وان نصرنا علينا كنتم اتم سالمين عند سوركم» . فامتنعوا من
الرجوع . فتركهم ومضيت الى الافرنج، وقد حطوا خيامهم ليضربوها .
فاحتطنا بهم، واعجلناهم عن طي خيامهم . فرموا كما هي منشورة وساروا
راجعين

فلما انفسحوا عن البلد تبعهم من الطفوليين (٥٤) اقوام ما عندهم منعة
ولا غنا . فرجع الافرنج حملوا على اولئك فقتلوا منهم نفراً . فانزمت
الرجالة، الذين رددتهم فما رجعوا، ورموا تراصهم . ولقينا الافرنج،
فرددناهم . ومضوا عائدين الى بلادهم وهي قريبة من عسقلان
وعاد الذين انهزموا من الرجالة يتلاومون، وقالوا «كان ابن منقذ اخبر
منا . قال لنا ارجعوا، ما فعلنا حتى انهزمتنا واقتضحنا»

موقعة أخرى في بيت جبريل

وكان اخي عز الدولة ابو الحسن علي (٥٥)، رحمه الله، في جملة من
سار معي من دمشق هو واصحابه الى عسقلان . وكان، رحمه الله، من فرسان
المسلمين يقاتل للدين لا للدنيا . فخرجنا يوماً من عسقلان نريد الغارة

(٥٤) الكلمة نصف محوّة في الاصل . «المستوليين» طبعة درنبرغ ص ١٢،
«التولين» في كتابه *Ousāma Ibn Mounkīdh* (باريز ١٨٨٩) ص ٦٢٥ .

«المستوليين - المستالين» في لاندبرغ ص ١٧

(٥٥) اخو أسامة الأكبر

على بيت جببريل (٥٦) وقتالها . فوصلناها وقاتلناهم . [٥] و رأيت عند رجوعنا على البلد غلّة كبيرة . فوقفت في اصحابي وقدحنا ناراً و طرحناها في اليبادر . وصرنا نتنقل من موضع الى موضع، ومضى العسكر تقدمني . فاجتمع الافرنج، لعنهم الله، من تلك الحصون، وهي كلها متقاربة وفيها خيل كثيرة للافرنج، لمغادة عسقلان ومراوتها . وخرجوا على اصحابنا

فجاءني فارس منهم يركض وقال «قد جاء الافرنج!» فسرت الى اصحابنا وقد وصلهم اوائل الفرنج . وهم، لعنهم الله، اكبر الناس احترازاً في الحرب . فصعدوا على رابية وقفوا عليها . وصعدنا نحن على رابية مقابلهم . وبين الرابتين فضاء . اصحابنا المنقطعون واصحاب الجنائب عبور تحتهم، لا ينزل اليهم منهم فارس خوفاً من كمين او مكيدة . ولو نزلوا اخذوهم عن آخرهم . ونحن مقابلهم في قلّة، وعسكرنا قد تقدمنا منهم . وما زال الافرنج ووقفاً على تلك الرابية الى ان انقطع عبور اصحابنا . ثم ساروا الينا . فاندفعنا بين ايديهم - والقتال بيننا - لا يجدون في طلبنا، ومن وقف فرسه قتلوه، ومن وقع اخذوه . ثم عادوا عنا . وقدّر الله سبحانه لنا بالسلامة باحترازهم . ولو كنا في عددهم ونصرنا عليهم، كما نصرنا علينا، كنا افيناهم

مهاجمة يُبني

فأقمت بعسقلان لمحاربة الافرنج اربعة اشهر هجمنا فيها مدينة يُبني (٥٧) وقتلنا فيها نحو مائة نفس واخذنا منها اسارى

مقتل اخي أسامة

وجاءني بعد هذه المدّة كتاب الملك العادل، رحمه الله، يستدعيني .

(٥٦) او «بيت جببرين» . وهي في منتصف الطريق بين غزة واورشليم .

ياقوت ١: ٧٧٦

(٥٧) «سُما» في الامل . وهي فرضة بحرية في فلسطين ذكرها يشوع ١١: ١٥

واخبار الايام الثاني ٦: ٢٦

فسرت السى مصر وبقي اخي عزّ الدولة ابو الحسن عليّ، رحمه الله، بعسقلان. فخرج عسكرها السى قتال غزّة فاستشهد، رحمه الله، وكان من علماء المسلمين وفرسانهم وعبّادهم

اغتيال ابن السّار

وامّا الفتنة التي قُتل فيها الملك العادل بن السّار، رحمه الله، فانه كان جهّز عسكراً الى بليّيس (٥٨)، ومقدمه ابن امرأته ركن الدين عبّاس بن ابي الفتح بن تميم بن باديس، لحفظ البلاد من الافرنج، ومعه ولده ناصر الدين نصر بن عبّاس، رحمه الله. فاقام مع ابيه في العسكر ايّاماً. ثم دخل الى القاهرة بغير اذن من العادل ولا دستور. فانكر عليه ذلك وامره بالرجوع السى العسكر، وهو يظنّ انه دخل القاهرة للعب والفرجة [٥ ق] وللضجر من المقام في العسكر

وابن عبّاس قد رتبّ امره مع الظافر، ورتبّ معه قوماً من غلماناه، يهجم بهم على العادل في داره اذا ابرّد في دار الحرّم ونام، فيقتله. وقرّر مع استاذ من استاذي (٥٩) دار العادل ان يُعلمه اذا نام. وصاحبة الدار امرأة العادل جدّته، فهو يدخل اليها بغير استئذان

فلمّا نام العادل اعلمه ذلك الاستاذ بنومه. فهجم عليه في البيت الذي هو نائم فيه، ومعه ستّة نفر من غلماناه، فقتلوه، رحمه الله. وقطع رأسه وحمله الى الظافر. وذلك في يوم الخميس السادس من المحرّم سنة ثمان واربعين وخمسة مائة (٦٠). وفي دار العادل من مماليكه واصحاب النوبة نحو من الف رجل. لكنهم في دار البلام، وهو قُتل في دار الحرّم فخرجوا من الدار ووقع القتال بينهم وبين اصحاب الظافر وابن عبّاس الى ان رفع رأس العادل على رمح. فساعة ما راوه انقسموا فرقتين: فرقة

(٥٨) «بليّيس» في العامية. وموقعها الى الشمال الشرقي من القاهرة

(٥٩) الفلقشندي ٣: ٤٨٤ - ٤٨٥

(٦٠) ٤ بيان سنة ١١٥٣

أسامة في مصر

١٩

خرجت من باب القاهرة السى عبّاس لخدمته وطاعته، وفرقة رمت السلاح وجاءوا الى بين يدي نصر بن عبّاس قبلوا الارض ووقفوا في خدمته

عبّاس يتولّى الوزارة

واصبح والده عبّاس دخل القاهرة وجلس في دار الوزارة . وخلع عليه الظافر وقوض اليه الامر . وابنه نصر (٦١) مخالطه ومعاشره، وابوه عبّاس كارهٌ لذلك مستوحش من ابنه، لعلمه بمذهب القوم في ضربهم بعض الناس ببعض حتى يفنّوهم ويحوزوا كلّمنا لهم: حتى يتفانوا . فاحضرا نبي ليلة وهما في خلوة يتعاتبان، وعبّاس يردّد عليه الكلام، وابنه مطرق كأنه نمر يردّد عليه كلمة بعد كلمة يشاط منها عبّاس ويزيد في لومه وتأنيبه . فقلت لعبّاس «يامولاي الأفضل، كم تلوم مولاي ناصر الدين وتوبّخه وهو ساكت؟ اجعل الملامّة لي . فانا معه في كلّ ما يعمله، ما ابرأ من خطاه ولا صوابه . اي شيء هو ذنبه؟ ما اساء الى احد من اصحابك، ولا فرط في شيء من مالك، ولا قدح في دولتك . خاطر بنفسه حتى نلت هذه المنزلة . فما يستوجب منك اللائمة» . فامسك عنه والده، ورعى لي ابنه ذلك

الخليفة يحرق ابن عبّاس على ابيه

وشرع الظافر مع ابن عبّاس في حمله على قتل ابيه، ويصير في الوزارة مكانه . وواصله بالعطايا الجزيلة . فحضرته يوماً وقد ارسل اليه عشرين صينيّة فضّة فيها عشرون الف دينار . ثم اغفله ايّاماً وحمل اليه من الكسوات من كلّ نوع [٦ و] ما لا رأيت مثله مجتمعاً قبله . واغفله ايّاماً . وبعث اليه خمسين صينيّة فضّة فيها خمسون الف دينار . واغفله ايّاماً . وبعث اليه ثلثين بغلاً رجلاً (٦٢) واربعين جملاً بعددها وغرّاثرها وحبّالها .

(٦١) ابو شامة «كتاب الروصنين في اخبار الدولتين» (مصر ١٢٨٧ - ٨٨) ١: ٩٧ - ٩٨ ينقل عن أسامه مختصراً من هنا الى رأس ص ٢٧ ادناه

(٦٢) «بغل رجل» في الاصل

وكان يتردد بينهما رجل يقال له مُرتفع بن فحل . وانا مع ابن عباس لا
 يفسح لي في الغيبة عنه ليلاً ولا نهاراً: انا م ورأسي على رأس مخدته
 فكنت عنده ليلة، وهو في دار الشابورة، وقد جاء مرتفع بن فحل .
 فتحدثت معه الى ثلث الليل، وانا معتزل عنهما ثم انصرف . فاستدعاني
 وقال «ابن انت؟» قلت «عند الطاقسة اقرأ القرآن . فاني اليوم ما تفرغت
 اقرأ» . فابتدأ يفاتحني بشيء مما كان فيه ليصر ما عندي في ذلك، ويريد
 بي أقوى عزمه على سوء ما قد حمله عليه الظافر . فقلت «يامولاي، لا
 يسترلك الشيطان وتتخدع لمن يغررك . فما قتل والدك مثل قتل العادل .
 فلا تفعل شيئاً تلعن عليه الى يوم القيامة» . فاطرق، وقاطعني الحديث .
 ونمنا

فاطلع والده على الامر، فلاطفه، واستماله، وقرر معه قتل الظافر

الوزير يقتال الخليفة

وكانا يخرجان في الليل متكرين، وهما اتراب، وسنهما واحد . فدعاه
 الى داره، وكانت في سوق السوفيين (٦٣)، ورثب من اصحابه نفرًا في
 جانب الدار . فلما استقر به المجلس خرجوا عليه فقتلوه . وذلك ليلة
 الخميس سلخ المحرم سنة تسع واربعين وخمس مائة (٦٤) . ورماه في جب
 في داره . وكان معه خادم له اسود لا يفارقه يقال له سعيد الدولة، فقتلوه
 واصبح عباس جاء الى القصر كالعادة للسلام يوم الخميس . فجلس
 في خزانة في مجلس الوزارة كأنه ينتظر جلوس الظافر للسلام . فلما
 جاوز وقت جلوسه استدعى زمام القصر وقال «ما لمولانا ما جلس للسلام؟»
 فتبلى الزمام في الجواب . فصاح عليه وقال «مالك لا تجاوبني؟» قال
 «يامولاي مولانا ما ندري اين هو» . قال «مثل مولانا يضيع؟ ارجع
 فاكشف الحال» . فمضى ورجع وقال «ما وجدنا مولانا» . فقال عباس «ما

(٦٣) «السوفيين» في الاصل

(٦٤) ١٥ نيسان سنة ١١٥٤

يبقى الناس بلا خليفة • ادخلُ السى الموالى اخوته يخرج منهم واحد نبايعه» • فمضى وعاد وقال «الموالى يقولون لك نحن مالنا فى الامر شىء • والده عزله عنا وجعله فى الظافر • والامر لولده بعده» • قال «اخرجوه حتى نبايعه»

مبايعة ابن الظافر

وعباس قد قتل الظافر وعزم على [٦ ق] ان يقول «اخوته قتلوه» ويقتلهم به • فخرج ولد الظافر، وهو صبيّ محمول على كنف استاذ من استاذي القصر • فاخذة عباس، فحمله، وبكى الناس • ثم دخل به، وهو حامله، السى مجلس ابيه، وفيه اولاد الحافظ: الامير يوسف، والامير جبريل، وابن اخيهم الامير ابو البقى (٦٥)

الاجهاز على أسرة الخليفة

ونحن فى الرواق جلوس، وفى القصر اكثر من الف رجل من المصريين فما راعنا الافوج قد خرج من المجلس الى القاعة، وصوت السيوف على انسان • فقلت لغلام لي ارمنيّ «ابصر من هذا المقتول» • فمضى ثم عاد وقال «ما هاؤلاء مسلمون! هذا مولاي ابو الامانة (يعني الامير جبريل) قد قتلوه، وواحد قد شقّ بطنه يجذب مصارينه» • ثم خرج عباس، وقد اخذ رأس الامير يوسف تحت ابطه ورأسه مكشوف، وقد ضربه بسيف والدم يفور منه • واو البقى ابن اخيه مع نصر بن عباس • فادخلوهما (٦٦) فى خزانة فى القصر وقتلوهما، وفى القصر الف سيف مجرّدة (٦٧) وكان ذلك اليوم من اشدّ الايام التى مرت بي، لما جرى فيه من البغي القبيح الذى ينكره الله تعالى وجميع الخلق

(٦٥) «ابو البقاء» ابو شامة ٩٨:١

(٦٦) «فادخلوهما» فى الاصل

(٦٧) «مجرّدة» ابو شامة ٩٨:١

بواب يموت جزعاً

وكان من طريف ما جرى ذلك اليوم ان عباساً لمّا اراد الدخول الى المجلس وجد بابه قد قفل من داخل . وكان يتولّى فتح المجلس وغلقه استاذ شيخ يقال له امين الملك . فاحتالوا في الباب حتى فتحوه . ودخلوا فوجدوا ذلك الاستاذ خلف الباب، وهو ميت، وفي يده المفتاح

عبّاس يقمع الثورة

وامّا الفتنة التي جرت بمصر ونُصر فيها عبّاسٌ على جند مصر فانه لمّا فعل باولاد الحافظ، رحمه الله، ما فعل جفت عليه قلوب الناس واضمروا فيها العداوة والبغضاء . وكاتب من فسي القصر من بنات الحافظ فارس المسلمين ابا الغارات طلائع بن رزّيك، رحمه الله، يسترخون [!] به . وحشد وخرج من ولايته (٦٨) يريد القاهرة . فامر عبّاس فعُمرت المراكب، وحُمل فيها الزاد والسلاح والخزّانة . وتقدّم الى العسكر بالركوب والمسير معه . وذلك يوم الخميس العاشر من صفر سنة تسع واربعين (٦٩) . وامر ابنه ناصر الدين بالمقام في القاهرة . وقال لي «تقيم معه»

فلمّا خرج من داره متوجّهاً الى لقاء ابن رزّيك خامر عليه الجند وغلقوا ابواب القاهرة . ووقع القتال بيننا وبينهم في الشوارع والازقة: خيالهم تقاتلنا في الطريق، ورجّالهم يرموننا [٧ و] بالنشّاب والحجارة من على السطوحات، والنساء والصبّيان يرموننا بالحجارة من الطاقات . ودام بيننا وبينهم القتال من ضحى نهار الى العصر . فاستظهر عليهم عبّاس . وفتحوا ابواب القاهرة وانهزموا . ولحقهم عبّاس الى ارض مصر فقتل منهم من قتل وعاد الى داره وامره ونهيه

(٦٨) مئبة بسى الخصب في صعيد مصر

(٦٩) وحساميه . ٢٦ نيسان سنة ١١٥٤

وامر باحراق البرقيّة (٧٠) لانها مجمع دور الاجناد . فتلطّفت الامر معه وقلت «يامولاي، اذا وقعت النار احرق ما تريد وما لا تريد . وبعثت عن ان تطفئها» . ورددت رأيه عن ذلك واخذت الامان للامير الموءتمّن بن ابي رمادة، بعد ان امر بتلافه، واعتذرت عنه . فصفح عن جرمه

عبّاس يفرّ الى الشام

ثم سكت تلك الفتنة، وقد ارتاع منها عبّاس، وتحقّق عداوة الجند والأمراء، وانه لا مقام له بينهم . ونبت في نفسه الخروج من مصر وقصد الشام الى الملك العادل نور الدين، رحمه الله، يستجد به . والرسل بين من في القصور (٧١) وبين ابن رزيك مترددة . وكان بيني وبينه، رحمه الله، مودة ومخالطة من حين (٧٢) دخلت ديار مصر . ففدّ اليّ رسولا يقول لي «عبّاس ما يقدر على المقام بمصر، بل هو يخرج منها الى الشام، وانا امك البلاد . وانت تعرف ما بيني وبينك، فلا تخرج معه . فهو بحاجته اليك في الشام يرغبك ويخرجك معه . فالله الله لا تصحبه . فان شريك في كل خير اناله» . فكان الشياطين وسوس لعبّاس بذلك، او توهّمه لما يعلمه بيني وبين ابن رزيك من المودة

فامّا الفتنة التي خرج فيها عبّاس من مصر وقتله الافرنج فانه لما توهّم من امري وامر ابن رزيك ما توهّمه، او بلغه، احضرتني واستحلفني بالأيمان المغلّظة التي لامخرج (٧٣) منها انني اخرج معه واصحبه . ولم يقنعه ذلك حتى نفد في الليل استاذ داره الذي يدخل على حرمه اخذ اهلي ووالدتي واولادي الى داره، وقال لي «انا احمل كلفتهم عنك في الطريق، واحملهم مع والدته ناصر الدين»

(٧٠) حيّ في شرفي القاهرة تقيم فيه فرقة أصل انفارها من برقة

(٧١) اي بين أنسباء الخليفة

(٧٢) «حيث» طبعة درنبورغ ص ١٧

(٧٣) «مخرج» طبعة درنبورغ ص ١٧

واهتم بامر سفره بخيله وجماله وبغاله • فكان له مائتا حصان وحجارة
مجنوبة على ايدي الرجال، كعادتهم بمصر، ومائتا بغل رحل، واربع مائة
جمل تحمل اثقاله

وكان كثير اللهج بالنجوم، وهو معول على المسير بالطالع يوم السبت
الخامس عشر من ربيع الاول من السنة (٧٤) • فحضرته وقد دخل عليه غلام
يقال له عتر (٧٥) الكبير، وهو متولّي اموره كبيرها وصغيرها، فقال له
«يامولاي، اي شيء مرجو من مسيرنا الى الشام؟ خذ خزائنا واهلك
وغلمانك. ومن [٧ ق] تبعك وسر بنا الى الاسكندرية، نحشد من هناك
ونجمع، ونرجع الى ابن رزّيك ومن معه • فان نصرنا عدت الى دارك
والى ملكك • وان عجزنا عنه عدنا الى الاسكندرية الى بلد نحتمي فيه
ويمتنع على عدونا» • فتهرر وخطأ رأيه، وكان الصواب معه

ثم اصبح يوم الجمعة استدعاني من بكرة • فلما حضرت عنده قلت
«يامولاي، اذا كنت عندك من الفجر الى الليل فمتى اعمل شغل سفري؟»
قال «عندنا رسل من دمشق، تسيّرهم وتمضي تعمل شغلك»

المكيّة صد عبّاس

وكان قبل ذلك احضر قوماً من الامراء واستحلفهم انهم لا يخونونه ولا
يخامرون عليه • واحضر جماعة من مقدمي العرب من درماء وزريق
وجذام وسنيسس وطلحة وجعفر ولواتة واستحلفهم بالمصحف والطلاق
على مثل ذلك • فما راعنا، وانا عنده بكرة الجمعة، الا والناس قد لبسوا
السلاح وزحفوا الينا وروّسهم الامراء الذين استحلفهم بالامس • فامر
بند دوابه فشدت وأوقفت على باب داره • فكانت بيننا وبين المصريين
كالسد لا يصلون الينا لاذحام الدواب دوننا

فخرج اليهم غلامه عتر الكبير الذي كان اثار عليه بذلك الرأي، وهو

(٧٤) ١٣٠ يار سه ١١٥٤

(٧٥) أو «عسر» كما ورد في «ديوان» أسامه وفي ابي شامة ٩٨٠١

زمامهم، صاح عليهم وشتمهم وقال «روحوا الى بيوتكم» • فسيبوا الدوابّ ومضى الركابيّة والمكارية (٧٦) والجمّالون (٧٧)، وبقيت الدوابّ مهملّة • ووقع فيها النهب

فقال لسي عبّاس «اخرج احضر الاتراك، وهم عند باب النصر (٧٨)، والكتّاب ينفقون فيهم» • فلما جتّهم واستدعيتهم ركبوا كلّهم، وهم في ثمانى (٧٩) مائة فارس، وخرجوا من باب القاهرة منهزمين من القتال • وركب المماليك، وهم اكثر من الاتراك، وخرجوا ايضاً من باب النصر • ورجعت اليه عرفته، ثم اشغلت باخراج اهلي الذين كان حملهم الي داره • فاخرجتهم واخرجت حرم عبّاس • فلما خلت الطريق ونهبت تلك الدوابّ باجمعها وصل المصريون اليها فاخرجوناه، ونحن في قلّة، وهم في خلق كثير

فلما خرجنا من باب النصر وصلوا الي الابواب اغلقوها وعادوا الي دورنا نهبوا • فاخذوا من قاعة دارى اربعين غرارة جمّالية (٨٠) مخاطة فيها من الفضة والذهب والكسوات شيء كثير • واخذوا من اصطبلى سته وثلثين حصاناً وبغلة سروجيّة بسروجها وعدتها كاملة وخمسة وعشرين جملاً • واخذوا من اقطاعى من كُوم اشفين مائتى رأس بقر للتّائين والى شية (٨١) واهراء غلّة

ولما سرنا عن باب النصر تجمّعت قبائل العرب الذين استحلّفهم عبّاس وقاتلونا من يوم الجمعة [٨] و [ضحى نهار السى يوم الخميس

(٧٦) عامية فصيحها «المكارون»

(٧٧) «والجمالين» في الاصل

(٧٨) ذكره المقرئى في «الخطط» ٢: ٩٢ و ١٧٤

(٧٩) «ثمان» في اصل

(٨٠) الجمّالية من النوق العظيمة

(٨١) «للنشأ بين والى شية» طبعة درنبرغ ص ١٩ • «اللبسايسن والومية»

لاندبرغ ص ١٨ • والكلمات غير واضحة في الاصل

العشرين من ربيع الأول (٨٢) . فكانوا يقاتلوننا النهار كله . فاذا جنّ الليل ونزلنا اغفلونا الى ان ننام، ثم يركبون في مائة فارس ويدفعون خيلهم في بعض جوانبنا ويرفعون اصواتهم بالصياح . فما نفر من خيلنا وخرج اليهم اخذوه

أسامة جريح

وانقطعت يوماً عن اصحابي وتحتي حصان ابيض، هو ادرى (٨٣) خيلي، شدة الركابي ولا يدري ما يجري، وما معي من السلاح غير سفي . فحمل عليّ العرب فلم أجد ما ادفعهم به، ولا ينتجني منهم حصاني، وقد وصلتني رماحهم . قلت «أنت عن الحصان واجدب سفي، ادفعهم» . فجمعت نفسي لائب، فتتبع الحصان . فوقعت على حجارة وارض خشنة، فانقطعت قطعة من جلدة رأسي ودخت حتى ما بقيت ادرى بما انا فيه . فوقف عليّ منهم قوم، وانا جالس مكشوف الرأس، غائب الذهن، وسفي مرمرى بجهازه . فضر بني واحد منهم صربتين بالسيف وقال «هات الوزن» وانا لا ادرى ما يقول . ثم اخذوا حصاني وسفي

ورآني الاتراك فعادوا اليّ . ونفّذ لي ناصر الدين بن عبّاس حصاناً وسيفاً وسرت وانا لا اقدر على عصابة اشدّ بها جراحي . فسبحان من لا يزول ملكه

وسرنا وما مع احد منا كفّ زاد . واذا اردت اشرب ماء ترجلت شربت بيدي، وقبل ان اخرج بليلة جلست فسي بعض دهاليز داري على كرسيّ وعرضوا عليّ ستّة عشر جملاً (٨٤) روايا وما شاء الله سبحانه من القرب والسطائح

وعجزت عن حمل اهلي . فرددتهم من بليس الى عند الملك الصالح ابي الغارات طلائع بن رزّيك، رحمه الله، فاحسن اليهم وانزلهم فسي دار

(٨٢) ٢٩ ايار - ٤ حزيران سنة ١١٥٤

(٨٣) عامية فصيحها «اردا»

(٨٤) «حسنة»؟

واجري لهم ما يحتاجونه . ولمّا اراد العرب الذين يقاتلوننا الرجوع عنا
جاؤونا يطلبون حَسْبَنَا اذا عُدْنَا(٨٥)

عبّاس يقتله الافرنج

وسرنا الى يوم الاحد ثالث وعشرين ربيع الاول فصَبَحْنَا(٨٦) الافرنج
في جمعهم على المُوَيْلِح(٨٧) فقتلوا عبّاساً وابنه حُسام الملك واسروا
ابنه ناصر الدين(٨٨) واخذوا خزائنه وحُرْمَتَه . وقتلوا من ظفروا به .
واخذوا اخي نجم الدولة ابا عبد الله محمداً(٨٩)، رحمه الله، اسيراً .
وعادوا عنا، ونحن قد تحصّنا عنهم في الجبال

مخاطر وادي موسى

فسرنا في اشدّ من الموت في بلاد الفرنج بغير زاد للرجال ولا علف
للخيل الى ان وصلنا [٨ ق] جبال بني فُهَيْد، لعنهم الله، في وادي موسى .
وظلنا في طرقات ضيقة وعرة الى ارض فسيحة ورجال وشياطين رجيمة من
ظفروا به منّا منفرداً قتلوه

وتلك الناحية لا تخلو من بعض بني ربيعة الامراء الطائين . فسألت
«من هاهنا من الامراء بني ربيعة؟» قالوا «منصور بن غيدق»(٩٠) . وهو
صديقي . فدفعت لواحد دينارين وقلت «امض الى منصور قل له «صديقك
ابن متقذ يسلم عليك ويقول لك صل اليه بكرة» . وبتنا في بيت سوء من
خوفهم

فلمّا اضاء الصبح اخذوا عدّتهم ووقفوا على العين وقالوا «ما ندعكم

(٨٥) «ثم حاؤا اليه واخذوا منه حسباً على اموالهم وانفسهم وبيوتهم ظناً منهم

ان له عودة اليهم» ابو شامة ٩٨:١

(٨٦) «فصحنونا» في الاصل . وذلك في ٥ حزيران سنة ١١٥٤

(٨٧) محطة في الصحراء على طريق مصر - فلسطين

(٨٨) كيفية قله والتمثيل به وصفها «تاريخ» ابن خلكان (القاهرة) ١٢٣:٢

(٨٩) «محمد» في الاصل

(٩٠) «عدول» في الاصل

تشربون ماءنا ونهلك نحن بالعطش» • وتلك العين تكفي ربيعة ومضر،
وكم في ارضهم مثلها، وانما قصدهم ان ينشئوا الشرّ بيننا وبينهم ويأخذونا •
فنحن فيما نحن فيه ومنصور بن غنفل وصل • فصاح عليهم وسبهم •
فتفرقوا • وقال «اركب» • فركبنا ونزلنا في طريق اضيح من الطريق
التي طلعت فيها واوعر • فنزلنا الى الوطى سالمين، وماكدنا نسلم • فجمعت
للأمير منصور الف دينار مصرية ودفعتها اليه، وعاد

في دمشق

وسرنا حتى وصلنا بلد دمشق بمن سلم من الأفرنج وبنو فهيد يوم الجمعة
خامس ربيع الآخر من السنة (٩١) • وكانت السلامة من تلك الطريق من
دلائل قدرة الله عزّ وجلّ وحسن دفاعه

قصة السرج

ومن عجب ما جرى لي في تلك الوقعة ان الظافر كان ارسل الى ابن
عبّاس رهواراً صغيراً مليحاً افرنجياً • وكنتُ قد خرجت الى قرية لي،
وابني ابو الفوارس مرهف عند ابن عبّاس، فقال «كنا نريد لهذا رهوار
سرجاً مليحاً من السروج الغزّية (٩٢)» • فقال له ابني «قد وجدته،
يامولاي، وهو فوق الغرض (٩٣)» • قال «ايين هو؟» قال «في دار خادمك
والدي • له سرج غزّيّ مليح» • قال «انفذ احضره» • فارسل رسولا الى
داري اخذ السرج، فاعجبه، وشدّ به على رهوار • وكان السرج طلع
معي من الشام على بعض الجنائب وهو منبتٌ مجرى بسواد في غاية الحسن
وزنه مائة مثقال وثلاثون مثقالاً (٩٤)

(٩١) ١٩ حزيران سنة ١١٥٤

(٩٢) اشتهرت غزّة لذلك العهد بصناعة السروج

(٩٣) «العرض» طبعة درنبورغ ص ٢١ • والغرض الحاجة والبغبة

(٩٤) لعلّ المقصود ان هذا وزن الذهب عليه

ووصلت انا من الاقطاع . فقال لي ناصر الدين «ادللنا (٩٥) عليك
واخذنا هذا السرج من دارك» . فقلت «يامولاي، ما اعدني بخدمتك!»
فلما خرج علينا الافرنج بالمويلح كان معي من ممالكي خمسة رجال
على الجمال اخذت العرب خيلهم . فلما وقع الافرنج (٩٦) بقيت الخيل
سائبة . فنزل الغلمان عن [٩] و [الجمال واعترضوا الخيل واخذوا منها
ما ركبهه . فكان على بعض الخيل التي اخذوها ذلك السرج الذهب الذي
اخذه ابن عباس

وكان حسام الملك ابن عم عباس، واخو عباس ابن العادل (٩٧) قد
سلما فيمن سلم متأ . وقد سمع حسام الملك خبر السرج فقال وانا اسمع
«كل ما كان لهذا المسكين (يعني ابن عباس) نُهَب . فمنه ما نهبه الافرنج،
ومنه ما نهبه اصحابه» . قلت «لعلك تعني السرج الذهب» . قال «نعم» .
فامرت باحضاره وقلت «اقرأ ما عليه . اسم عباس عليه واسم ابنه او
اسمي؟ ومن كان في مصر يقدر يركب بسرج ذهب في ايام الحافظ غيري؟»
وكان اسمي مكتوباً على دائر السرج بالسواد، ووسطه منبت . فلما قرأ
ما عليه اعتذر وسكت

عدم الاتعاط بنكبة رضوان

ولولا نفاذ المشيئة في عباس وابنه وعواقب البغي وكفر النعمة كان
اتعظ بما جرى قبله للأفضل رضوان بن الوكششي، رحمه الله . كان
وزيراً فقام الجند عليه بامر الحافظ كما قاموا على عباس . فخرج من
مصر يريد الشام ونهبت داره وحرمه حتى ان رجلاً يعرف بالقائد مقبل
رائي مع السودان جارية فاشتراها منهم وبغنها الى داره . وكانت له امرأة
صالحة . فاطلعت الجارية الى حجرة في علو الدار فسمعتها تقول «لعل

(٩٥) «أذللنا» في الامل . والمقصود اخذنا السرج بنوع الدائنة التي لنا عليك

(٩٦) عن خيولهم

(٩٧) هذا العادل هو الوزير ابن السلال

الله يظفرنا بمن بغي علينا وكفر نعمتنا» • فسألتها «من انت؟» فقالت «انا قطر الندى (٩٨) بنت رضوان» • فنقذت المرأة التي زوجها القائد (٩٩) مقبل احضرته وهو على باب القصر في خدمته • فعرفته حال البنت • فكتب الي الحافظ مطالعة، فعرفه بذلك • فنقذ من خدام القصر من اخذها من دار مقبل ورفعها الي القصر

أسامة بمهمة سياسية تجاه رضوان

ثم ان رضوان وصل الي صلخد، وفيها امين الدولة طغديكين (١٠٠) اتابك، رحمه الله • فآكرمه وانزله وخدمه • وملك الامراء اتابك زنكي ابن آقسنغر، رحمه الله، على بعلبك بحاصرها • فراسل رضوان واستقر انه يمضي اليه • وكان رجلاً كاملاً كريماً شجاعاً كاتباً عارفاً، وللعجند اليه ميل عظيم لكرمه • فقال لي الامير معين الدين (١٠١)، رضي الله عنه، «هذا الرجل ان انضاف الي اتابك دخل علينا منه ضرر كبير» • قلت «فأي شيء ترى؟» قال «تسير اليه لعلك ترد رأيه عن قصد اتابك • ويكون وصوله الي دمشق • وانت ترى فيما تفعله في هذا رأبك» • فسرت اليه الي صلخد واجتمعت به وباخيه الأوحد وتحدثت معهما • فقال لي الأفضل رضوان «فرط الأمر مني ورهنت قولتي عند [٩ ق] هذا السلطان بوصولي اليه، ولزمني الوفاء بقولي» • قلت «أفدك الله على خير! وانا اعود الي صاحبي، فانه ما يستغني عني، بعد ان اخرج اليك بما في نفسي» • قال «قل» • قلت «اذا وصلت الي اتابك، معه من العسكر ما ينفذ نصفه معك الي مصر ويبقى نصفه يحاصرنا به؟» قال «لا» • قلت «فاذا هو نزل علسي دمشق وحاصرها واخذها بعد المدّة الطويلة يقدر، وقد ضعف عسكره

(٩٨) «الندا» في الاصل • «الندا» طبعه درنبرغ ص ٢٢

(٩٩) القائد من كان تحت امرته مائة • الطبري «تاريخ» (ليدس ١٨٨٣ - ٨٤)

١٧٩٩ ٣

(١٠٠) ربما كان المراد «كسنتكيبين» لان طغديكين كان قد توفي قبل الان

(١٠١) معين الدين أنر، و رر دمشق

وَفَرَعَتْ نَفَقَاتِهِمْ وَطَالَتْ سَفَرَتُهُمْ، يَسِيرُ مَعَكَ إِلَى مِصْرَ قَبْلَ أَنْ يَجِدَ دَبْرَكَهُ وَيَقْوَى عَسْكَرَهُ؟» قَالَ «لَا». قُلْتُ «ذَلِكَ الْوَقْتُ يَقُولُ لَكَ «سِيرَ إِلَى حَلَبَ نَجْدَدُ آلَةِ سَفَرْنَا، فَإِذَا وَصَلْتُمْ إِلَى حَلَبَ قَالَ «نَمِضِي إِلَى الْفِرَاتِ (١٠٢) نَجْمِجُ التُّرْكَمَانَ، فَإِذَا نَزَلْتُمْ عَلَى الْفِرَاتِ قَالَ «إِنْ لَمْ نَعُدَّ الْفِرَاتَ مَا يَجْتَمِعُ لَنَا التُّرْكَمَانَ، فَإِذَا عَدَيْتُمْ تَشَوَّفُ بِكَ وَافْتَخِرَ عَلَى سُلَاطِينِ الشَّرْقِ وَقَالَ «هَذَا عَزِيزُ مِصْرَ (١٠٣) فِي خِدْمَتِي، وَتَسْمَى ذَلِكَ الْوَقْتُ أَنْ تَرَى حَجْرًا مِنْ حِجَارَةِ الشَّامِ فَلَا تَقْدِرُ عَلَيْهَا وَتَذْكُرُ حَيْثُذُ كَلَامِي وَتَقُولُ «نَصَحَنِي مَا قَبِلْتُ؟» فَاطْرُقْ مَفْكَرًا لَا يَدْرِي مَا يَقُولُ. ثُمَّ التَفْتُ إِلَى وَقَالَ «مَاذَا أَعْمَلُ؟ وَأَنْتَ تَرِيدُ تَرْجِعُ». قُلْتُ «إِنْ كَانَ فِي مَفَامِي مَصْلَحَةٌ أَقَمْتُ». قَالَ «نَعَمْ». فَاقَمْتُ

وَتَكَرَّرَ الْحَدِيثُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ حَتَّى اسْتَقَرَّ وَصَوْلَهُ السِّيَ دِمَشْقَ، وَإِنْ يَكُونُ لَهُ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ نِصْفَهَا نَقْدًا وَنِصْفَهَا إِقْطَاعًا، وَيَكُونُ لَهُ دَارُ الْعَقِيقِيِّ، وَيُخْرِجُ لِأَصْحَابِهِ دِيوَانَ. وَكُتِبَ لِي خَطُّهُ بِذَلِكَ، وَكَانَ كَاتِبًا حَسَنًا. وَقَالَ «إِنْ شِئْتَ سَرْتُ مَعَكَ». قُلْتُ «لَا، أَنَا أَسِيرُ وَمَعِيَ الْحَمَامُ مِنْ هَاهُنَا. فَإِذَا وَصَلْتُ وَأَخْلَيْتُ الدَّارَ وَرَبَّيْتُ الْأَمْرَ، طَيَّرْتُ إِلَيْكَ الْحَمَامَ وَسَرْتُ أَنَا فِي الْوَقْتِ الْمَالِكُ فِي نِصْفِ الطَّرِيقِ وَأَدْخَلَ بَيْنَ يَدَيْكَ». فَتَقَرَّرَ ذَلِكَ وَوَدَّعْتُهُ وَسَرْتُ

رضوان في حبس مصر

وَكَانَ أَمِينُ الدَّوْلَةِ يَشْتَهِي مَصِيرَهُ إِلَى مِصْرَ لِمَا قَدَّ وَعَدَهُ بِهِ وَأَطْمَعَهُ فِيهِ. فَجَمَعَهُ مَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ وَسَيَّرَهُ بَعْدَ مَفَارِقَتِي لَهُ. فَلَمَّا دَخَلَ حُدُودَ مِصْرَ (١٠٤) غَدَرَ بِهِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ مِنَ الْأَتْرَاكِ وَنَهَبُوا ثِقَلَهُ، وَالتَّجَأَ هُوَ إِلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ. وَرَأْسُ الْحَافِظِ وَطَلَبَ مِنْهُ الْأَمَانَ، وَعَادَ إِلَى مِصْرَ. فَسَاعَةَ وَصُولِهِ إِلَى مِصْرَ أَمَرَ بِهِ الْحَافِظُ فَحُبِسَ هُوَ وَوَلَدُهُ

(١٠٢) «القراء» في الاصل

(١٠٣) لُقِّ لِحُكَّامِ مِصْرَ بَعْدَ الْخُلْفَةِ الْفَاطِمِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ (٩٧٥ - ٩٩٦)

(١٠٤) أَيْلُولُ سَنَةِ ١١٣٩

واتَّفَقَ طلوعمي الى مصر (١٠٥) وهو فسي الحبس في دار فسي جانب القصر . فنقب بمسار حديد اربعة عشر ذراعاً وخرج ليلة الخميس، وله من الامراء نسيب قد عرف امره فهو عند القصر ينتظره ومصطنع له من لواته، ومشوا الى النيل عدوا الى الجيزة . واختبعت القاهرة لهروبهم . [١٠ و] واصبح في مَنْظَرَة فسي الجيزة والناس يجتمعون اليه . وعسكر مصر قد تاهَّب لقتاله . ثم اصبح بكرة الجمعة عدى الى القاهرة والعسكر المصري مع قِيَمَاز (١٠٦) صاحب الباب مدرّعين للقاء . فلَمَّا وصلهم هزمهم ودخل القاهرة

رضوان يقتله الحرس الفاطمي

و كنت قد ركبنا انا واصحابي الى باب القصر، قبل دخوله البلد، فوجدت ابواب القصر مغلقة وما عندها احد . فرجعت نزلت فسي داري . ونزل رضوان فسي الجامع الاقمر (١٠٧) . واجتمع اليه الامراء وحملوا اليه الطعام والنفقة . وقد جمع الحافظ قوماً من السودان فسي القصر شربوا وسكروا . وفتح لهم باب القصر فخرجوا يريدون رضواناً (١٠٨) . فلَمَّا وقع الصباح ركب الامراء كلهم من عند رضوان وتفرقوا وخرج هو من الجامع وجد حصانه قد اخذه الركابي وراح . فراه رجل من صبيان الخاص واقفاً على باب الجامع فقال « يامولاي، ما تركب حصاني؟ » قال « بلي » . فجاء اليه يركض وسيفه في يده . فاوماً كانه يميل للنزول وضر به بالسيف، فوقع . ووصله السودان قتلوه . وتقاسم اهل مصر لحمه باكلونه ليكونوا شجعاناً . فقد كان فيه معتبر (١٠٩) وواعظ لولا نفاذ المشيئة

(١٠٥) تشرين الثاني سنة ١١٤٤

(١٠٦) تاج الملوك قِيَمَاز . ولقبه «صاحب الباب» كان يُطلق على الوزير الثاني .

القلقشندي ٣: ٤٨٣

(١٠٧) بناء الخليفة الآمر سنة ١١٢٥

(١٠٨) «رضوان» في الاصل

(١٠٩) قابل عموان الكتاب «كتاب الاعتبار»

بالفصاد ينجو جريح

واصاب ذلك اليوم رجلاً من اصحابنا الشائمين جراح كثيرة • فجاءني اخوه وقال «اخي تالف» • قد وقع فيه كذا وكذا جرحُ سيوف وغيرها، وهو مغمور ما يفيق» • قلت «ارجع افسده» • قال «قد خرج منه عشرون رطل دم» • قلت «ارجع افسده، فانا اخبر منك بالجراح • وليس له دواء غير الفصاد» • فمضى غاب عني ساعتين ثم عاد وهو مستبشر، قال «انا فصدته، وهو افاق وجلس واكل وشرب وذهب عنه البؤس» • قلت «الحمد لله! ولولا اني جرت هذا في نفسي عدة مرار ما وصفته لك»

٤ - زيارة أسامة الثانية لدمشق

١١٥٤ - ١١٦٤م

ثم اتّصلت بخدمة الملك العادل نور الدين، رحمه الله . وكتب الملك الصالح (١) في تسيير اهلي واولادي الذين تخلّفوا بمصر، وكان محسناً اليهم . فردّ الرسول واعتذر بانه يخاف عليهم من الافرنج . وكتب اليّ يقول «ترجع الي مصر وانت تعرف ما بيني وبينك . وان كنت مستوحشاً من اهل القصر فتصل الي مكّة وأنفذ لك كتاباً بتسليم مدينة أسوان (٢) اليك، وامدك بما تقوى به على محاربة الحبشة (فأسوان تُغر من تغور المسلمين)، واسير اليك اهلك واولادك»

ففاوضت الملك العادل واستطلعت امره فقال «يافلان، ما صدقت متى تخلص من مصر وفتنها، تعود اليها! العمر أقصر من ذلك . انا [١٠ ق] انفذ آخذ لاهلك الامان من ملك الافرنج (٣) واسير من يحضرهم» . فانفذ، رحمه الله، اخذ امان الملك وصليبه في البر والبحر

أسرة أسامة بيد الافرنج

وسيرتُ الامان مع غلام لي وكتاب الملك العادل وكتابي الي الملك الصالح . فسيرهم في عشاري من الخاص الي دمياط . وحمل لهم كلّ ما يحتاجونه من النققات والزاد، ووصى بهم . وأقلعوا من دمياط في بطة (٤) من بطس الافرنج . فلما دنوا من عكا والملك، لا رحمه

(١) ابن رزيك

(٢) «أسوان» اليوم

(٣) بالدون الثالث ملك اورشليم ١١٤٢ - ٦٢

(٤) «بطة» في *Dozy, Supplément aux dictionnaires Arabes* «بطة» وهي المركب

الله، فيها نفذقوماً في مركب صغير كسروا البطسة بالفوموس (٥)، واصحابي يرونهم • وركب ووقف على الساحل نهب كل ما فيه
فخرج اليه غلام لسي سباحة، والامان معه وقال له «بامولاي الملك، ما هذا امانك؟» قال «بلي • ولكن هذا رسم المسلمين: اذا انكسر لهم مركب على بلد نهبه اهل ذلك البلد» • قال «فتسينا؟» قال «لا» • وانزلهم، لعنه الله، في دار وقتس النساء حتى اخذ كل ما معهم • وقد كان في المركب حلى اودعه النساء وكسوات وجوهر وسيوف وسلاح وذهب وفضة بنحو من ثلاثين الف دينار • فاخذ الجميع ونفذ لهم خمس مائة دينار وقال «توصلوا بهذه الى بلادكم» - وكانوا رجالا ونساء في خمسين نسمة
وكنت اذ ذاك مع الملك العادل في بلاد الملك مسعود (٦) رعبان وكيسون (٧) • فهون علي سلامة اولادي واولاد اخي • وحرمتنا ذهاب ما ذهب من المال، الا ما ذهب لي من الكتب، فانها كانت اربعة آلاف (٨) مجلد من الكتب الفاخرة • فان ذهابها حزاة في قلبي ما عشت
فهذه نكبات ترزع الجبال وتفني الاموال • والله سبحانه يعوض برحمته ويختم بلطفه ومغفرته • وتلك وقعات كبار شاهدها مضافة الى نكبات نكبتها سلمت فيها النفس لتوقيت الآجال، وأجحفتُ بهلاك المال

(٥) «بالفوس» في الاصل • قابل ادناه ص ٢١٠ ح ٥٩

(٦) سلطان قونية

(٧) اي في رعبان وكيسون

(٨) «الف» في الاصل

٥ - معارك مع الافرنج ومع المسلمين

وقد كان بين هذه الوقعات فترات شهدت فيها من الحروب مع الكفار والمسلمين ما لا احصيها . وساورد من عجائب ما شاهدته ومارسته في الحروب ما يحضرنى ذكره . وما النسيان بمستنكر لمن طال عليه ممر الاعوام، وهو ورائة بني آدم من ابيهم عليه الصلاة والسلام

شرف الفارس: جُمعة

فمن ذلك ما شاهدته من انفة الفرسان وحملهم نفوسهم على الاخطار، اننا كنا التقينا نحن وشهاب الدين محمود بن قراجا، صاحب حماة ذلك الوقت (١)، وكانت الحرب بيننا وبينه [١١ و] ما نغب (٢)، والمواكب واقفة والطراد بين المترعة (٣) . فجاءني رجل من اجنادنا وفرساننا المعدودين يقال له جُمعة من بني نُمير، وهو يبكي . فقلت له «ما لك يا ابا محمود؟ هذا وقت بكاء؟» قال «طعني سرهنك (٤) بن ابي منصور» . قلت «واذا طعنك سرهنك اي شيء يكون؟» قال «ما يكون شيء الا بطعني مثل سرهنك ! والله ان الموت اسهل علي من ان يطعني . لكنه استغفني واغتالني» . فجعلت أسكته واهون الامر عليه . فرد رأس فرسه راجعاً . فقلت «الى ابن يا ابا محمود؟» قال «الى سرهنك . والله لأطعنه او لأموتنّ دونه»

فغاب ساعة واشتغلت انا بمن مقابلي . ثم عاد وهو يضحك فقلت «ما

(١) حوالى ١١٢٣

(٢) «نغب» في الاصل

(٣) «المترعة» في الاصل

(٤) «سَرهنك» فارسية معناها الزعيم

عملت؟» فقال «طعنته والله . ولو لم اطعنه لفاظت روحي» . فحمل عليه
فسي جمع اصحابه قطعنه وعاد . فكان هذا الشعر عنى سرهك وجُمعة
بقوله:

لأنه درك ما تطئن^٥ تائير حرّان ليس عن التبران براقيد
أيقظته ورفدت^٥ [عنه] ولم ينم حنقا عليك وكيف نوم الجاهد
إن تمكن الأبنام^٥ منك وعلتها . يوما يكمل لك بالصواع الزائد
وفد كان سرهك هذا من الفرسان المذكورين مقدماً في الأكراد، الا
انه كان شاباً وجُمعة رجل كهل له ميزة بالسن والتقدمية في الشجاعة

براز في صدر الاسلام

وذكرت^٦ بفعله سرهك ما فعله مالك بن الحارث (٦) الاشر، رحمه
الله، بابي مُسيكة الايادي^٧
وذلك انه لمّا ارتدت العرب في ايام ابي بكر الصديق، رضوان الله
عليه، وعزم الله سبحانه له على قتالهم، جهّز العساكر الى قبائل العرب
المرتدين . فكان ابو مُسيكة الايادي مع بني حنيفة وكانوا اشدّ العرب
شوكة . وكان مالك الاشر في جيش (٧) ابي بكر، رحمه الله . فلماً
تواقفوا برز مالك بين الصفين وصاح «يا ابا مُسيكة!» فبرز له . فقال
«ويحك! يا ابا مُسيكة، بعد الاسلام وقراءة القرآن رجعت الى الكفر؟»
فقال «اياك عنى يامالك! انهم يحرمون الخمر، ولا صبر عنها» . قال «فهل
لك في المبارزة؟» قال «نعم» . فالتقيا بالرماح والتقيا بالسيوف .
فضربه ابو مُسيكة فشقّ رأسه وشر عينه [١١ ق] وبتلك الضربة سُمي
الاشر

فرجع وهو معتنق رقبة فرسه الى رحله . واجتمع له قوم من اهله
واصدقائه يبكون . فقال لاحدهم «ادخل يدك في فمي» . فادخل اصبعه

(٥) ناقصة في الاصل

(٦) ملك بن حرث في الاصل

(٧) «حس» في الاصل . «حس» طبعة درنبرغ ص ٢٧

في فمه • فعصها مالك • فالتوى الرجل من الوجع • فقال مالك «لا بأس على صاحبكم • يقال اذا سلمت الاصراس سلم الرأس • احسوها (يعني الصربة) سويقاً وشدّوها بعمامة» • فلمأ حنوها وشدّوها قال «هاتوا فرسي» • قالوا «الى اين؟» قال «الى ابي مُسيكة»
 - فبرز بين الصفين وصاح «يا ابا مُسيكة!» فخرج اليه مثل السهم • فضربه مالك بالسيف على كتفه فنشقها الى سرجه فقتله • ورجع مالك الى رحله فبقي اربعين يوماً لا يستطيع الحراك • ثم ابلّ وعوفي من جرحه ذلك

سلامة المطعون ابن زمام

ومن ذلك ما شاهدته من سلامة المطعون، وقد ظن انه قد هلك، انا التقينا بوادر خيل شهاب الدين محمود بن قراجا (٨) وقد جاء السى ارضنا وكمن لنا كميناً • فلمأ توافقنا نحن وهو انتشرت خيلنا • فجاءني فارس من جندنا يقال له علي بن سلام نُميري وقال «اصحابنا قد اتشروا • ان حملوا عليهم اهلكوهم» • قلت «احبس عتي اخوتي وبني عمي حتى اردهم» • فقال «يا امراء، دعوا هذا يردّ الناس ولا تتبعوه، والا حملوا عليهم قلعوهم» • قالوا «بمضي» • فخرجت اُناقل (٩) حصاني حتى رددتهم، وكانوا ممسكين عنهم ليستجروهم ويتمكّنوا منهم فلمأ راؤني قد رددتهم حملوا علينا • وخرج كمينهم وانا على فسحة من اصحابي • فرجعت مباريهم اريد احمي اعقاب اصحابي • فوجدت ابن عمي ليث الدولة يحيى، رحمه الله، قد حذب (١٠) من وراء اصحابي من قبلي الطريق وانا في شماليه • فجبناهم • فسرّح فارس من خيلهم يقال له فارس بن زمام، رجل عربي فارس مشهور، وجازنا يريد الطعن

(٨) أمير حماة

(٩) «اُناقل» في الاصل

(١٠) «حذب» في الاصل • «جذب» طبعة درنبرغ ص ٢٨

فسي اصحابنا • فسبقتني اليه ابن عمي • قطعته • فوقع هو وحصانه ووقع
الرمح فقعة سمعتها انا واولئك

وكان الوالد، رحمه الله، ارسل رسولا الى شهاب الدين، فاخذه معه
لمّا جاء لقتالنا • فلما طعن فارس بن زمام ولم يبلغ منا ما اراد نفذ
الرسول من مكانه بجواب ما سار (١١) فيه، ورجع الى حماة • فسألت
الرسول «هل مات فارس بن زمام؟» قال «لا، والله، ولا فيه جرح» • قال
«ليث الدولة طعنه، وانا اراه، فرماه ورمى حصانه • وسعت فقعة كسر
الرمح • لمّا غنّيه ليث الدولة من يساره مال (١١) على جانبه الايمن
وفي يده قنطاريته (١٢) • فوقع حصانه [١٢] و [على قنطاريته وهي على
وهدة، فانكسرت • وتذنب ليث الدولة برمحه، فوقع من يده • والذي
سمعت فقعة قنطارية فارس بن زمام • ورمح ليث الدولة احضروه بين
يدي شهاب الدين، وانا حاضر، وهو صحيح ما فيه كسر، ولا في فارس
جرح» • فعجبت من ملامته • وكانت تلك الطعنة طعنة فيصل كما قال
عنترة:

الخَيْلُ تَعْلَمُ وَالْفَوَارِسُ أَتْنِي فَرَقْتُ جَمْعَهُمْ بِطَعْنَةٍ فَيَصِلُ

ورجع جميعهم وكمينهم ما نالوا منه ما ارادوه

والبيت المقدم من ابيات لعنترة بن شدّاد يقول فيها:

إِذَا أَمْرٌ مِّنْ خَيْرِ عَيْسٍ مِّنْصِبًا شَطْرِي وَأَحْمَى سَائِرِي بِالْمُنْصِلِ (١٣)
وَإِذَا الْكُتَيْبَةُ أَحْبَبَتْ فَتَلَحَّظَتْ أَلْفَيْتُ خَيْرًا مِنْ مَعْمٍ مُخَوَّلِ
إِنْ الْمَنْيَّةُ لَوْ تَمَثَّلَتْ مُثَلَّتْ مِثْلِي إِذَا نَزَلُوا بِضَنْكِ الْمَنْزَلِ
وَالخَيْلُ تَعْلَمُ وَالْفَوَارِسُ أَتْنِي فَرَقْتُ جَمْعَهُمْ بِطَعْنَةٍ فَيَصِلُ
وَدَعَوْا نَزَالَ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلِ وَعَلَامٌ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزَلِ

(١١) غير واضحة في الاصل

(١٢) بونا نة معناها قناة الرمح وتُطلق على الرمح كله

(١٣) كان والد عنترة عربياً ووالده جارية سوداء

أول قتال حضره أسامة

ومثل ذلك ما جرى لي على أفامية (١٤) . فان نجم الدين بن
إيلغازي (١٥) بن أرتق، رحمه الله، كسر الأفرنج على البلاط (١٦)،
وذلك يوم الجمعة حامس جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة (١٧)،
وافناهم وقتل صاحب انطاكية روجار (١٨) وجميع فرسانه . فسار اليه
عمي عز الدين ابو العساكر سلطان، رحمه الله . وتخلّف والدي،
رحمه الله، في حصن شيزر، وقد وصّاه ان بيسرني الي أفامية بمن معي
بشيزر من الناس وستفر الناس والعرب لنهب زرع أفامية . وكان قد هدف
من العرب الينا خلق كثير

فلما سار عمي ندى المنادي بعد يؤيمات من مسيره . وسرت في
نفر قليل، ما يلحق عشرين فارساً، ونحن على يقين ان أفامية ما فيها خيالة،
ومعي خلق عظيم من النهاية والبادية . فلما صرنا على وادي ابو
الميمون (١٩)، والنهاية والعرب متفرقون في الزرع، خرج علينا من الأفرنج
جمع كثير . وكان قد وصلها تلك الليلة ستون فارساً وستون راجلاً .
فكشفونا عن الوادي . فاندفعنا بين ايديهم الي ان وصلنا الناس الذين في
الزرع يتهبونه . فضجوا ضجة عظيمة . فهان علي الموت لهلاك ذلك
العالم [١٢ ق] معي . فرجعت على فارس في أولهم قد القى عنه درعه
وتخفف ليحوزنا من بين ايدينا . فطعنته في صدره فطار عن سرجه ميتاً .

(١٤) شمالي شيزر . وهي اليوم فلعة المضيق

(١٥) «س الغازي» في الاصل وهو امير ماردين . و«بن» هذه زائدة

(١٦) شمالي الأناضول . «منتخبات من تاريخ حلب» لكمال الدين في *Recueil*
des historiens des croisades: historiens orientaux (١٨٨٤)

٦١٧:٣

(١٧) ١٤ آب سنة ١١١٩ . وهو تاريخ موقعة دانيث . على ان موقعة البلاط
التي قُتل فيها روجار تاريخها ٢٨ حزيران

Roger (١٨)

Bohemond (١٩) تعريب

ثم استقبلت حيلهم المتتابعة فولّوا، وانا غرّ من القتال ما حضرت قتالا قبل ذلك اليوم، وتحتي فرس مثل الطير، الحق اعقابهم لاطعن فيهم ثم اجتن عنهم

وفي اخرهم فارس على حصان ادهم مثل الجمل بالدرع ولأمة الحرب انا خائف منه لا يكون جاذباً لسي ليعود علي، حتى رايت ضرب حصانه بمهمازه فلوح بذنبه . فعلمت انه قد اعيأ . فحملت عليه طعته فنفذ الرمح من قدماه نحواً من ذراع، وخرجت من السرج لخفة جسمي وقوة الطعنة وسرعة الفرس . ثم تراجع وتراجعت وجذبت رمحي وانا اظن اني قتلته . فجمعت اصحابي وهم سالمون

وكان معي مملوك صغير يجرّ فرساً لي دهماً مجنوبة وتحت بغلة مليحة سروجية وعليها مركوب ثقيل فضة . فنزل عن البغلة وسيبها وركب الحجرّة فطارت به الى شيزر . فلما عدت الى اصحابي وقد مسكوا البغلة سألت عن الغلام فقالوا «راح» . فعلمت انه يصل شيزر ويشتغل قلب الوالد، رحمه الله . فدعوت رجلاً من الجند وقلت «تسرّع الى شيزر تعرف والدي بما جرى»

وكان الغلام لمّا وصل احضره الوالد بين يديه وقال «اي شيء لقيتم؟» قال «يامولاي، خرج علينا الافرنج في الف . وما اظن احداً يسلم الا مولاي» . قال «كيف يسلم مولاك دون الناس؟» قال «رايته قد لبس وركب الخضراء» . هو يحدثه وذلك الفارس قد وصله واخبره باليقين . ووصلت بعده . فاستخبرني، رحمه الله . فقلت «يامولاي، كان اول قتال حضرته . فلما رأيت الافرنج قد وصلوا الى الناس هان علي الموت . فرجعت الى الافرنج لأقتل او احمي ذلك العالم» . فقال، رحمه الله، متمثلاً:

يفرّ حبان القوم عن امّ رأسه ونحي شجاع القوم من لا يلازمه
ووصل عمّي، رحمه الله، من عند نجم الدين ايلغازي، رحمه الله
بعد ايام . فاتاني رسوله يستدعيني في وقت ما جرت عادته فيه . فحجته

فإذا عنده رجل من الأفرنج . فقال «هذا الفارس فد جاء من اقامية يريد
بصر الفارس الذي طعن فليب (٢٠) الفارس . فان الأفرنج تعجبوا [١٣ و]
من تلك الطعنة وانها خرقت الزردية من طاقين وسلم الفارس» . قلت
«كيف سلم؟» قال ذلك الفارس الأفرنجي «جاءت الطعنة في جلدة
خاصرته» . قلت «نعم الاجل حصن حصين» . وماظنته يسلم من تلك الطعنة
قلت يجب على من وصل الى الطعن ان يشد يده وذراعه على الرمح
الى جانبه ويدع الفرس يعمل ما يعمل في الطعنة . فانه متى حرك يده
بالرمح او مدّها به لم يكن لطعنته تأثير ولا نكايه

يسلم بعد ان فُطع شريان قلبه

وشاهدت فارساً من رجالنا يقال له ندى (٢١) بن نليل القشيري،
وكان من شجعاننا، وقد التقينا نحن والأفرنج وهو مُعري ما عليه غير ثوبين .
فطعنه فارس من الأفرنج في صدره فقطع هذه العصفورة التي في الصدر
وخرج الرمح من جانبه . فرجع وما نظنه يصل منزله حياً . فقدّر الله
سبحانه ان سلم وبراً جرحه . لكنه لبث سنة اذا نام على ظهره لا يقدر
يجلس ان لم يجلسه انسان باكتافه (٢٢) . ثم زال عنه ما كان يشكوه وعاد
الى تصرفه وركوبه كما كان

قلت فسبحان من نفذت مشيئته في خلقه يُحيي ويميت وهو حي لا يموت
بيده الخير وهو على كل شيء قدير (٢٣)

وآخر يموت من ابرة

كان عندنا رجل من المصطنعة، يقال له عتّاب، اجسم ما يكون من
الرجال واطولهم . دخل بيته فأعتمد على يده عند جلوسه على ثوب بين

Philip (٢٠)

(٢١) «ندی» في الاصل . ولعلها «ندی» «بدي» الخ .

(٢٢) كذا في الاصل بصيغة الجمع بدل المثني

(٢٣) فابل القرآن ٢٥٠٣

يديه، كانت فيه ابرة، دخلت في راحته فمات منها . وبالله لقد كان
يثن^(٢٤) في المدينة فيسمع ابيه من الحصن لعظم خلقه وجهارة صوته .
يموت من ابرة وهذا القشيري يدخل في صدره قنطارية تخرج من جنبه
لا يصيبه شيء

حوادث الزمر لكل

نزل علينا صاحب انطاكية (٢٥)، لعنه الله، بفارسه وراجله وخيامه في
بعض السنين (٢٦) . فركبنا ولقيناهم نظن انهم يقاتلوننا . فجاءوا نزلوا
متزلاً كانوا ينزلونه، وهجموا في خيامهم . فرجعنا نحن الى آخر النهار .
ثم ركبنا، ونحن نظن انهم يقاتلوننا، فما ركبوا من خيامهم
وكان لابن عمي ليث الدولة يحيى غلة قد نجرت وهي بالقرب من
الافرنج فجمع دواب (٢٧) يريد يمضي الى الغلة يحملها . فسرنا معه
في عشرين فارساً معدين، وقفنا بينه وبين الفرنج، السى ان حمل الغلة
ومضى . فعدلت انا ورجل من مولدنا يقال له حسام الدولة مسافر، رحمه
الله، الى كرم رأينا فيه [١٣ ق] شخوصاً، وهم على شط النهر (٢٨) . فلماً
وصلنا الشخوص التي رأيناها، والشمس على مغيها، فاذا شيخ عليه
معرفة (٢٩) امرأة ومعه آخر . فقال له حسام الدولة وكان، رحمه الله، رجلاً
جيداً كثير المزاح «ياشيخ، اي شيء تعمل هاهنا؟» قال «انتظر الظلام
واسترزق الله تعالى من خيل هاؤلاء الكفار» . قال «ياشيخ، باسانك تقطع
عن خيلهم؟» قال «لا، بهذه السكين» . وجذب سكيناً من وسطه مشدودة
بخط مثل شعلة النار، وهو بغير سراويل . فتركناه وانصرفنا
واصبحت من بكرة ركبت انتظر ما يكون من الافرنج، واذا الشيخ

(٢٤) «بان» في الاصل

(٢٥) لعله بالدون الثالث

(٢٦) حوالى سنة ١١٢٢

(٢٧) «دوانا» في الاصل . (٢٨) العاصي

(٢٩) غطاء للرأس . قابل «عريفية» في اللغة العامية

جالس في طريقي على حجر والدم على ساقه وقدمه وقد جمده . قلت
«يهتئك السلامة، اي شيء عملت؟» قال «أحدث منهم حصاناً وترساً ورمحاً .
ولحقتني راجل، وانا خارج من عسكرهم، طعنتي نفذ القنطارية في فخذي .
وسبقت بالحصان والنرس والرمح» - وهو مستقل (٣٠) بالطعنة التي فيه
كأنها في سواه . وهذا الرجل يقال له الزمر كل (٣١) من شياطين اللصوص
حدثني عنه الامير معين الدين (٣٢)، رحمه الله، قال «أعرت زمان مقامي
بحمص على شيزر وعدت آخر النهار نزلت على ضيعة من بلد حماة، وانا
عدو لصاحب حماة . (قال) فجاءني قوم معهم شيخ قد انكروه فقبضوه
وجاؤني به . فقلت «يا شيخ ابس انت؟» قال «بامولاي، انا رجل
صعلوك شيخ زمين (واخرج يده وهي زمينة) قد اخذ لي العسكر عزيزين
جئت خلفهم لعل ان ينصدقوا علي بهما (٣٣)» . فقلت لقوم من الجندارية
«احفظوه الى غد (٣٤)» . فاجلسوه بينهم وجلسوا على اكمام فروة عليه .
فاستغلهم في الليل وخرج من الفروة وتركها تحتهم وطار . فعدوا في
انره، سبهم ومضى . (قال) وكنت قد نفذت بعض اصحابي في شغل فلماً
عادوا وفيهم جندار يقال له سومان (٣٥) قد كان يسكن بشيزر . فحدثته
حديث الشيخ قال «واحسرتي عليه! لو كنت لحقته كنت شربت دمه .
هذا الزمر كل» . قلت «فأي شيء بينك وبينه؟» قال «نزل عسكر الفرنج
على شيزر فخرجت ادور به لعل اسرق حصاناً منهم . فلماً اظلم الظلام
مشيت الى طواله خيل بين يدي واذا هذا جالس بين يدي . فقال لي:

(٣٠) من استقل الشيء اي عدّه قليلاً

(٣١) يصعب ضبط الحركات في هذه الكلمة

(٣٢) أنر

(٣٣) «بها» في الاصل

(٣٤) «عدا» في الاصل . «عدا» طبعة در نبورغ ص ٣٣

(٣٥) «سومان»

الى اين؟ قلت: آخذ حصاناً (٣٦) من هذه الطوالة. قال: [١٤] وانا من العشاء انظرها حتى تأخذ انت الحصان! قلت: لا تهذ (٣٧). قال: لا تفتر. والله، ما ادعك تأخذ شيئاً. فما التفت الى قوله ويمت الى الطوالة. فقام وصاح باعلى صوته: واقري! واخية تعبي وسهري! وصيح حتى خرج علي الأفرنج. فاما هو فطار. فطردوني حتى رميت نفسي في النهر، وما ظننت اني اسلم منهم. ولو لحقته كنت شربت دمه. وهو لص عظيم. وما تبع العسكر الا يسرق منه.»

فكان هذا الرجل يقول من يراه «ما في (٣٨) هذا يسرق رغيف حبز من بيته»

سرقة الخيل

ومن عجيب ما اتفق في السرقة ان رجلاً كان بخدمتي يقال له علي بن الدؤد وينه من اهل مشكير (٣٩). نزل يوماً (٤٠) الأفرنج، لعنهم الله، على كفرطاب، وهي اذ ذلك لصلاح الدين محمد بن ايوب الغسياني (٤١)، رحمه الله. فخرج هذا علي بن الدؤد وينه دار بهم واخذ حصاناً ركبهم وخرج به من العسكر بركض، وهو يسمع الحس خلفه ويعتقد ان بعضهم قد ركب في طلبه، وهو مجد في الركض والحس خافه حتى ركض قدر فرسخين والحس معه. فالتفت يبصر ما خلفه في الظلام، واذا بغلة كانت تألف الحصان قد قطعت مَقودها وتبعته. فوقف حتى شد فوطته في رأسها واخذها واصبح عندي فسي حماة بالحصان والبغلة. وكان الحصان من اجود الخيل واحسنها واسبقها

(٣٦) «حصان» في الاصل

(٣٧) «تهدي» في الاصل

(٣٨) عامية

(٣٩) «مشكين»؟ «تنكير» طبعة درنبورغ ص ٣٣ حيث هي اسم نكرة لا علم

”Muthakir“ في ترجمة Shumann ص ٧٥

(٤٠) بين سنة ١١٣٥ و ١١٣٨

(٤١) اختصار «الياغسياني». Recueil ١: ٨٦٣

اتابك يستولي على حصان أسامة

كنت يوماً عند اتابك وهو يحاصر رقيّة (٤٢) وقد استدعاني فقال لي «يا فلان، اي شيء من حصانك الذي خبيته (٤٣)؟» وكان قد بلغه خبر الحصان. قلت «لا، والله يامولاي، ما لي حصان مخبئى . حصني كلها فسي العسكر». قال «فالحصان الافرنجي؟» قلت «حاضر». قال «انفذ احضره». انفذت احضرته وقلت للغلام «امض به الى الاصطبل». قال اتابك «اتركه الساعة عندك». ثم اصبح سبق، فسبق، وردّه الى اصطبلي. وعاد استدعاه من البلد وسبق به فسبق. فحملته الى اصطبله

سهم في حلق

وشاهدت في الحرب عند انتهاء المدة: كان عندنا رجل من الجنود يقال له رافع الكلابي، وهو فارس مشهور. اقتتلنا نحن وبنو قراجا وقد جمعوا لنا من التركمان وغيرهم وحشدوا وباسطناهم على فسحة من البلد. ثم تكاثروا علينا فرجعنا وبعضنا يحمي بعضاً. وهذا رافع في من يحمي الاعقاب، وهو لا بس كزاغند (٤٤) وعلى رأسه خوذة بلا لنام. فالتفت لعلته يرى فيهم فرصة [١٤ ق] فينحرف عليهم، فضربه سهم كشما (٤٥) في حلقه ذبحه. ووقع مكانه ميتاً

طعنة في فرس

وكذلك شاهدت شهاب الدين محمود بن قراجا، وقد انصلح ما بيننا وبينه، وقد نفذ الى عمي يقول له «تأمر أسامة يلقاني هو وفارس واحد

(٤٢) بين حمص وحماة. راجع R. Dussaud, *Topographie historique de la Syrie antique et médiévale* (پاریز ١٩٢٧) ٩٨ - ١٠١

(٤٣) عامة فصيحها «خبئته»

(٤٤) فارسية «كزاغند» «كزاگد» - منرة سميكة تقوم مقام الدرع في المنال

(٤٥) «كشما» في الاصل. وهي غير واضحة. ولقد ورد ادباً ص ١٩٦ س ٨

السي كركة [؟] لنمضي نبصر موضعاً نكمن فيه لأفامية ونقاتلها» • فأمرني عمّي بذلك • فركبت ولقيته وابصرنا المواضع
ثم اجتمع عسكرينا وعسكره (٤٦)، وانا على عسكري شيزر وهوفي عسكريه،
وسرنا الى افامية • فلقينا فارسهم وراجلهم في الخراب الذي لها وهو
مكان لا يتصرف فيه الخيل من الحجارة والاعمدة واصول الحيطان
الخراب • فعجزنا عن قلعهم من ذلك المكان • فقال لي رجل من جنودنا
« تريد تكسرهم؟ » قلت « نعم » • قال « اقصد بنا باب الحصن » • قلت
« سيروا » • وندم القائل وعلم انهم يدوسونا ويجوزون الى حصنهم • فاراد
ان يردني عن ذلك، فابيتُ وقصدت الباب

فساعة ما رأنا (٤٧) الفرنج قاصدين الباب عاد الينا فارسهم وراجلهم
فداسونا وجازوا • ترجل الفرسان داخل باب الحصن واطلعوا خيلهم الى
الحصن وصفوا عوالي قنطارياتهم في الباب، وانا وصاحب لي من مولدي
ابسي، رحمه الله، اسمه رافع بن سوتكين [؟] وقوف تحت السور مقابل
الباب وعلينا شيء كثير من الحجارة والنشاب • وشهاب الدين واقف في
موكب بعيد منهم على خوف الاكراد • فقد طعن صاحب لنا يقال له حارثة
النشمري نسيب (٤٨) جمعة في صدر فرسه طعنة معترضة • ونزلت (٤٩)
القنطارية في الفرس فتخبّطت حتى (٥٠) وقعت القنطارية منها ووقعت
جلده صدرها جميعها، فبقيت مسبلة على اعضادها

في زنده

وشهاب الدين بمعزل عن القتال • فجاء سهم من الحصن فضربه في
جانب عظم زنده فما دخل في جانب عظم زنده مقدار طول شعيرة • فجاءني

(٤٦) سنة ١١٢٤

(٤٧) «راونا» في الاصل • عامية

(٤٨) «النشمري بسبب» طبعة درنورغ ص ٣٥

(٤٩) «ونزل» في الاصل

(٥٠) مكررة في الاصل

رسوله يقول «لا تزُلْ» (٥١) مكانك حتى تجتمع الناس الذين تفرّقوا في البلد. فانا قد جُرّحت وكأني احسُّ الجرح في قلبي. وانا راجع، فاحفظ انت الناس». ومضى ورجعت انا بالناس نزلت على برج خريبة (٥٢). وكان الأفرنج لهم عليه ديدبان يكشفنا اذا اردنا الغارة على اقامية

ووصلت العصر الى شيزر وشهاب الدين في دار والدي يريد يتحلّ جرحه وبداويه، وعمتي قد منعه وقال «والله، ما تحلّ جرحك الا في دارك». قال «انا في دار والدي» - يعني الوالد، رحمه الله. قال «اذا» (٥٣) [١٥] وصلت دارك وبرأ جرحك دار والدك بحكمك»
فركب المغرب وسار الى حماة. فاقام الغد وبعد الغد ثم اسودت يده وغاب عنه رشده ومات. وما كان به الا فراغ الاجل

طعنة تقطع عدة اضلاع

وشاهدت من الطعنات العظيمة طعنة طعنها فارس من الافرنج، خذلهم الله، فارساً من اجنادنا يقال له سابه (٥٤) بن قُنيب كلابي قطع له ثلاثة اضلاع من جانبه اليسار وثلاثة اضلاع من جانبه الايمن وضرب شفار الحربة مرفقه ففصله كما يفصل الجزار المفصل. ومات لساعته

واخرى تقطع الزرد

وطعن رجل من اجنادنا كردي يقال له مياح فارساً من الافرنج ادخل قطعة من الزرد في جوفه وقتله. ثم ان الافرنج غاروا علينا بعد ايام، ومياح قد تزوج وخرج، وهو لابس وفوق درعه ثوب احمر من نياپ

(٥١) «تزل» في الاصل

(٥٢) غير واضحة في الاصل حيث وردت «مسفار» أو «مسفان» قبل «خريبة» (أو «خربته»). وفوق «مسفار» علامة كالميم اما بقصد منها شطب الكلمة او تأخيرها.

قابل «حصن الخربة» ادناه ص ٧٨ س ١٥

(٥٣) «قال اذا» مكررة

(٥٤) «سابه» في الاصل

العروس (٥٥)، قد تشهر به • فطنه فارس من الأفرنج فقتله، رحمه الله • «ياقرب ما تمه من العرس!»
فذكرت به الخبر عن النبي، صلى الله عليه وسلم، وقد أنشد قول قيس بن الخطيم:

أجالدُم يومَ الحفيظة حاسراً كانَ يدي بالسيفِ ميخراقُ لا عيبَ (٥٦)
فقال النبي صلى الله عليه للحاضرين من الأنصار، رضي الله عنهم وهل حضر احد منكم يوم الحديقة؟ (٥٧) فقال رجل منهم «انا حضرته، يارسول الله، صلى الله عليك وسلم، وحضره قيس بن الخطيم وهو قريب عهد بالعرس وعليه ملاءة حمراء» فوالذي بعثك بالحق لقد عمل في قتاله كما قال عن نفسه»

وثالثة تنفذ في صدر الأفرنجي

ومن عجائب الطعن ان رجلاً من الأكراد يقال له حمّادات كان قديم الصحبة قد سافر مع والدي، رحمه الله، الى اصفهان الى درگاه (٥٨) السلطان ملكشاه (٥٩) • فكبر وضعف بصره ونشأ له اولاد • فقال له عمّي عزّ الدين، رحمه الله، «ياحمّادات، قد كبرت وضعفت • ولك علينا حقّ وخدمة • فلو لزمت مسجدك (وكان له مسجد على باب داره) واثبتنا اولادك في الديوان ويكون لك انت كل شهر ديناران وحمل دقيق وانت في مسجدك» • قال «افعل يا امير» • فأجري له ذلك مُديدة ثم جاء الى عمّي وقال «يا امير، والله، ما تطاوعني نفسي على القعود

(٥٥) بعني العريس

(٥٦) الاصفهاني «كتاب الاغانى» (بولاق ١٢٨٥ - ٠٨ ١٦٢:٢)

(٥٧) بجوار المدينة • واليوم هذا من ايام العرب وقعت حوادثه بين الأوس

والنزرج • ياقوت «معجم البلدان» ٢٢٦:٢

(٥٨) فارسية «درگاه» - بلاط، ديوان • وكان ذلك سنة ١٠٨٥

(٥٩) السلجوقي المتوفى سنة ١٠٩٢

في البيت . وقتلي على فرسي اشهى الي من موتي على فراشي» . قال «الامر لك» . وامر (٦٠) [١٥ ق] برد ديوانه عليه كما كان

فما مضى الا الايام القلائل (٦١) حتى غار علينا السرداني (٦٢) صاحب طرابلس . ففزع الناس اليهم، وحمدات في جملة الرّوع، فوقف على رفعة من الارض مستقبل القبلة . فحمل عليه فارس من الافرنج من غربيته . فصاح اليه بعض اصحابنا «ياحمدات!» فالتفت رأى الفارس قاصده . فردّ رأس فرسه شمالاً (٦٣) ومسك رمحه بيده وسدده الى صدر الافرنجي، فطعنه نفذ الرمح منه . فرجع الافرنجي متعلقاً برقبة حصانه في اخر رمقه . فلما انقضى القتال قال حمدات لعمّي «يامير، لو ان حمدات في المسجد من كان طعن هذه الطعنة؟»

فاذكري قول الفسند الزماني (٦٤)

أَيَا طَعْنَةَ مَا شَيْخٍ كَبِيرٍ يَفْنَى بِالْيَمِي
تَفْتَيْتُ بِهَا إِذْ كَثُرَ الشُّكَّةُ أَشَالِي

وكان الفند قد كبر وحضر القتال فطعن فارسين مقربين فرماهما جميعاً

طعنة تودي بفارسين وفارسين

وقد كان جرى لنا مثل ذلك: وهو ان فلاحاً من العلاة جاء يركض الى ابي وعمّي، رحمهما الله، قال «شاهدت سرية افرنج تائمين قد جاءوا من البرية» . لو خرجتم اليهم اخذتموهم» . فركب ابي وعمّي وخرجوا بالعسكر الى السرية التائمة واذا به السرداني صاحب طرابلس فسي

(٦٠) مكررة

(٦١) سنة ١١٠٨

(٦٢) William Jourdain هو كونت Cerdagne

(٦٣) «شمال» في الاصل

(٦٤) سهل بن شيان شاعر جاهلي

ثلاثمائة فارس ومائتي تركبولي (٦٥)، وهم رماة الافرنج . فلما رأوا اصحابنا ركبوا خيلهم واطلقوا على اصحابنا هزموهم، وتموا (٦٦) يطردونهم . فاحرف عليهم مملوك لوالدي يقال له ياقوت الطويل، وابي وعمي، رحمهما الله، يريانه . فطعن فارساً منهم الى جانبه فارس آخر، وهما يتبعان اصحابنا . فرمى الفارسين والفارسين

وكان هذا الغلام كثير التخليط والزلات لا يزال قد فعل فعلة يجب تأديبه عليها . فكلّماهم والدي به وتأديبه يقول عمي «ياخي، بحياتك هب لي ذنبه ولا تنس (٦٧) له تلك الطعنة» . فيصفح عنه لكلام اخيه وكان حمدات الذي تقدّم ذكره ظريف الحديث . حدثني والدي، رحمه الله، قال «قلت لحمدات ونحن سائرون في طريق اصبهان سحرًا «امير حمدات، اكلت اليوم شيئاً؟» قال «نعم يا امير . اكلت ثريدة» . قلت «ركبنا في الليل وما [١٦] و] نزلنا ولا اوقدنا ناراً . من اين لك الثريدة؟» قال «يا امير عملتها في فمي . اخلط في فمي الخبز واشرب عليه الماء يصير كالثريدة»

والد أسامة مقاتلاً

وكان الوالد، رحمه الله، كثير المباشرة للحرب وفي بدنه جراح هائلة . ومات على فراشه . وحضر يوماً القتال وهو لا بس وعليه خوذة اسلامية بانف فزرقه رجل بحربة - وكان معظم قتالهم مع العرب ذلك الزمان - فوقعت الحربة في انف الخوذة فانطوى وادمى انفه ولم يوءذه . ولو كان قدّر الله سبحانه ان يميل المزراق عن انف الخوذة كان اهلكه .

(٦٥) تعريب Turcopole جندي في خدمة الافرنج آباؤهم اترك (او عرب) وامهاتهم يونان . ذكرهم عماد الدين الكاتب «الفتح القسي» (لیدن ١٨٨٨) ص ٤٢٥ وغيره من مؤرخي الافرنج . راجع Hitti, *An Arab-Syrian Gentleman and Warrior in the Period of the Crusades* (نيو يورك ١٩٢٩) ص ٧٩ جاشية ٤٢

(٦٦) «وموا» في الاصل . عامية بمعنى «وما زالوا»

(٦٧) «سي» في الاصل

وضرب مرة اخرى بنسابة في ساقه، وفي خفته دُشني (٦٨)، فوقع السهم في الدشن فانكسر فيه ولم يجرحه. هذا لحسن دفاع الله تعالى وشهد، رحمه الله، الحرب يوم الاحد تاسع وعشرين شوال سنة سبع وتسعين واربعمائة (٦٩) مع سيف الدولة خلف بن ملاءب الاشهبي (٧٠) صاحب افامية بارض كفرطاب. فلبس جوشنه، وعجل الغلام عن طرح كلاب الجوشن من الجانب. فجاءه خشت (٧١) فصر به في ذلك الموضع الذي احل الغلام بستره فوق بزّه الأيسر خرج الخنت من فوق بزّه الايمن. فكانت اسباب السلامة لما جرت بها المسيئة من العجب، والجرح لما قدره الله سبحانه من العجب

وطعن، رحمه الله، في ذلك اليوم فارساً واحرف حصانه ونى يده برمحه وجذبه من المطعون. فحدثني قال «حست شيئاً قد لذع زندي، فظننته من حرارة صفائح الجوشن. الا ان رمحي سقط من بدي، فرددتها فاذا قد طُعت في يدي وقد استرخت لقطع شيء من الاعصاب». فحضرته، رحمه الله، وزيد الجرائحي يداوي جرحه، وعلى راسه غلام واقف، فقال «يازيد، اخرج هذه الحصاة من الجرح». فما كلمه الجرائحي. فعاد فقال «يازيد ما تبصر هذه الحصاة؟ ما (٧٢) تزيلها من الجرح! فلماً اصجره قال «اين الحصاة؟ هذا راس عصب قد انقطع». وكان بالحقيقة ابيض كأنه حصاة من حصا الفرات

واصابه ذلك اليوم طعنة اخرى وسلم الله حتى مات على فراشه، رحمه

(٦٨) ١ «دشن» فارسية «دشنه» - خنجر

(٦٩) ٢٥ تمور سنة ١١٠٤

(٧٠) ذكره ابن نغري بردي «النجوم الزاهرة» (جامعة كليفورنيا) جلد ٢ حر ٢٠

ص ٢٨٤ و ٢٨٧

(٧١) فارسية معناها حربة

(٧٢) يظهر ان استعمال «ا» هنا وفي غير مواضع هو للامر (كما في اللغة العامه

اليوم) ولست للاستفهام

الله، يوم الاثنين ثامن شهر رمضان سنة احدى وثلاثين وخمس مائة (٧٣)

والد أسامة ناسخاً

وكان يكتب خطاً مليحاً، فما غيرت تلك الطعنة من خطه . وكان لا ينسخ سوى القرآن . فسأته يوماً فقلت «يامولاي كم كتبت ختمة؟» قال «الساعة تعلمون» . فلماً حضرته الوفاة قال «في ذلك الصندوق مساطر كتبتُ على كل مسطرة ختمة ضعوها [١٦ ق] (يعني المساطر) تحت خدتي في القبر» . فعددناها فكانت ثلاثاً واربعين مسطرة فكان كتب بعدتها ختمات: منها ختمة كبيرة كتبها بالذهب وكتب فيها علوم القرآن قرآته وغريبه وعربته وناسخه ومنسوخه وتفسيره وسبب نزوله وفقهه، بالحبر والحمره والزرقة، وترجمه بالتفسير الكبير . وكتب ختمة اخرى بالذهب مجردة من التفسير . وباقي الختمات بالحبر مذهبة الاعشار والاحماس والآيات وروس السور وروس الاجزاء وما يقتضي الكتاب ذكر هذا وانما ذكرته لاستدعي له الرحمة ممن وقف عليه

غلام يفدي مولاه

اعود الى ما تقدم

وفي ذلك اليوم (٧٤) اصاب غلاماً كان لعمتي عز الدولة ابي المرفه نصر، رحمه الله، يقال له موقت الدولة شمعون طعنة عظيمة التقاها دون عمتي عز الدين ابي العساكر سلطان، رحمه الله . واتفق ان عمتي ارسله رسولا الى الملك رضوان بن تاج الدولة تُشش الى حلب . فلماً حضر بين يديه قال لغلمانه «مثل هذا يكون الغلمان واوولاد الحلال في حق مواليهم» . وقال لشمعون «حدثهم حديثك ايام والدي وما فعلته مع مولايك» . فقال «يامولانا، بالامس حضرت القتال مع مولاي فيحمل عليه

(٧٣) ٣٠ ايار سنة ١١٣٧

(٧٤) ٢٥ سوز سنة ١١٠٤

فارس يطعنه . فدحلت بينه وبين مولاي لافديه بنفسي فطعنتي قطع من اضلاعي ضلعين وهي (٧٥) - ونعمتك - عندي في قمطرة» . فقال له الملك رضوان «والله، ما اعطيك الجواب حتى تنفذ تحضر القمطرة والاضلاع» . فاقام عنده وارسل من احضر القمطرة وفيها عظامان من اضلاعه . فعجب رضوان من ذلك وقال لاصحابه «كذا اعملوا في خدمتي»

فامّا الامر الذي سأله عنه ايام والده تاج الدولة فان جدي سديد الملك ابا الحسن علي بن مقلّد بن نصر بن منقذ، رحمه الله، سيرّ ولده عزّ الدولة نصرًا (٧٦)، رحمه الله، الى خدمة تاج الدولة وهو معسكر بظاهر حلب . فقبض عليه واعتقله ووكل به من يحفظه . وكان لا يدخل اليه سوى مملوكه هذا شمعون والموكلون حول الخيمة . فكتب عمتي الي ابيه، رحمهما الله، يقول «تنفذ لي في الليلة الفلانية (وعينها) قوماً من اصحابه (ذكرهم) وخيلاً اركبها الى الموضع الفلاني» . فلمّا كانت تلك الليلة دخل شمعون خلع نياحه فلبسها مولاه وخرج على الموكلين في الليل، فما انكروه، ومضى الى اصحابه وركب وسار . ونام شمعون في فراشه

وجرت العادة ان يجيئه شمعون في السحر بوضوئه فكان، رحمه الله، من الزهّاد القائمين [١٧] و [ليلهم يتلون كتاب الله تعالى . فلمّا اصبحوا ولم يروا شمعون دخل كعادته دخلوا الخيمة فوجدوا شمعون وعزّ الدولة قد راح . فانهبوا ذلك الى تاج الدولة . فامر باحضاره . فلمّا حضر بين يديه قال «كيف عملت؟» قال «اعطيت مولاي ثيابي لبسها وراح، ونمت انا في فراشه» . قال «وما خشيت ان اضرب رقبتك؟» قال «يامولاي، اذا ضربت رقبتني وسلم مولاي وعاد الى بيته فانا السعيد بذلك . ما اشتراني وربّاني الا لافديه بنفسي»

فقال تاج الدولة، رحمه الله، لحاجبه «سلم الى هذا الغلام خيل مولاه

(٧٥) هكذا في الاصل . والاصح «وهما»

(٧٦) «نصر» في الاصل

ودوابه وخيامه وجميع بركه، وسيّره يتبع صاحبه» • وما انكر عليه وما احقّه ما فعل في خدمة مولاه • فهذا الذي قال له رضوان «حدّث اصحابي ما عملته ايام والدي مع مولاك»
اعود الى حديث الحرب المقدّم ذكرها مع ابن ملاعب

عم أسامة يُطعن في جفن عينه

وجرح عمّي عزّ الدولة، رحمه الله، فسي ذلك اليوم عدّة جراح منها طعنة طُعنها في جفن عينه السفلائيّ من ناحية المائق • ونشب الرمح في المائق عند موءخر العين فسقط الجفن جميعه وبقي معلقاً بجلده من موءخر العين، والعين تلعب لا تستقر • وانما الجفون التي تمسك العين • فخاطها الجراحيّ وداواها فعدت كحالها الاقولة (٧٧) لا تُعرّف العين المطعونة من الاخرى

شجاعة عم أسامة ووالده

وكانا، رحمهما الله، من اشجع قومهما • ولقد شهدتهما يوماً وقد خرجا الى الصيد بالبراة نحو تلّ ملح (٧٨) وهناك طير ماء كثير • فما شعرنا الا وعسكر طرابلس قد اغار (٧٩) على البلد ووقفوا عليه • فرجعنا وكان الوالد من اثر مرض • فامّا عمّي فتخفّ بمن معه من العسكر وسار حتى عبر من المخاض الى الافرنج، وهم يرونه • وامّا الوالد فسار والحصان يخبّ به، وانا معه صبيّ (٨٠) وفي يده سفرجلة يمتص منها • فلما دنونا من الافرنج قال لي «امض انت ادخل من السّكر» وعبر هو من ناحية الافرنج

(٧٧) كذا في الاصل • وقد تكرّرت ادناه ص ٨٨ وص ١٠٤ س ٢١

(٧٨) "Meleh" أو "Mellah" في Dussaud ص ٢٠٨

(٧٩) «غار» في الاصل • عامية • وهذه حملة الكونت برتراند Bertrand

سنة ١١١٠

(٨٠) كان عمر أسامة ١٥ سنة

ومرّة اخرى شاهدهته وقد اغارت (٨١) علينا خيل محمود (٨٢) قرّاجا، ونحن على فسحة من البلد (٨٣)، وخيل محمود أقرب اليه وانا قد حضرت القتال ومارست الحرب. فلبست كزاغندي وحصاني واخذت رمحي، وهو، رحمه الله، على بغلة. فقلت «ياها ما تركب حصانك!» قال «بلى» وسار كما هو غير منزعج ولا مسترخيا وانا لخوفي عليه الح عليه في ركوبه حصانه، الى ان وصلنا الى اياه وهو على بغلته. فلما عاد اولئك وامنا قلت «يامولاي، ترى العاه حال بيننا وبين البلد وانت لا تركب بعض جنائبك [١٧ ق] وانا اخذ فلا تسمع!» قال «ياولدي، في طالعي انني لا ارتاع» وكان، رحمه الله، ايد الطولى في النجوم مع ورعه ودينه ودهره وتلاوة القرآن. وكان يحرضني على معرفة علم النجوم وامتنع. فيقول «فاعرف اسماء النجوم: ما يطلع منها ويغرب.» يريني النجوم ويعرفني اسماءها

مكيدة افرنجية على شيزر

ورأيت من إقدام الرجال ونخواتهم في الحرب انما اصبحنا وقت الصبح (٨٤) رأينا سرية من الافرنج، نحواً من عشرة فوارس، جاءوا باب المدينة (٨٥) قبل [ان] يُفتح. فقالوا للبواب «اي شيء اسم البلد؟» والباب خشب بينهما [!] عوارض، وهو داخل الباب. قال «شيزر فرموه بنشاب من خلل الباب ورجعوا وخیلهم تخبّ بهم. فركبنا

(٨١) «غارت» في الاصل

(٨٢) شهاب الدين امير حماة. وذلك سنة ١١٢٠

(٨٣) ذلك القسم من شيزر الواقع ضمن القلعة. اما القسم الواقع على النهر الجسر فهو «المدينة». والافرنج اطلقوا على «البلد» اسم praesidium او oppidum وعلى «المدينة» suburbium وعلى حصن الجسر Gistrum

(٨٤) من سنة ١١٢٢ في الراجح

(٨٥) ذلك القسم من شيزر الواقع على النهر بقرب الجسر

عمّي، رحمه الله، أوّل راكب وانا معه، والافرنج راثحون غير منزعجين يلحقنا (٨٦) من الجند نفر. فقلت لعمّي «على امرك آخذ اصحابنا واتبعهم اقلعهم وهم غير بعيدين». قال «لا، (وكان اخبر مني بالحرب) في الشام افرنجي لا يعرف شيزر؟ هذه مكيدة»

ودعا فارسين من الجند على فرسين سوابق [!] وقال امضيا اكشفا تلّ ملح» وكان مكمناً للافرنج. فلماً شارفاه خرج عليهما عسكريا نطاكية جميعه فاستقبلنا متسرّعينهم نريد الفرصة فيهم قبل ركود الحرب، ومعنا جُمعة الثُميريّ وابنه محمود، وجُمعة فارسا وشيخنا. فوقع ابنه محمود في وسطهم فصاح جُمعة «يافرسان الخيل! ولدي!» فرجعنا معه في ستة عشر فارساً طعناً ستة عشر فارساً من الفرنج واخذنا صاحبنا من بينهم، واختلطنا نحن وهم حتى اخذ واحد رأس [ابن] جُمعة تحت ابطه، فخلص بعض تلك الطعنات

أسامة وجُمعة يهزمان ثمانية فرسان

ومع هذا فلا يثق انسان بشجاعته ولا يُعجب باقدامه. فوالله لقد سرت مع عمّي، رحمه الله، اغرنا (٨٧) على افامية. واتفق ان رجالها خرجوا ليسيروا قافلة فسيروها، وعادوا، ونحن لقيناهم فقتلنا منهم قدر عشرين رجلاً. ورايت جُمعة الثُميري، رحمه الله، وفيه نصف قنطارية قد طعن بها في لبد السرج وخرج الرمح من البدّاد الى فخذه، ونفذ الى خلفه، فانكسرت القنطارية فيه. فراعني ذلك. فقال «لا بأس، انا سالم». ومسك سنان القنطارية وجذبها منه، وهو وفرسه سالمان

فقلت «يا ابا محمود، اشتهي اتقرّب [١٨ و] من الحصن ابصره». قال «سر». فرحت انا وهو تُخبّ فرسينا. فلماً اشرفنا على الحصن اذا من الافرنج ثمانية من الفرسان ووقوف على الطريق وهي مشرفة على الميدان

(٨٦) ولعلها «فلحقنا»

(٨٧) «غرنا» في الاصل. وذلك حوالى سنة ١١٢٤

من ارتفاع لا يُنْزَك منه الا من تلك الطريق . فقال لي جُمعة «قف حتى اريك ما اصنع فيهم» . قلت «ما هذا انصاف . بل نحمل عليهم انا وانت» . قال «سر» . فحملنا عليهم فهزمناهم ورجعنا نحن نرى اننا قد فعلنا شيئاً ما يقدر يفعله غيرنا - نحن اثنان قد هزمتنا ثمانية فرسان من الافرنج

ثم يهزمهما رُوَيجل^٥

فوقفنا على ذلك الشرف ننظر الحصن، فما راعنا الا رُوَيجل^٥ قد طلع علينا من ذلك السد الصعب معه قوس ونشاب، فرمانا، ولا سبيل لنا اليه فهزمتنا، والله ما صدقنا تتخلّص منه وخيلنا سالمة . ورجعنا دخلنا مرج افامية فسقنا منه غنيمه كبيرة (٨٨) من الجواميس والبقر والغنم . وانصرفنا وفي قلبي من ذلك الراجل الذي هزمتنا حسرة الذي (٨٩) ما كان لنا اليه سبيل، وكيف هزمتنا راجل واحد وقد هزمتنا ثمانية فرسان من الافرنج

المداداة بالعلل

وشهدت يوماً وقد اُغارت (٩٠) علينا خيل كفرطاب في قلّة ففزعتنا (٩١) اليهم طامعين فيهم لقلّتهم، وقد كمنوا لنا كميناً في جماعة منهم . وانهزم الذين اغاروا (٩٢) فتبعناهم حتى ابعدنا عن البلد . فخرج الينا الكمين ورجع الينا الذين كئناً نظردهم . فراينا اننا ان انهزمتنا فلعونا كلنا . فالتقيناهم مستقلين (٩٣) . فنصر الله عليهم . فقلعنا منهم ثمانية عشر فارساً: منهم من طُعن فمات، ومنهم من طُعن فوقع وهو سالم، ومنهم من طُعن حصانه فهو راجل

فيجذب الذين في الارض منهم سالمون سيوفهم ووقفوا كل من اجتاز

(٨٨) «كسرة» في الاصل

(٨٩) في العامية «إلّتي» . هنا وادناه ص ٦٣ س ٧

(٩٠) «غارت» في الاصل ما وادناه ص ٦٢ س ٩

(٩١) «مرعنا» في الاصل

(٩٢) «غاروا» في الاصل

(٩٣) «مستقلين» طبعة درنبرغ ص ٤٣

بهم ضربوه • فاجتاز جُمعة الشميري، رحمه الله، بواحد منهم فخطأ إليه وضربه على رأسه، وعلى رأسه قلنسوة، فقطعها وشق جبهته وجرى منها الدم حتى نزع • وبقيت مثل فم السمكة مفتوحة • فلقيته ونحن في ما نحن فيه من الأفرنج فقلت له «بابا محمود، ما تعصب جرحك!» فقال «ما هذا وقت العصائب وشد الجراح» • وكان لا يزال على وجهه خرفة سوداء وهو رمد وفي عينيه عروق حمراء • فلما أصابه ذلك الجرح وخرج منه الدم الكثير زال ما كان يشكوه من عينيه ولم يعد يناله منهما رمد ولا ألم: «فربما صحّت الأجسام بالعلل» (٩٤)

استخلاص ابن عم أسامة من أيدي الأفرنج

[١٨ ق] واما الأفرنج فانهم اجتمعوا بعد ما قتلنا منهم من قتلنا ووقفوا مقابلنا • فجاءني ابن عمي ذخيرة الدولة ابو القنا خطام، رحمه الله، فقال «يا ابن عمي، معك جنيتان وانا على هذا الفرس الحطيم» • قلت للغلام «قدّم له الحصان الاحمر» • فقدّمه له • فساعة ما استوى في سرجه حمل على الأفرنج وحده فأفرجوا له حتى توسّطهم وطعنوه رموه، وطعنوا الحصان واقلبوا قطاريتاتهم وصاروا يركشونه بهاء، وعليه زرديّة حصينة ما تعمل رماحهم فيها • فتصايحنا «صاحبكم! صاحبكم!» وحملنا عليهم فهزمناهم عنه واستخلصناه وهو سالم • واما الحصان فمات في يومه • فسبحان المسلمم القادر

وتلك الواقعة انما كانت لسعادة جُمعة وشفاء عينيه • فسبحان القائل «وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم» (٩٥)

ضربة سكين تشفي من الاستسقاء

وقد جرى لي مثل ذلك • كنت بالجزيرة في عسكر اتابك (٩٦) فدعاني

(٩٤) «لعلّ عينك محمود موافقه ربما صحت الاجسام بالعلل» - للمتنبى

(٩٥) القرآن ٢: ٢١٣

(٩٦) زنكي

صديق لي الى داره ومعني ركابي اسم غنيم قد استقى ودقت رقبته وكبر جوفه وقد تفرّب معي، فانسا ارعى له ذلك . فدخل بالبغلة السى اصطبلى ذلك الصديق هو وغلّمان الحاضرين . وعندنا ثاب تركي سكر وغلّب عليه البكر، فخرج السى الاصطبلى جذب سكتينه وهجم على الغلمان . فانهزموا وخرجوا . وغنيم لضعفه ومرضه قد طرح السرج تحت راسه ونام . فما قام حتى خرج كل من في الاصطبلى . فضربه ذلك السكران بالسكتين تحت سُرته فشقّ من جوفه قدر اربع اصابع . فوقع موضعه . فحمله الذي دعانا، وهو صاحب قلعة باشمرا [؟] (٩٧)، الى داري، وحمل الذي جرحه وهو مكتوف معه السى داري . فاطلقته . وترددت اليه الجرائحي فصلح ومشى وتصرف . الا ان الجرح ما ختم . وما زال يخرج منه مثل القشور وماء اصفر مدّة شهرين . ثم ختم وضمّر جوفه وعاد الى الصحّة . فكان ذلك الجرح سبباً لعافيته

شوكة تشفي عين باز

ورأيت يوماً البازدار قد وقف بين يدي والدي، رحمه الله، وقال «يامولاي، هذا الباز قد لحقه حصص (٩٨) وهو يموت . وعينه الواحدة قد تلفت . فتصيّد به . فهو [١٩ و] باز شاطر وهوتالف» . فخرجنا الى الصيد وكان معهما، رحمه الله، عدّة بزاة . فرمى ذلك الباز على درّاجة وكان يهجم في النيج . فنيجت (٩٩) الدرّاجة في اجمة (١٠٠) غلفاء . ودخل الباز معها . وقد صار على عينه كالنقطة الكبيرة . فضربته شوكة

(٩٧) «ناسهرا» في الاصل . وموقع باشمرا في جبل سمان في شمالي سورية

راجها في Dussaud ٢٢٤

(٩٨) مرض يفقد الطائر ريشه

(٩٩) او «بنجت» اختبأت . وتأتي بمعنى صاحت او خرجت من جحرها . وقد

وردت مراراً اذناه ص ٢١١ س ٤ فما بعد

(١٠٠) «جمّة» في الاصل . «الغلفاء» الارض لم تُترع

من الغلفاء في تلك النقطة ففقاؤها (١٠١) . فجاء به البازدار، وعينه قد سالت وهي مطبوقة، فقال «يامولاي، تلفت عين الباز» . فقال «كلته تالف» . ثم من الغد فتح عينه وهي سالمة . وسلم ذلك الباز عندنا حتى قر نص قرناصين فكان من انظر البزاة

ذكرته بما جرى لجمعة وغنيم وان لم يكن موضع ذكر البزاة ورأيت من استقى وفسدوا جوفه فمات، وغنيم شق ذلك السكران جوفه سلم وعوفي . فسبحان القادر

الهزيمة امام افرنج انطاكية

واغار (١٠٢) علينا عسكر انطاكية واصحابنا قد التقوا اوائلهم وجاءوا قد امهم . وانا واقف في طريقهم انتظر وصولهم الي لعلي انال منهم فرصة، واصحابنا يعبرون علي منزهين . فعبر علي في من عبر محمود بن جمعة . فقلت «قف يامحمود» . فوقف لحظة ثم دفع فرسه ومضى عني . ووصلني اوائل خيلهم . فاندفعت بين ايديهم وانا راد رمحي اليهم ملتفت انظرهم لا (١٠٣) يتسرع الي منهم فارس يطعني . وبين يدي جماعة من اصحابنا . ونحن بين بساتين لها حيطان طول قعدة الرجل . فندس فرسي بصدرها رجل من اصحابنا . فرددت (١٠٤) رأس فرسي علي يساري . فضربتها بالمهاميز ففزت الحائط . فضبطت حتى صرت انا والافرنج مصطفين وبيننا الحائط . فتسرع منهم فارس عليه تشهير حرير اخضر واصفر . فظننت ان ما تحته درع . فتركته حتى تجاوزني وضربت الفرس بالمهاميز، ففزت (١٠٥) الحائط . وطعته، فمال السى ان وصل رأسه ركابه ووقع ترسه والرمح من يده والخوذة عن رأسه، ونحن قد وصلنا

(١٠١) «ففتها» في الاصل . عامية

(١٠٢) «وغار» في الاصل . وذلك حوالي سنة ١١٢٧

(١٠٣) بمعنى «لثلا»

(١٠٤) «فردت» في الاصل

(١٠٥) «فقرب» طبعة درنبرغ ص ٤٥ هنا وايضاً ص ١٧

الى رجائنا . ثم عاد انتصب في سرجه وكان عليه زردية تحت الشهير .
فما جرحته الطعنة . وادركه اصحابه ثم عادوا . واخذ الرجالة الترس
والرمح والخوذة

جمعة نفسه يهرب

فلما انقضى القتال ورجع الافرنج جاءني جمعة، رحمه الله، يعتذر
عن ابنه محمود وقال «هذا الكلب انهزم عنك» . قلت «واي شيء يكون؟»
قال «ينهزم عنك ولا يكون شيء؟» قلت «وحياتك [١٩ ق] يا ابا محمود
وانت تنهزم عني ايضاً» . قال «ياشيين! والله ان موتي اسهل علي من ان
انهزم عنك» . ولم يمض الا ايام قلائل حتى اغارت علينا خيل حماة
فاخذوا لنا باقورة وحبسوها في جزيرة (١٠٦) تحت الطاحون الجلابي .
وطلع الرماة على الطاحون يحمون الباقورة . فوصلتهم انا وجمعة وشجاع
الدولة ماضي مولد لنا وكان رجلاً شجاعاً . فقلت لهما «نعب الماء وناخذ
الدواب» . فعبرنا . فامنا ماضي فضربت فرسه نشابة فقتلتها وبالجهد اوصلته
الى اصحابه . واما انا فضربت فرسي نشابة في اصل رقبتها فجازت فيها قدر
شبر، فوالله ما رمحت ولا قلت ولا كأنها احست بالجرح . واما جمعة
فرجع خوفاً على فرسه . فلما عدنا قلت «يا ابا محمود، ما قلت لك انك
تنهزم عني وانت تلوم ابنك محموداً؟» قال «والله ما خفت الاعلى الفرس .
فانها تعز علي» واعتذر

أسامة يطعن رفيقه خطأ

وقد كنا ذلك اليوم التقينا نحن وخيل حماة وقد سبقهم بعضهم بالباقورة
الى الجزيرة . فاقتلنا نحن وهم، وفيهم فرسان عسكر حماة: سرهك
وغازي التلي ومحمود بن بلداجي وحضر الطوط واساسلار

(١٠٦) في العاصي قرب شيزر

خَطْلُخ (١٠٧)، وهم اكبر عدداً منّا. فحملنا عليهم. فهزمتهم وقصدت فارساً منهم اريد اطعنه واذا هو حضر الطُوط. فقال «الضبعة، يافلان!» فعدلت عنه الى آخر قطعتته فوقع الرمح تحت ابطه. فلو تركه ما كان وقع. فسدّ عصده عليه يريد يأخذ الرمح والفرس مُسْتَدْرَة (١٠٨) بي فطار في السرج على رقبة الحصان، فوقع. ثم قام وهو على شفير الوادي المنحدر الى الجلابي (١٠٩). فضرب حصانه وساقه بين يديه ونزل. وحمدت الله سبحانه الذي ما ناله ضررٌ من تلك الطعنة لانه كان غازي التلي. وكان رحمه الله، رجلاً جيداً

جُمُعَة يَسْتَخْلَصُ اسيراً

ونزل علينا عسكر انطاكية في بعض الايام (١١٠) منزلاً كان ينزله كلّمًا نزل علينا. ونحن ركّاباً مقابلهم وبيننا النهر (١١١). فلم يقصدنا منهم احد. وضربوا خيامهم ونزلوا فيها. فرجعنا نحن نزلنا في دورنا، ونحن نراهم من الحصن (١١٢). فخرج من جندنا نحو من عشرين فارساً الى بندرفتين (١١٣) قرية بالقرب من البلد يرعون خيلهم، وقد تركوا رماحهم في دورهم. فخرج من الافرنج فارسان سارا الى قريب من اولئك الجند الذين يرعون خيلهم. فصادفاه (١١٤) رجلاً [٢٠ و] على الطريق يسوق بهيمة فاخذه (١١٥) وبهيمته ونحن نراهم من الحصن. وركب اولئك

(١٠٧) إسباسلار أو إسفهلار فارسية (سيه سالاري - قائد جيش). خطلخ تترية (فئلع). ذكره كمال الدين في *Recueil* ٥٩٥:٣

(١٠٨) مسرعة

(١٠٩) نهر يصب في العاصي

(١١٠) حوالي سنة ١١٢٩

(١١١) العاصي

(١١٢) شيزر

(١١٣) «مس» في الاصل

(١١٤) «فصادفوا» في الاصل. عامية

(١١٥) «فاخذه» في الاصل. عامية

الجند ووقفوا ما معهم رماح . فقال عتي «هاولاء عشرون لا يخلصون
اسيراً مع فارسين! لو حضرهم جُفعة رأيتهم ما يعمل» . هو يقول ذلك
وجُفعة لا بس يركض اليهم . فقال عتي «ابصروا الساعة ما يعمل» .
فلماً دنا من الفارسين وهو يركض كفاً رأس فرسه وما خلفهم شرة .
فلماً رأى عتي توقفه عنهما، وهو على روشن له في الحصن يراه، دخل
من الروشن مغضباً وقال «هذا خذلان!» وكان توقف جُفعة خوفاً من
جورة كانت بين يدي الفارسين لا (١١٦) يكون لهم فيها كمين . فلماً
وصل تلك الجورة وما فيها احد حمل على الفارسين خلص الرجل
والبهيمة وطردهما الى الخيام

وكان ابن ميمون (١١٧) صاحب انطاكية يرى ما جرى . فلماً وصل
الفارسان انفذ اخذ ترسيهما جعلهما معالف (١١٨) للدواب ورمى
خيمتهما وطردهما وقال «فارس واحد من المسلمين يطرد فارسين من
الأفرنج! ما اتم رجال اتم نساء»

واماً جُفعة فويخه وجرده عليه لوقوفه عنهما اول ما وصلهما . فقال
«يامولاي، خفت لا (١١٩) يكون لهم في جورة رايبة القرامطة كمين
يخرج علي» . فلماً كشفتها وما رايت فيها احدا استخلصت الرجل
والبهيمة وطردهما حتى دخلا عسكرهما . فلا والله ما قبل عذره ولا
رضي عنه

منزلة الفارس عند الأفرنج

والأفرنج، خذلهم الله، ما فيهم فضيلة من فضائل الناس سوى الشجاعة،
ولا عندهم تقدمة ولا منزلة عالية الا للفُرسان، ولا عندهم ناس الا الفُرسان -
فهم اصحاب الرأي وهم اصحاب القضاء والحكم . وقد حاكمتهم

(١١٦) بمعنى «لثلا»

Bohemond II (١٧)

(١١٨) «معالف» في الاصل

(١١٩) بمعنى «لثلا»

مرّة (١٢٠) على قطعان غنم اخذها صاحب بانياس (١٢١) من الشعراء وبيننا وبينهم صلح، وانا اذ ذاك بدمشق . فقلت للملك فلك بن فلك (١٢٢) «هذا تعدّي علينا واخذ دوابنا، وهو وقتُ ولاد الغنم . فولدت وماتت اولادها وردّها علينا بعد ان اتلفها» . فقال الملك لسته سبعة من الفرسان «قوموا اعملوا له حكماً» . فخرجوا من مجلسه واعتزلوا وتشاؤروا حتى اتفق رأيهم كلّهم على شيء واحد وعادوا الى مجلس الملك . فقالوا «قد حكمنا ان صاحب بانياس عليه غرامة ما اتلف من غنمهم» . فامرّه الملك بالغرامة . فتوسّل الي وثقل (١٢٣) علي وسألني حتى اخذت منه اربع مائة دينار . وهذا الحكم بعد ان تعقده الفرسان [٢٠ ق] ما يقدر الملك ولا احد من مقدّمي الافرنج يغيّره ولا ينقضه . فالفارس امر عظيم عندهم

ولقد قال لي الملك «يافلان، وحق ديني لقد فرحتُ البارحة فرحاً عظيماً» . قلت «الله يفرّح الملك بماذا فرحت؟» قال «قالوا لي انك فارس عظيم . وما كنت اعتقد انك فارس» . قلت «يامولاي، انا فارس من جنسي وقومي» . واذا كان الفارس دقيقاً طويلاً كان اعجب لهم (١٢٤) أمان تنكرد لا قيمة له

وكان نزل علينا (١٢٥) دنكري (١٢٦) وهو أوّل اصحاب انطاكية بعد ميمون (١٢٧)، فقَاتلنا ثم اصطلحنا . فنقذ يطلب حصاناً لغلام لعسي

(١٢٠) سنة ١١٤٠

(١٢١) واسمه رنيه Renier

(١٢٢) Fulk V تتوّج ملكاً على اورشليم سنة ١١٣١

(١٢٣) «ولعل» في الاصل

(١٢٤) الضمير يعود للافرنج ولكن درنورغ في ترجمته الافرنسية - *Autobiog*

(١٢٥) *raphie d' Ousāma Ibn Mounkīdh* (باريز ١٨٩٥) ص ٦٦ يرجعه لـ «قومي»

وبضمس العبارة الاخيرة كلها في كلام أسامة المقتبس

(١٢٥) ٢٧ تشرين الثاني سنة ١١٠٨

(١٢٦) Tancred (١٢٧) Bohemond I وخلفه تنكرد سنة ١١٠٤

عزّ الدين، رحمه الله، وكان فرساً جواداً • فنقذه له عمّي تحت رجل من اصحابنا كرديّ يقال له حسنون، وكان من الفرسان السجّاع وهو شابّ مقبول الصورة دقيق، ليسابق بالحصان بين يدي دنكري • فسابق به فسبق الخيل المجراة كلّها • وحضر بين يدي دنكري فصار الفرسان يكثفون سواعده ويعجبون من دقته وشبابه، وقد عرفوا انه فارس شجاع • فخلع عليه دنكري • فقال له حسنون «يامولاي، اريدك تعطيني امانك انك ان ظفرت بي في القتال تصطنعني وتطلقني» • فاعطاه امانه - على ما توهم حسنون، فانهم لا تكلمون الا بالافرنجي ما ندرى ما يمولون

ومضى على هذا سنة او اكثر (١٢٨) وانقضت مدة الصلح • وجاءنا دنكري في عسكر انطاكية، فقاتلنا عند سور المدينة • وكانت خيلنا لصيت اوائلهم • فطعن فيهم رجل يقال له كامل المشطوب من اصحابنا كرديّ، وهو وحسنون نظراء في السجاعة، وحسنون واقف مع والدي، رحمه الله، على حجرة له ينتظر حصانه ياتيه به غلامه من عند البيطار ويأتيه كراغنده • فباطأ عليه واقلقه طعن كامل المشطوب فقال لوالدي «يامولاي، امّر (١٢٩) لي بلباس خفيف» • فقال «هذه البغال عليها السلاح وافه • مهماصلح لك البسه» • وانا اذ ذلك واقف خلف والدي، وانا صبي (١٣٠)، وهو اول يوم رايت فيه القتال • فنظر الكراغندات في عيها على البغال فما وافقته، وهو يغلي يريد يتقدّم يعمل كما عمل كامل المشطوب • فتقدّم على حجرتي، وهو معرّي، فاعترضه فارس منهم • فطعن الفرس في قطّتها فعضّت على فاس اللجام وحملت به حتى رمته في وسط موكب الافرنج • فاخذوه اسيرا وعذبوه انواع العذاب وارادوا قلع عينه [٢١ و] اليسرى • فقال لهم دنكري، لعنه الله، «اقلعوا عينه اليمين، حتى اذا حمل الترس استترت عينه اليسار فلا يبقى يبصر شيئاً» • فقلعوا

(١٢٨) ربيع ١١١٠

(١٢٩) «امرّ» في الاصل

(١٣٠) كان عبر أسامة ١٥ سنة

عينه اليمين كما امرهم وطلبوا منه الف دينار وحصاناً ادهم كان لوالدي من خيل خَفَّاجَة (١٣١) جواداً من احسن الخيل . فاشتراه بالحصان، رحمه الله

وكان خرج من شيرز في ذلك اليوم راجل كثير . فحمل عليهم الفرنج فما زرعوهم من مكانهم . فحرد دنكري وقال «انتم فرساني، وكل واحد منكم له ديوان مثل ديوان مائة مسلم . وهاولاء سرجنند(١٣٢) (يعني رجالة) ما تقدرون(١٣٣) تقلعونهم من موضعهم!» قالوا «انما خوفنا على الخيل، والا دسناهم وطعناهم» . قال «الخيل لي، من قتل حصانه اخلفته عليه» . فحملوا على الناس عدة حملات، فقتل منهم سبعون حصاناً وما قدروا يزحزونهم من مواقعهم

فارس افرنجي يهزم اربعة مسلمين

وكان بافامية فارس من كبار فرسانهم يقال له بدرهوا(١٣٤) . فكان ابدا يقول «تُرى ما التقي جمعة في القتال؟» وجمعة يقول «تُرى ما التقي بدرهوا في القتال؟»

فنزل علينا عسكر انطاكية وضرب خيامه في الموضع الذي كان ينزله، وبيننا وبينهم الماء(١٣٥) ، ولنا موكب واقف على شرف مقابلهم . فركب فارس من الخيام وسار حتى وقف تحت موكبنا، والماء بينه وبينهم، وصاح بهم «فيكم جمعة؟» قالوا «لا» . والله ما كان حاضرآ فيهم . وكان ذلك الفارس بدرهوا . فالتفت فرأى اربعة فوارس منّا من ناحيته: يحيى بن صافي الاعسر وسهل بن ابي غانم الكردي وحارثة الثُميري وفارس آخر .

(١٣١) قبيلة عربية اشهرت خيلها بالجودة

sergeant (١٣٢)

(١٣٣) «تقدروا» في الاصل . عامية

(١٣٤) لعلة Pedrovant . راجع درنورغ Vie d' Ousāma (باريز ١٨٨٩)

ص ٥٧ حاشية ٢

(١٣٥) العامي

فحمل عليهم فهزمهم • ولحق واحدا منهم طعنه طعنةً فسلةً ما الحقه
حصانه ليتمكن الطعن • وعاد الى الخيام

ودخل اولئك التفر الى البلد فافتضحوا واستخفهم الناس ولاموهم
وازرروا بهم وقالوا «اربعة فوارس يهزمهم فارس واحد! كتمم افترقتم له
فكان طعن واحدا منكم وكان الثلاثة قتلوه، ولا قد افتضحتم» • وكان اشد
الناس عليهم جمعة الثميري

فكان تلك الهزيمة منحتهم قلوباً غير قلوبهم وشجاعة ما كانوا يطمعون
فيها • فاتخوها وقاتلوا واشتهروا في الحرب وصاروا من الفرسان المعدودين،
بعد تلك الهزيمة

واما بدرهوا فانه سار بعد ذلك من افامية في بعض شغله يريد انطاكية •
فخرج عليه الاسد من غاب في الرّوج (١٣٦) في طريقه فخطفه عن بغلته
ودخل به الى الغاب اكله - لا رحمه الله

وآخر يحمل على عسكر

ومن إقدام الرجل الواحد على الجمع الكثير: فمن ذلك [٢١ ق]
ان اسانلار مودود (١٣٧)، رحمه الله، نزل بظاهر شيزر يوم الخميس
تاسع ربيع الاوّل سنة خمس وخمس مائة (١٣٨)، وقد قصده دنكري
صاحب انطاكية في جمع كثير • فخرج اليه عمّي ووالدي، رحمهما الله،
وقالا «الصواب ان ترحل (وكان نازلا شرقيّ البلد على النهر) وتنزل في
البلد، ويضرب العسكر خيامهم على السطوحات في المدينة (١٣٩) • ونلقى

(١٣٦) بين حلب والمعرّة • ياقوت ٤: ٨٢٨

(١٣٧) شرف الدين مودود بن التوتتكين حاكم الموصل باسم السلطان السلجوقي
محمد شاه في اصبهان • وهو قائد الجيش الذي نفذه السلطان لمحاربة تنكرد • بناء
على طلب الخليفة العباسي • ابن تغري بردي جلد ٢ جزء ٢ ص ٣٥٤

(١٣٨) ١٥ ايلول سنة ١١١١

(١٣٩) البلد هو القسم من شيزر الواقع ضمن اقلعة • «المدينة» هو القسم من شيزر
الواقع على النهر قرب الجسر

الافرنج بعد ان نحرز خيامنا واثقالنا» • فرحل ونزل كما قال له •
واصبحا خرجا اليه وخرج من شيزر خمسة آلاف (١٤٠) راجل معدّين •
ففرح بهم اسبالار وقويت نفسه

وكان معه، رحمه الله، رجال جيد • فضفّوا من قبليّ الماء والافرنج
نزول شماليّه، فمتعوهم من الشرب والورود نهارهم • فلماً كان الليل
رحلوا راجعين الى بلادهم والناس حولهم • فنزلوا على تلّ
التّرْمُسي (١٤١) فمتعوهم الورود كما عملوا بالامس • فرحلوا في
الليل ونزلوا على تلّ التلول (١٤٢) والعسكر قد ضايقهم ومنعهم من
المسير • فاحتاطوا بالماء ومنعهم من الورود • ورحلوا في الليل
متوجّهين الى افامية • ففرغ اليهم العسكر واحتاطوا بهم، وهم سائرون •
فخرج منهم فارس واحد فحمل على الناس حتى توسّطهم، فقتلوا حصانه
واثخنوه بالجراح • فقاتل وهو راجل حتى وصل الى اصحابه
ودخل الافرنج ارضهم، وعاد المسلمون عنهم

ومضى اسبالار مودود، رحمه الله، الى دمشق • فجاءنا بعد اشهر
كتاب دنكري صاحب انطاكية مع فارس معه غلمان واصحاب يقول «هذا
فارس محتشم من الافرنج، وصل حجّ ويريد الرجوع الى بلاده • وسألني
ان اسيره اليكم يبصر فرسانكم • وقد نفّذته، فاستوصوا به» • وكان شاباً
حسن الصورة حسن اللباس، الا ان فيه اثار جراح كثيرة وفي وجهه ضربة
سيف قد قدّت من مفرقه الى حكّمته • فسألته عنه فقالوا «هذا الذي
حمل على عسكر اسبالار مودود، وقتلوا حصانه، وقاتل حتى رجع الى
اصحابه» • فتعالى الله القادر على ما يشاء لا يومخر الاجل
الا حجام ولا يقدمه الاقدام

(١٤٠) «الف» في الاصل

(١٤١) تيرْمِسي في Dussaud ٢٠٨

(١٤٢) «تلّ التلول» في الاصل • Dussaud يجعلها "Tawil" (الطويل)

ص ٢٠٨ حاشية ٧

واحد يغزو ثمانية

ومن ذلك ما حكاه لي العُقَابُ الساعر، رجل من اجنادنا من المغرب، قال «خرج ابي من تدمر يريد سوق دمشق ومعه اربعة فوارس واربعة رجالة وهم يسوقون ثمانية جمال لبيعوها» [٢٢] و [قال] بنينا نحن نسير اذا فارس مقبل من صدر البرية . فجاء بسير حتى صار بالقرب منا . فقال: خلثوا عن الجمال! فصحنا عليه وشمناه . فاطلق حصانه علينا . فطعن منا فارساً رماه عن فرسه وجرحه . فطردناه فسبق، ثم عاد الينا وقال: خلثوا عن الجمال! فصحنا عليه وشمناه . فحمل علينا، فطعن رجلاً منا اوثقه بالجرح . وتبعناه فسبقنا، ثم عاد وقد بطل منا رجلا فاطلق علينا . فاستقبله رجل منا . فطعنه صاحبنا فوقعت الطعنة في قربوس سرجه فانكسر رمح صاحبنا . وطعنه الفارس فجرحه . ثم حمل علينا فطعن رجلاً منا فصرعه . وقال: خلثوا عن الجمال! والا افينكم . قلنا: تعال خذ نصفها . قال: لا . احبسوا منها اربعة اتركوها وقوفاً وخذوا اربعة وامضوا . ففعلنا وما صدقنا نخلص بما سلم معنا . وساق هو تلك الاربعة ونحن نراه ما لنا فيه حيلة ولا طمع . وعاد بالغنيمة وهو وحده ونحن ثمانية رجال»

أفرنجي يستولي على مغار

ومن ذلك ان دنكري صاحب انطاكية اغار على شيزر فاستاق دواب (١٤٣) كثيرة وقتل وسي (١٤٤) . ونزل على قرية يقال لها زلين (١٤٥) فيها مغار معلقة [كذا] لا يوصل اليها في وسط الجبل: ما اليها من فوق منزل ولا اليها من اسفل مطلع . انما ينزل اليها من يحتمي فيها بالجبال . وذلك يوم الخميس العشرين من ربيع الآخر سنة اثنتين

(١٤٣) «دواب» في الاصل

(١٤٤) «سي» في الاصل

(١٤٥) «رلس» في الاصل

وخمس مائة (١٤٦) • فجاء شيطان من فرسانهم الى دنكري فقال «اعمل لي صندوقاً من خشب، وانا اعد فيه، ودلّوني من الجبل اليهم بسلاسل او ثقوها في الصندوق حتى لا يقطعوها بالسيوف، فاسقط» • فعملوا له صندوقاً ودلّوه بالسلاسل المعلّقات السى المغار، فاخذها وانزل كل من كان فيها السى دنكري • وذلك ان المغار بهو مسافيه مكان يستتر الناس فيه - وذلك يرميهم بالشّاب فلا تقع نشابة الا في انسان لضيق الموضع وكثرة الناس فيه

عم أسامة يفك اسر مسلمة

وكان ممن أسرفي جملة من أسرفي ذلك اليوم امرأة كانت من اصل جيّد من العرب ووصفت لعمّي عزّ الدين ابي العساكر سلطان، رحمه الله، قبل ذلك وهي في بيت ابيها • فارسل عمّي عجوزاً من اصحابه تبصرها فعادت تصفها [٢٢ ق] وجمالها وعقلها امّا لرغبة بذلّوها لها واما اُروها غيرها • فخطبها عمّي وتزوّجها • فلمّا دخلت عليه رأى غير ما وُصف له منها • ثم هي خرساء • فوفاهها مهرها وردّها الى قومها • فأُسرت من بيوت قومها ذلك اليوم • فقال عمّي «ما ادع امرأة تزوّجتها وانكشفت عليّ في اسر الافرنج» • فاشتراها، رحمه الله، بخمس مائة دينار وسلّمها الى اهلها

فطنة فتاة تركية

ومن ذلك ما حدثني به المويّد الشاعر البغدادي بالموصل سنة خمس وستين وخمس مائة (١٤٧) قال «اقطع الخليفة والدي ضيعة وهو يتردد اليها • وبها جماعة من العيّارين يقطعون الطريق والدي يصانهم لخوفه منهم ولا تتفاحه بشيء ممّا يأخذونه • فنحن يوماً جلوس بها اقبل غلام تركيّ على حصانه ومعه بغل رحل عليه خرج وجارية راكبة فوق الخرج • فنزل وانزل الجارية فقال دياقبيان، اسعدوني على حطّ الخرج، • فجنّنا

(١٤٦) ٢٧ تشرين الثاني سنة ١١٠٨

(١٤٧) ٢٥ ايلول سنة ١١٦٩ - ١٣ ايلول ١١٧٠

حططناه (١٤٨) معه، واذا به كلُّه دنانير ذهب ومصاع . فجلس هو
والجارية اكلا (١٤٩) شيئاً ثم قال «اسعدوني على رفع الخرج» . فرفعناه
معه . فقال لنا «كيف طريق الأنبار؟» فقال له والدي «الطريق هاهنا
(واشار الى الطريق) ولكن في الطريق ستون عيَّاراً اخاف عليك منهم» .
فصرط له وقال «انا أخاف من العيَّارين!»

فركه والدي ومضى الى العيَّارين اخبرهم خبره وما معه . فخرجوا
حتى عارصوه في الطريق . فلما رأهم اخرج قوسه وترك فيه سهماً واستوفاه
يريد برميهم، فانقطع الوتر . فهجم عليه العيَّارون، فانهزم . واخذوا
البغل والجارية والخرج . فقالت لهم الجارية «ياشباب، بالله لاتهتكوني» .
ويعونني نفسي والبغل ايضاً بعقد جوهر مع التركيّ قيمته خمس مائة
دينار، واخذوا الخرج وما فيه . قالوا «قد فعلنا» . قالت (١٥٠) «ابعثوا
معي بعضكم حتى اتحدت مع التركيّ وآخذ العقد» . فبعثوا معها من
يحفظها حتى دنت من التركيّ وقالت له «قد اشريت نفسي والبغل بالعقد
الذي في ساق موزك (١٥١) خفك اليسار . فادفعه لسي، قال «نعم» .
وانسح عنهم واخرج الساق موزا واذا فيه وتر قوس . فركبه على قوسه
ورجع اليهم . فما زالوا يقاتلونه وهو يقتل منهم واحداً واحداً حتى
قتل منهم ثلاثة واربعين رجلاً . ونظر فاذا والدي فسي [٢٣] و الجماعة
الباقين من العيَّارين فقال «وانت فيهم! فتشهي اعطيك نصيبك من النشاب!»
قال لا، قال «خذها ولاء السبعة عشر الباقين امض بهم الى شحنة البلد
ينسقبهم (١٥٢)» . واولئك قد زهروا ورموا سلاحهم . وساق بغله بما

(١٤٨) «حطناه» في الاصل

(١٤٩) «اكلوا» في الاصل . عامية

(١٥٠) «قال» في الاصل

(١٥١) «موزا» تعريب «موزة» الفارسية - الخف . وبظهر ان ناسخ السخطوة

اضاف «خفك» لزادة الايضاح

(١٥٢) «تسقبهم» طبعة در سورغ ص ٥٤ . «تسقبهم» لا تدبرغ ص ٢٦

عليه ومضى . وقد ارسل الله تعالى على العيارين منه مصيبة وسخطة عظيمة»

مغامرات اخرى

ومن ذلك ما حضرته في سنة تسع وخمسة مائة (١٥٣) وقد خرج والدي، رحمه الله، بالعسكر الى اسبسالار برسق بن برسق، رحمه الله، وقد وصل بامر السلطان (١٥٤) الى الغزاة، وهو في خلق عظيم وجماعة من الامراء: منهم امير الجيوش اوزبه (١٥٥) صاحب الموصل، وسُفَر دِراز صاحب الرحبة، والامير كُنْدُغدي، والحاجب الكبير بكتمر، وزنكي بن برسق وكان من الابطال، وتميرك، واسماعيل البكجي (١٥٦)، وغيرهم من الامراء. فزلوا على كفرطاب وفيها اخوان نيوقل والافرنج. فقاتلواها. ودخلوا الخراسانية في الخندق ينقبون، والافرنج قد ايقنوا بالهلاك. فطرحوا النار في الحصن فاحرقوا السقوف ووقعت على الخيل والدواب والغنم والخنازير والأسارى. فاحترق الجميع. وبقي الافرنج معلقين في اعلاه على الجيطان

فوقع لي ان ادخل في النقب ابصره. فنزلت في الخندق، والنشاب والحجار مثل المطر علينا، ودخلت النقب. فرأيت حكمة عظيمة: قد نقبوا من الخندق الى الباشورة واقاموا في جوانب النقب قائمتين وعليهما عريضة تمنع من تهدم ما فوقها. ونظموا النقب بالاشباب كذلك الى اساس الباشورة. ثم نقبوا حائط (١٥٧) الباشورة وعلقوه. وبلغوا اساس البرج. والنقب ضيق، انما هو طريق الى البرج. فلما وصلوه

(١٥٣) ٢٧ ايار سنة ١١١٥ - ١٥ ايار سنة ١١١٦

(١٥٤) محمد شاه بن ملكشاه السلجوقي في اصبهان

(١٥٥) او «أزبك» تترية - فائد جيش. ولقد ذكره ابو الفدا وابن الاثير

بلقب «امير الجيوش بك» راجع *Recueil* ١: ١٣ و ٣٠٠

(١٥٦) «اللمحي» في الاصل. قابل ابن الاثير (ليند ١٨٦٤) ١٠: ٤٦٦ و

Recueil جلد ٢٠ جز ٢٠ ص ٤٥ حاشية ٣

(١٥٧) «حط» في الاصل. عامية

وسَّعُوا النقب في حائط البرج وحملوه على الاخشاب، ويخرجون نُقارة الاحجار اولا فاؤلا (١٥٨) • وارض النقب من النقش قد صارت طيناً • فرائته وخرجت ولم يعرفني الخراسانية • ولو عرفوني ما تركوني اخرج الا بغرامة كثيرة لهم

وشرعوا في تقطيع الخشب الياسب وحشوا النقب بذلك الخشب • واصبحوا طرحوا فيه النار • وقد لبسنا وزحفنا الى الخندق [٢٣ ق] لنهجم الحصن اذا وقع البرج، وعلينا من الحجارة والنشاب بلاءٌ عظيم • فاؤل ما عملت النار صار يسقط ما بين الاحجار من تكحيل الكلس ثم اشقّ واتسع الشقّ ووقع البرج، ونحن نظن انه اذا وقع تمكّنا من الدخول عليهم • فوقع الوجه البرّاني وبقي الحائط (١٥٩) الجوّاني كما هو • فوقفنا الى ان خست علينا الشمس ورجعنا الى خيامنا، وقد نالنا من الحجارة اذىً كبير (١٦٠)

فمكّنا الى الظهر واذا قد خرج من العسكر راجل واحد معه سيفه وترسه فمضى الى حائط (١٦١) البرج الذي قد وقع، وقد صارت جوانبه كدرج السلم، فتوقّل فيه حتى صعد الى اعلاه • فلماً رآه رجال العسكر تبعه منهم قدر عشرة رجال تسرعوا بعدتهم فصعدوا واحداً وراء واحد حتى صاروا على البرج والافرنج لا يشعرون بهم • ولبسنا نحن من الخيام وزحفنا • فكثروا على البرج قبل ان يتكامل الناس عندهم

ففرغ اليهم الافرنج فرموهم بالنشاب، فجرحوا الذي طلع في الاؤل، فنزل • وتتابع الناس في الطلوع، وصاروا مع الافرنج على بدن من حيطان البرج، وبين يديهم برج في بابه فارس لا بس ومعه ترسه وقنطارته يحمي من دخول البرج • وعلى البرج جماعة من الافرنج يقاتلون الناس

(١٥٨) «فاؤل» في الاصل

(١٥٩) «حيط» في الاصل

(١٦٠) او «كبير» • «كسر» في الاصل

(١٦١) «حيط» في الاصل

بالنسب والحجارة • فصعد رجل من الانراك، ونحن نراه، ومسى والبلاء
بأخذه الى ان دنا من البرج وضرب الذي عليه بقارورة نفظ • فرأيه
كالشهاب على تلك الحجارة اليهم (١٦٢) وقد رموا نفوسهم الى الارض
خوفاً من الحريق • ثم عاد

وطلع آخر سشي على البدن ومعه سيف وترس • فخرج عليه من
البرج الذي في باب الفارس رجل منهم عليه زرديتان وبه قطارية وما
معه ترس • فلهيه التركيّ وفي يده سيفه • فطعنه الافرنجيّ • فدفع
سنان القطارنه عنه بالترس ومنى الى الافرنجيّ وقد دخل، على الرمح،
اليه • فولّى عنه وادار ظهره وامال ظهره كالراكع خوفاً على رأسه •
فضربه التركيّ ضربات ما عملت فيه شيئاً • ومضى حتى دخل السرج وقوي
عليهم الناس وتكاثروا • فسلموا الحصن ونزل الأسارى الى خيام برسق
ابن برسق

فناهدت ذلك الذي خرج بقنطاريتّه على التركيّ وقد جمعوهم في
سرادق برسق بن برسق ليقطعوا على نفوسهم ثمناً يخلصون به • فوقف
وكان سرجندياً (١٦٣) وقال «كم تأخذون منّي؟» قالوا «نريد ستمائة
دينار» • فصرط لهم وقال «انا سرجنديّ - ديواني كل شهر ديناران (١٦٤) •
من اين لي ستمائة دينار؟» وعاد جلس بين اصحابه • وكان خلفة
عظيمة • فقال الامير السيّد الشريف (١٦٥)، وكان من كبار الامراء،
لوالدي، رحمهما الله، «ياخي، ترى هاؤلاء القوم؟ نعوذ بالله منهم»
فقضى الله سبحانه ان العسكر رحل عن كفر طاب السي دانيت (١٦٦) •
وصبّحهم عسكرا نطاكية يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الاخر (١٦٧) •

(١٦٢) «الهم» في الاصل • ولعلها «اليهم»

(١٦٣) «سرجندي» في الاصل • تعريب sergeant

(١٦٤) «دسارس» في الاصل • عامية

(١٦٥) قابل ابن الاثير في *Recueil* ٢٨٢٠١

(١٦٦) من اعمال حلب وموقعها بين حلب وكفرطاب • يانوف ٥٤٠٠٢

(١٦٧) ١٥ ايلول سنة ١١١٥

وكان تسليم كفرطاب يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الآخر (١٦٨). فقتل
الامير السيد، رحمه الله، وخلق كبير من المسلمين
وعاد الوالد، رحمه الله، وكنتُ فارقتُه من كفرطاب وقد كُسر العسكر.
ونحن في كفرطاب نحرّزها نريد نعمتها، وكان اسبالار سلّمها الينا.
ونحن نخرج الأسارى كلّ اثنين في قيد من اهل شيزر وقد احترق نصف
ذا وقد بقيت فخذُه، وذا قد مات في النار. فرأيت منهم عبرة (١٦٩)
عظيمة. فتركناها وعدنا الى شيزر مع الوالد، رحمه الله. وقد اخذ كل
ما كان معه من الخيام والحمال والبغال والبرك والنحمل (١٧٠).
وتفرّق العسكر

مكيّة لوءلوه

وكان ما جرى عليهم بمكيّة من لوءلوه الخادم (١٧١) صاحب حلب
ذلك الوقت. فرّر مع صاحب انطاكية ان يخنال عليهم ويفرّتهم وبخرج
ذلك من انطاكية بعسكره يكسرهم. فأرسل الى اسبالار برسق، رحمه
الله، يقول «تفندّ لي بعض الامراء ومعه جماعة من العسكر اسلم اليه حلب.
فاني اخاف من اهل البلد ان لا يطاوعوني على التسليم. فاريد ان يكون
مع الامير جماعة اتفوى بهم على الحلبيين». ففندّ اليه امير الجيوش
اوزبة (١٧٢) ومعه ثلاثة آلاف (١٧٣) فارس. وصبّحهم روجار (١٧٤)،
لعه الله، كسرهم لنفاذ المشيئة

وعاد الافرنج، لعنهم الله، الى كفرطاب عمّروها وسكنوها

- (١٦٨) ٥ ايلول سنة ١١١٥. مقابلة هذين التاريخين وبومتي وقوعهما بدل
على وجود خطأ فيهما او في احدهما
(١٦٩) فابل عنوان الكتاب «كتاب الاعتبار»
(١٧٠) «والسجل» في الاصل
(١٧١) بدر الدين لؤلؤ الذي خلف رضوان بن تشش في إمارة حلب سنة ١١١٧
(١٧٢) «اوربه» في الاصل
(١٧٣) «الف» في الاصل
(١٧٤) Roger صاحب انطاكية كانون الاول ١١١٢ - حزيران ١١١٩

وقدر الله تعالى ان يخلص الأسرى من الفرنج الذين أخذوا من كفرطاب. فان الامراء اقسموهم وابقوهم معهم ليستروا انفسهم الا ما كان من امير الجيوش فانه تقدم الذين طلوعوا في سهمه ضرب رقاب جميعهم قبل [ان] يتوجه الى حلب. وافترق العسكر - من سلم منهم من دانيث - وتوجهوا الى بلادهم. فذلك الرجل الذي طلوع وحده الى برج كفرطاب كان سبب اخذها

نُمير يستولي على مغارة للافرنج

ومن ذلك: كان في خدمتي رجل يقال له نُمير العَلارُوزي، راجل شجاع أيد، نهض هو وقوم من رجال شيزر الى الروج الى الافرنج. فعثروا في البلد على قافلة من الافرنج في مغارة. فقال بعضهم لبعض «من يدخل عليهم؟» قال نُمير «انا». فدفع اليهم سيفه وترسه وجذب سكينه ودخل [٢٤ ق] عليهم. فاستقبله رجل منهم. فضربه بالسكين رماء وبرك عليه يقتله، وخلفه افرنجي معه سيف فضربه، وعلى ظهر نُمير مزود فيه خبز، فهو يرد عنه. فلما قتل الرجل الذي تحته التفت الى صاحب السيف يريد. فضربه بالسيف في جانب وجهه فقطع حاجبه وجفن عينه وخده وانفه وشفته العليا. فتدلى جانب وجهه على صدره. فخرج من المغارة الى اصحابه فشدوا جرحه ورجعوا به في ليلة باردة مطرة. فوصل شيزر وهو على تلك الحالة. فخيّط وجهه وداوى جراحه فبرأ وعاد الى ما كان عليه. الا ان عينه تلفت. وهو احد الثلاثة الذين رماهم (١٧٥) الاسماعيلية من حصن شيزر وقد تقدم ذكرهم (١٧٦)

(١٧٥) «رموهم» في الاصل

(١٧٦) في الجزء الاول المخروم من المخطوطة - على ما يظهر. ولقد اشار ابو القدا وابن الاثير الى هذه الحملة الاسماعيلية على شيزر بتاريخ يقابل نيسان سنة ١١٠٩ في *Recueil* ١٠:١ و٢٧٢ وسبط ابن الجوزي بتاريخ يقابل نيسان سنة ١١١٤ في *Recueil* ٣:٥٤٨

واحد يهزم قوماً في رقيّة

وحدّثني الرئيس سهري (١٧٧)، وكان في خدمة الأمير شمس الخواصّ
آلتوتاش (١٧٨) صاحب رقيّة وكان بينه وبين علم الدين عليّ كسر
صاحب حماة عداوة وخلف، قال «امرني شمس الخواصّ ان اخرج اقدّر
بلد رقيّة وابصر زرعه . فخرجت ومعني قوم من الجند قدّرت البلد .
ونزلت ليلة عند المساء بقرية من قرى رقيّة لها برج سعدنا السى سطحه
تعشينا وجلسنا وخيلنا على باب البرج . فما شعرنا الا برجل قد اشرف
علينا من بين شراريف البرج فصاح علينا ورمى نفسه الينا وفي يده سكينه
فانهزما ونزلنا في السلم الأوّل وهو خلفنا، ونزلنا في السلم الثاني، وهو
خلفنا، حتى وصلنا الباب . فخرجنا واذا قد رتبّ لنا رجالا على الباب
فقبضونا جميعنا واوثقونا رباطاً ودخلوا بنا الى حماة السى عليّ كسر فما
سلمنا من ضرب الرقبة الابفسحة الأجل . فحبسنا وغرّ منا . وكان الذي
فعل بنا ذلك كلّه رجل واحد»

ابن المرجيّ يستولي على حصن

ومثل ذلك جرى في حصن اخربة (١٧٩) كانت لصالح الدين محمد
ابن ايّوب الغسيانيّ، رحمه الله، وفيها الحاجب عيسى واليهما . وهو حصن
منيع على صخرة مرتفعة من جميع جوانبه يُطلّع اليه بسلم خشب ثم يرفع
السلم فلا يبقى اليها طريق . وليس مع الوالي في الحصن سوى ابنه
وغلامه وبوّاب الحصن وله صاحب يقال له ابن المرجيّ (١٨٠) يطلع
اليه في الوقت بعد الوقت في اشغاله . فتحدّث مع الاسماعيليّة وقرّر له

(١٧٧) «سهري» في الاصل . والرئيس هنا رئيس المقدّرين

(١٧٨) «الموساس» في الاصل

(١٧٩) «الحره» في الاصل . Dussaud ص ١٤٥ حاشية ٦ يحسب هذا الحصن
هو «الخربنة» الذي تقدّم ذكره ص ٤٨ س ٠٤ ومن اسمائه «الحصن الشرفي»

Dussaud ص ١٤٦

(١٨٠) «المرجي» في الاصل

معهم قراراً ارساه من مال واطع ويسلم اليهم حصن الخربة . ثم جاء الى الحصن فاسأذن وطلع . فبدأ بالبواب قتلته، ولقيه الغلام فقتله، ودخل على الوالي قتلته، وعاد الى ابن الوالي قتلته . وسلمه الى [٢٥ و] الاسماعيليه . وقاموا له بما كانوا قرّوه له والرجال اذا قوّوا نفوسهم على شيء فعلوه

مروءة مكارم نصراني

ومن ذلك تفاضل الرجال في هممهم ونخواتهم . وكان الوالد، رحمه الله، يقول لي « كلُّ جيّد من سائر الاجناس من الرديء من جنسه ما يكون بقيمته . مثل حصان جيّد يسوى مائة دينار، خمس حصن رديئة تسوى مائة دينار . وكذلك الجمال . وكذلك انواع الملبوس . الا ابن آدم فان الف رجل اردياء لابسواون رجلاً واحداً جيّداً » . وصدق، رحمه الله كنت (١٨١) قد نفّذت مملوكاً لي في شغل مهم الى دمشق واتفق ان اتابك زنكي، رحمه الله، اخذ حماة ونزل على حمص . فاستدّت الطريق على صاحبي . فتوجّه الى بعلبك ومنها الى طرابلس واكثرى بغل رجل نصراني . يقال له يونان (١٨٢) . فحملة الى حيث اكتراه وودّعه . ورجع وخرج صاحبي في قافلة يريد يتوصّل الى شيزر من حصون (١٨٣) الجبل . فلقبهم انسان فقال لارباب الدوابّ « لا تمضوا . فان في طريقكم في الموضع الفلاني عقد حراميه في ستين سبعين رجلاً يأخذونكم » . قال « فوقفنا لاندرى ما نعمل ما تطيب نفوسنا بالرجوع ولا نجسر على المسير من الخوف . فنحن كذلك اذا الرئيس يونان قد اقبل مسرعاً . فقلنا « ما لك ياريس؟ » قال « سمعت ان في طريقكم حراميه جئت لأسيركم . سيرا » . فسرنا معه الى ذلك الموضع . واذا قد نزل من الجبل خلق عظيم من

(١٨١) سنة ١١٢٩ او ١١٣٠

(١٨٢) « يونان » في الاصل

(١٨٣) « حصون » في الاصل . ولعلها « حصون »

الحرامية يريدون اخذنا • فلقبهم يونان وقال «يافتيان، موضعكم! انسا يونان، وهاؤلاء في خفارتني • والله ما فيكم من بتقرّب منهم؟، فردّهم والله جميعهم عنّا وما اكلوا من عندنا رغيف خبز • ومشى معنا يونان حتى امنا ثم ودّعنا وانصرف»

وفاء بدوي

وحكى لي صاحبي هذا عن ابن صاحب الطور وكان طلع معي من مصر في سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة (١٨٤) قال حدثني ابن والي الطور (١٨٥) (وهي ولاية لمصر بعيدة كان الحافظ لدين الله، رحمه الله، اذا اراد ابعاد بعض الامراء ولاء الطور • وهو قريب من بلاد الافرنج) قال «وليها والذي وخرجت انا معه الى الولاية وكنت مغرّى بالصيد • فخرجت اتصيد • فوقع بي قوم من الافرنج فاخذوني ومضوا بي الى بيت جبريل فحبسوني فيه في جبّ وحدي • وقطع عليّ صاحب بيت جبريل الفّي دينار • فبقيت في الجبّ سنة لا يسأل (١٨٦) عنّي احد • فانا في بعض الايام في الجبّ واذا قد رُفِعَ عنه الغطاء [٢٥ ق] ودلّني السيّ رجل بدوي • فقلت «من اين اخذوك؟»، قال «من الطريق»، فاقام عندي يوّيام وقطعوا عليه خمسين ديناراً • فقال لي يوماً من الايام «تريد تعلم ان ما يخلّصك من هذا الجبّ الا انا؟ فخلّصني حتى اخلّصك»، فقلت في نفسي «رجل قد وقع في شدة يريد لروحه الخلاص»، فما جاوبته • ثم بعد ايام اعاد عليّ ذلك القول • فقلت في نفسي «والله لاسعين (١٨٧) في خلاصه لعلّ الله يخلّصني بثوابه»، فصحت بالسجان فقلت له «قل للصاحب اشتهي اتحدّث معك»، فعاد واطلعني من الجبّ واحضرتني عند الصاحب • فقلت له «لي في حبسك سنة ما سأل احد عنّي ولا يدري

(١٨٤) انتهت هذه السنة في ٣ تموز سنة ١١٤٤

(١٨٥) جبل سيناء

(١٨٦) «سل» في الاصل

(١٨٧) «لاسن» في الاصل

انا حيّ او ميت • وقد حبست عندي هذا البدويّ وقطعت عليه خمسين ديناراً اجعلها زيادة على قطيعتي ودعني اسيره الى ابي حتى يفكّني، • قال «افعل»، • فرجعتُ عرفّت البدويّ وخرج ودّعني ومضى فانتظرت ما يكون منه شهرين فمسا رأيت له اثرآ ولا سمعت له خبرآ • فيست منه • فما راعني ليلة من الليالي الا وهو قد خرج عليّ من نقيب في جانب الجبّ وقال «قم والله لي خمسة (١٨٨) اشهر احضر هذا السرب من قرية خربة حتى وصلت اليك، • فقمتم معه وخرجنا من ذلك السرب وكسر قيدي واوصلني الى بيتي • فما ادري ممّ اعجب من حسن وفائه او من هدايته حتى طلعت نقيبته من جانب الجبّ»
واذا قضى الله سبحانه بالفرج فما اسهل اسبابه

أسامة يفتدي الاسرى

كنت اتردد الى ملك الافرنج (١٨٩) في الصلح بينه وبين جمال الدين محمد بن تاج الملوك (١٩٠)، رحمه الله، ليدكانت للوالد، رحمه الله، على بغدوين (١٩١) الملك والد الملكة امرأة الملك فلك بن فلك • فكان الافرنج يسوفون اساراهم اليّ لاشتربهم • فكنت اشترى منهم من سهّل الله تعالى خلاصه • فخرج شيطان منهم يقال له كليام جيبا [؟] (١٩٢) فسي موكب له يغزي فأخذ مركباً فيه حجّاج من المغاربة نحو اربع مائة نفس رجال ونساء • فكان يجيء اقوام مع مالكم فاشترى منهم من قدرت على شراء • وفيهم رجل شابّ يسلم ويقعد لا يتكلّم • فسألت عنه فقيل

(١٨٨) قابلها مع «شهرين» اعلاه • الظاهر ان تقويم البدوي غير مضبوط

(١٨٩) فُلك الخامس ملك اورشليم • Fulk of Anjou

(١٩٠) تاج الملوك بُوري بن طغتكين امير دمشق (٢٤ حزيران ١١٣٩ -

٢٩ آذار ١١٤٠) • وهو اخو شهاب الدين محمود

(١٩١) Baldwin الثاني ملك اورشليم والد Melisende التي تزوجت

Fulk الخامس سنة ١١٢٩

(١٩٢) «كليام جيبا» في الاصل • «كليام» - William

لي هو رجل راهد صاحبه دباغ . فقلت له «بكم تبغني هدا؟» قال «وحق ديني ما ابعه الا هو وهذا الشيخ جملة كما اشترتھما بثلاثة واربعين ديناراً» . فاشترتھما واشترت لسي منهم نفراً . واشترت للامير معين الدين (١٩٣)، رحمه الله، منهم نفراً بمائة وعشرين ديناراً ووزنت [٢٦ و] ما كان معي وضمت عليّ بالباقي

وجئت الي دمشق فقلت للامير معين الدين، رحمه الله، «قد اشترت لك امارى اختصتكم بهم . وما كان معي ثمنهم . والآن قد وصلت الي بيتي . ان اردتھم وزنت ثمنهم، والا وزنته انا» . قال «لا بل انا اذن، والله، ثمنهم وانا ارغب الناس في نوابھم» . وكان، رحمه الله، اسرع الناس الي فعل خير وكسب مثوبة . ووزن ثمنهم . وعدت بعد ايام الي عكا

وقد بقي من الأسرى عند كليام جييا (١٩٤) ثمانية وثلاثون اسيراً، وفيهم امرأة لبعض الذين خلصهم الله تعالى عليّ بدي . فاشتريتها منه، وما وزنت ثمنها . فركبت الي داره، لعنه الله، وقلت «تبغني منهم عشرة؟» قال «وحق ديني ما ابغ الا الجميع» . قلت «ما معي ثمن الجميع . وانا اشترى بعضهم . والنوبة الاخرى اشترى الباقي» . قال «ما ابغك الا الجميع» . فانصرفت وقد رآه الله سبحانه انهم هربوا في تلك الليلة جميعهم . وسكان ضياع عكا كلھم من المسلمين اذا وصل اليھم الاسير اخفوه واوصلوه الي بلاد الاسلام

وتطلبھم ذلك الملعون فما ظفر منهم باحد . واحسن الله سبحانه خلاصهم . واصبح يطالبني بثمان المرأة التي كنت اشتريتها وما وزنت ثمنها وقد هربت في من هرب . فقلت «سلمها اليّ وخذ ثمنها» . قال «ثمنها لي من امس قبل ان تهرب» . والزمني بوزن ثمنها . فوزنته وهان ذلك عليّ لمسرّتي بخلاص اولئك المساكين

(١٩٣) آخر

(١٩٤) كذا في الاصل

عجائب السلامة: في آمد

ومن عجائب السلامة اذا جرى بها القدر وسبقت بها المشيئة ان الأمير
فخر الدين قرا ارسلان بن سُقمان بن أرتُوق (١٩٥)، رحمه الله، عمل على
مدينة آمد (١٩٦) عدة مرار، وانا في خدمته، ولا يبلغ منها مقصوده.
وكان آخر ما عمل عليها (١٩٧) ان اميراً من الاكراد كان مُدَيوناً بآمد
راسله ومعه جماعة من اصحابه وقرّر الامر ان يصله العساكر في ليلة
تواعدوا اليها ويطلعهم بالجبال ويملك آمد. فعول فخر الدين في ذلك
المهم على خادم له افرنجي يقال له ياروق (١٩٨) والعسكر كله يمقته
وبكره لسؤ اخلاقه. فركب في بعض العسكر وتقدم. وركب باقي
الامراء فتبعوه. وتوانى هو في السير فسبقه الامراء الى آمد. فاشرف عليهم
ذلك الامير الكردي واصحابه من برج ودلثوا اليهم الجبال وقالوا «اطلعوا»
- ما طلع منهم احد. فتلوا كسروا اقبال [٢٦ ق] باب المدينة وقالوا
«ادخلوا» - ما دخلوا. كل ذلك لاعتماد فخر الدين على صبي جاهل في
هذا المهم العظيم دون الامراء الكبار

وعلم بذلك الامير كمال الدين علي بن نيسان (١٩٩) والبلدية
والجند. ففرغوا اليهم. فقتلوا بعضهم، ورمى بعضهم نفسه، وقبضوا
بعضهم. ومدت بعض الذين رموا نفوسهم، وهو نازل في الهواء، يده كأنه
يريد شيئاً يتمسك به. فوقع في بده جبل من تلك الجبال التي دلثوها
اول الليل وما طلغوا فيها فعلق به ونجا دون اصحابه. الا ان كفيه
انسلخنا (٢٠٠) من الجبل. هذا وانا حاضر

(١٩٥) صاحب حصن كيفا في ديار بكر

(١٩٦) عاصمة مقاطعة ديار بكر. اما اليوم فديار بكر يطلق على المدينة آمد

(١٩٧) قابل أباشامة ٤٠:٢

(١٩٨) «اروق» في الاصل

(١٩٩) «سان» في الاصل. وهو وزير صاحب آمد

(٢٠٠) «اسلخا» في الاصل

واصبح صاحب آمد يتبع الذين عملوا عليه فقتلهم • وسلم ذلك من
دونهم • فسبحان من اذا قدر السلامة انقذ الانسان من لهامة الاسد فذلك
حق لا مثل

الانقاذ من لهامة الاسد

كان في حصن الجسر (٢٠١) رجل من اصحابنا من بني كنانة يُعرف
بابن الاحمر ركب فرسه من حصن الجسر يريد كفرطاب لشغل له • فاجتاز
بكفر نبوذا (٢٠٢) وقافلة عابرة على الطريق • فرأوا الاسد ومع ابن
الاحمر حربة تلمع • فصاح اليه اهل القافلة «يا صاحب الخشب البراق!
دونك الاسد!» فحملة الحياء من صياحهم ان حمل على الاسد فحاصت به
الفرس، فوقع • وجاء فبرك عليه • وكان لسما يريد الله من سلامته، الاسد
شبعان • فالتقم وجهه وجهته • فخرج (٢٠٣) وجهه وصار يلحس الدم،
وهو بارك عليه لا يؤذيه • قال «فتحت عيني فابصرت لهامة الاسد • ثم
جذبت نفسي من تحته، ورفعت فخذه عني، وخرجت تعلقت بشجرة
بالقرب منه، وصعدت فيها • فرآني وجاء خلفي • فسبقت وطلعت في
الشجرة • فنام الاسد تحت الشجرة وعلائي من الذر شيء عظيم على تلك
الجراح (والذر يطلب جريح الاسد كما يطلب الفأر جريح النمر) •
(قال) فرأيت الاسد قد قعد وانصب آذانه كأنه يسمع • ثم قام يهرول •
فاذا قافلة قد اقبلت على الطريق، كأنه سمع حسها • فعرفوه وحملوه
الى بيته • وكان اثر انساب السبع في وجهته وخذته كوسم النار فسبحان
المسلم

(٢٠١) الحصن القائم على جسر شيزر • والجسر هو الموصل الوحيد بين شيزر
وضفة العاصمى اليمنى • ولقد ذكره مؤرخو الافرنج باسم *Gistrum*

(٢٠٢) «كفّر نبو» في ياقوت ٤: ٢٩١ • «كفر نبودي» اليوم *Dussaud*

ص ١٨٦ حاشية ٧

(٢٠٣) «مخرج» في الامل «مخرج» طبعة دربورغ ص ٦٣

العقل والقتال

قلت: تفاوضنا يوماً في ذكر القتال وموءدّي الشّيخ العالم ابو عبد الله محمد بن يوسف المعروف بابن المُشيرَة (٢٠٤)، رحمه الله، يسمع . فقلت له «يا استاذ، لو ركبت حصاناً ولبست كزاعندا وخوذة وتقلدت سيفاً وحملت رمحاً وترساً ووقفت عند مشهد (٢٠٥) . [٢٧ و] العاصي (موضع ضيق كان الافرنج، لعنهم الله، يجتازون به) ما كان يجوزك احد منهم» . قال «بلى والله، كلّهم» . قلت «كانوا يهابونك، ولا يعرفونك» . قال «سبحان الله! فانا ما اعرف نفسي!» ثم قال لي «يا فلان، ما يقاتل عاقل» . قلت «يا استاذ، تحكّم على فلان وفلان (وعددت له رجالاً من اصحابنا من شجعان الفرسان) انهم مجانين!» قال «ما ذا قصدت . انما قصدي ان العقل لا يحضر وقت القتال . ولو حضر ما كان الانسان يلقي بوجهه السيوف وصدرة الرماح والسهام . ما هذا شيء يقضي به العقل»

وكان، رحمه الله، بالعلم اخبر ممّا هو بالحرب . فان العقل هو الذي يحمل على الاقدام على السيوف والرماح والسهام انفة من موقف الجبان وسؤ الاحدوث . ودليل ذلك ان الشجاع يلحقه الزمع والرعدة وتغيّر اللون قبل دخوله في الحرب لسما يفكر (٢٠٦) فيه وتحدث به نفسه مما يريد يعمله ويباشره من الخطر . والنفس ترتاع لذلك وتكرهه . فاذا دخل في الحرب وخاض غمارها ذهب عنه ذلك الزمع والرعدة وتغيّر اللون . وكلّ امر لا يحضره العقل يظهر فيه الخطأ والزلل

الذهول وعواقبه

ومن ذلك ان الفرنج (٢٠٧) نزلوا مرّة على حماة فسي ازوارها،

(٢٠٤) وُلد في كفرطاب وتوفي عام ١١٠٩ . ذكره حاجي خليفة «كنف الظنون»

(ليبزغ ١٨٣٥ - ٥٨) ٢٢:٢ و ٢٣١:٤ و ٣٧٨:٦

(٢٠٥) مخاضة

(٢٠٦) «لسماً تفكّر» طبعة درنيورغ ص ٦٤

(٢٠٧) سنن طرابلس وذلك سنة ١١١٧ . ابن الاثير في *Recueil* ٣٠٩:١

وفيهما زرع مخضب، فضربوا خيامهم في ذلك الزرع . وخرج من شيزر جماعة من الحرامية يدورون بعسكر الافرنج يسرقون منه، فأوا الخيام في الزرع . فاصبح بعضهم حضر صاحب حماة (٢٠٨) وقال «الليلة احرق عسكر الافرنج كلّه» . قال «ان فعلتَ خلعتُ عليك» . فلما امسى خرج معه نفر على رأيه طرحوا النار غربيّ الخيام في الزرع لتسوقها الرياح الى خيامهم . فصار الليل بضوء النار كالنهار . فرآهم الافرنج فقصدوهم فقتلوا اكثرهم . وما نجا منهم الا من رمى نفسه في الماء وسبح الى الجانب الآخر . فهذه اثار الجهل وعواقبه

ورأيت مثل ذلك، وان لم يكن في الحرب، وقد عسكر الافرنج على بانياس في جمع كثير، ومعه البطرك (٢٠٩)، وقد ضرب خيمة كبيرة جعلها كنيسة يصلّون فيها يتولّى خدمتها شيخ شماس منهم وقد فرش ارضها بالحلفاء والحشيش . فكثرت البراغيث فوقع لذلك الشماس ان يحرق الحلفاء والحشيش لتحترق البراغيث . فطرح فيه النار، وقد يبس، فارتفعت الستها وعلقت بالخيمة فتركتها رماداً . فهذا لم يحضره العقل

حاضر الذهن تحت الاسد

وخذة اننا ركنا في بعض الايام من شيزر الى الصيد [٢٧ ق] وعمتي، رحمه الله، معنا وجماعة من العسكر . فخرج علينا السبع من قصباء دخلناها لصيد الدراج . فحمل عليه رجل من الجند كرديّ يقال له زهر الدولة بختيار القبرصي (٢١٠) سمّي بذلك للطف خلقتّه . وكان، رحمه الله، من فرسان المسلمين . فاستقبله السبع فحاص به الحصان، فرماه . وجاء السبع وهو ملقى . فرفع رجله، فتلقّمها السبع . وبادرناه فقتلنا السبع

(٢٠٨) شهاب الدين محمود بن قراجا

(٢٠٩) بطريك اورنليم واسمه وليم R. Röhricht, Ge- راجع

schichte des Königreichs Jerusalem (انزبروك ١٨٩٨) ٢٢١

(٢١٠) «القرصي» طبعة درينورغ ص ٦٤ . والباء منقطة في الاصل

واستخلصناه وهو سالم . فقلنا له «يا زهر الدولة، لم رفعت رجلك الى قم السبع؟» قال «جسمي كما ترونه ضعيف نحيف . وعليّ نوب وغلالة . وما فيّ اكسى (٢١١) من رجلي فيها الرانات والخف والساق موزاً . فقلت «اشغله بها عن اضلاعي او يدي او رأسي الى ان يفرّج الله تعالى» . فهذا حضره العقل فسي موضع نزول فيه العقول واولئك ما حضرهم العقل . فالانسان احوج الى العقل من كلّ ما سواه . وهو محمود عند العاقل والجاهل .

عم اُسامة وحسن ادارته

ومن ذلك ان روجار (٢١٢) صاحب انطاكية كتب الى عمّي يقول «قد نفذت فارساً من فرساني في شغل مهمّ الى القدس . اسأل (٢١٣) ان تنفذ خيلك تأخذه من افامية ويوصلونه السي رقيّة» . فركب وارسل اليه من احضره . فلمّا لقيه قال «قد نفذني صاحبني فسي شغل وسرّ له . لكنتي رأيتك رجلاً عاقلاً . فانا احدّثك به» . فقال له عمّي «من اين عرفت اني عاقل وما رأيتني قبل الساعة؟» قال «لاني رأيت البلاد التي مشيت فيها خربة وبلدك عامر . فعرفت انك ما عمّرته الا بعقلك وسياستك» . وحدثه ما جاء فيه

تعقّل صاحب ديار بكر

وحدثني الامير فضل بن ابي الهيجاء صاحب اربل (٢١٤) قال «حدثني ابو الهيجاء قال «بعثني السلطان ملك شاه (٢١٥) لمّا وصل الى الشام الى الامير ابن مروان صاحب ديار بكر يقول: اريد ثلاثين الف دينار . فاجتمعت

(٢١١) «اكسا» في الاصل

Roger (٢١٢)

(٢١٣) «اسل» في الاصل

(٢١٤) جنوبي الموصل . ولقد ذكر ابن خلكان «تاريخ» ١١٠:١ زيارة اُسامة

لهذه المدينة . راجع ياقوت ١٨٦:١ - ٨٩

(٢١٥) ابن آلب ارسلان السلجوقي وخلفه في اماره اصهان

به واعدت عليه الرسالة . فقال: تستريح وتحدث . واصبح امر ان يدخلوني الحمام ونفذ آلة الحمام جميعها فضة ونفذ لي بدلة ثياب . وقالوا لفرّاشي: كل آلة الحمام لكم . فلما خرجت لبست ثيابي ورددت جميع الحوائج . فتركني اياماً ثم امر لي بالحمام وما انكر ردّ الحوائج . وحملوا معي آلة الحمام افضل من الآلة الاولى وبدلة ثياب افضل من البدلة الاولى . وقال الفرّاش لفرّاشي كما قال اولاً . فلما خرجت لبست ثيابي ورددت الحوائج والثياب . فتركني ثلاثة اربعة ايام ثم عاد ادخلني السى [٢٨] والحمام وحملوا معي آلات فضة افضل من الاولى وبدلة ثياب افضل من الاولى . فلما خرجت لبست ثيابي ورددت الجميع . فلما حضرت عند الامير قال لي: يا ولدي، نفذت اليك ثياباً ما لبستها، وآلة الحمام ما قبلتها، ورددتها . اي شيء سبب هذا؟ قلت: يامولاي، جئت برسالة السلطان في شغل ما انقضى . اقبل ما تفضلت به وارجع وما انقضى شغل السلطان فكأنني ما جئت الا في حاجتي؟ قال: يا ولدي، ما رأيت عمارة بلادي وكثرة خيرها وبساتينها وكثرة فلاحيتها وعمارة ضياعها؟ أتُراني كنت اتلف هذا كله من اجل ثلاثين الف دينار؟ والله ان الذهب قد كسبته من يوم وصولك . وانما انتظرت ان يتجاوز السلطان بلادي وتلحقه بالمال خوفاً من ان استقبله بالذي طلب فيطلب منّي اذا دنا من بلادي اضاعفه . فلا تشغل قلبك . فشغلك قد انقضى . ثم نفذ لي الثلاث بدلات، التي كان نفذها لي ورددتها، مع جميع حوائج الحمام التي نفذها لي في الثلاث دخلات، فقبلتها . ولما تجاوز السلطان ديار بكر اعطاني المال فحملته ولحقت به السلطان،»

حسن سياسة صاحب بدليس

وفي حسن السياسة ربح كثير من عمارة البلاد . فمن ذلك ان اتابك زنكي، رحمه الله، خطب بنت صاحب خلاط (٢١٦) وقد مات

(٢١٦) قاعدة ارمينية . وذلك سنة ١١٣٤

ابوها (٢١٧) واثمها مدبرة البلد . ونفذ حسام الدولة بن دلماج (٢١٨) خطبها لابنه، وهو صاحب بدليس (٢١٩) . فسار اتابك بعسكر حسن الى خلاط على غير الطريق السلوك لاجل درب (٢٢٠) بدليس . فسلك فيها الجبال . فكنّا ننزل بغير خيام، وكلُّ واحد في موضعه من الطريق، حتى وصلنا خلاط . فخيّم اتابك عليها ودخلنا قلعتها وكتبنا المهر فلما انقضى الشغل (٢٢١) امر اتابك ان يأخذ صلاح الدين (٢٢٢) معظم العسكر ويسري الى بدليس يقاتلها (٢٢٣) . فركبنا اول الليل وسرنا واصبحنا على بدليس . فخرج الينا حسام الدولة صاحبها . فلقينا على فسحة من البلد، وانزل صلاح الدين في الميدان، وحمل اليه الضيقة الحسنة . وخدمه وشرب عنده في الميدان وقال «يامولاي، اي شيء ترسم؟ فقد تعينت (٢٢٤) وتعبت في مجيئك» . قال «اتابك احققه خطبتك للبت التي كان خطبها . وانت بذلت لهم عشرة الف دينار تريد ما منك» . قال «السمع والطاعة» . فعجّل له بعض المال واستمهله بياقيه ايّاماً عيّنهما . ورجعنا وبلده بحسن سياسته عامر ما دخل عليه خلل

وصاحب قلعة جعبر

[٢٨ ق] وهذا قريب مما جرى لنجم الدولة مالك (٢٢٥) بن سالم

(٢١٧) سكران او سكرمان القطبي مؤسس دولة أرمين شاه توفي سنة ٥٠٦ (١١١٢) - (١٣) . ابو الفدا «تاريخ» (الاستانة ١٢٨٦: ٢٠٢٣٧)
(٢١٨) ولعله طغان أرسلان بن آلكين . ابن الاثير ١٠: ٣٨٩ و٤٣٦ . وفي
Recueil ٣٢٥:١ و٣٥٤

(٢١٩) وبالتركية «بدليس» أو «بتليس» قاعدة كردستان

(٢٢٠) وفوقها في الاصل «دربند» وهي فارسية بمعنى درب

(٢٢١) قابل كمال الدين في Recueil ٣: ٦٦٦ - ٦٧

(٢٢٢) ابن ايوب الغساني

(٢٢٣) «عاملها» في الاصل . «يعاملها» طبعة درنبورغ ص ٦٦

(٢٢٤) «عس» في الاصل . «نقيبت» طبعة درنبورغ ص ٦٧

(٢٢٥) «ملك» في الاصل هنا وفيما يلي . وهو صاحب قلعة جعبر على الفرات بقر

الرقّة

رحمه الله . وذلك ان جوسلين (٢٢٦) اغار (٢٢٧) على الرقة والقلعة فأخذ كل ما عليها وسبي وساق غنائم (٢٢٨) كثيرة ونزل مقابل القلعة وبينهم الفرات . فركب نجم الدولة مالك في زورق ومعه ثلاثة اربعة من غلمانه وعبر الفرات الى جوسلين وبينهما معرفة قديمة، ولمالك عليه جميل . وظن جوسلين ان في الزورق رسولا من مالك . فجاه واحد من الافرنج وقال «هذا مالك في الزورق» . قال «ما هو صحيح» . فاتاه آخر قال «قد نزل مالك (٢٢٩) من الزورق وهو جاءني يمشي» . فقام جوسلين والتقاء واكرمه ورد عليه جميع ما كان اخذه من الغنائم والسبي . ولولا سياسة نجم الدولة كان خرب بلده

شدة ابن سرايا لاتنفعه

إذا انقضت المدّة لم تنفع الشجاعة ولا الشدّة

شاهدت يوماً وقد زحف الينا عسكر الافرنج (٢٣٠) يقاتلنا . ومضى بعضهم مع طغذكين (٢٣١) اتابك الى حصن الجسر يقاتله . وكان اتابك اجتمع هو وإيلتازي (٢٣٢) بن أرتق والافرنج في اقامة لمحاربة عساكر السلطان (٢٣٣) . وكان وصل بها الى الشام إسباسلار برسق ابن برسق وقد نزل حماه يوم الاحد تاسع عشر محرّم سنة تسع وخمس

(٢٢٦) Joscelin الاول صاحب بلّ باشر

(٢٢٧) «غار» في الاصل

(٢٢٨) «غاسا» في الاصل

(٢٢٩) كذا في الاصل

(٢٣٠) اشترك في هذه الزحفة بالدون الاول ملك اورشليم وروجار (Roger)

صاحب انطاكية وپنتيوس (Pontius) صاحب طرابلس

(٢٣١) وفي الغالب «طغذكين» تركة معناها «الباز المقاتل» . وهو وزير

دقاق ونلقب فيما بعد «سيف الدولة» . ومؤرخو الافرنج يسمونه Doldequin

(٢٣٢) «والعاري» في الاصل هنا وفيما يلي . فكان الناسخ حسب المقطع الاول

اداة التعريف

(٢٣٣) معمدشاه سلطان امبهان

مائة (٢٣٤) • فامّا نحن فقاتلوننا بالقرب من سور المدينة • فاسظهرنا عليهم ودفعناهم وانبسطنا معهم • فساهدت رجلاً من اصحابنا يقال له محمد ابن سرايا (٢٣٥)، وهو شاب شديد ابد، قد حمل عليه فارس من الافرنج، لعنه الله، فطعنه في فخذه فنقذ القنطارية فيها • فمسكها محمد وهي في فخذه، وجعل الافرنجي يجذبها لياخذها ومحمد يجذبها لياخذها فترجع في فخذه حتى قورت فخذه • واستلب القنطارية بعد ان اتلف فخذه • ومات بعد يومين، رحمه الله

اسامة ينقذ ابن عمه

ورأيت في ذلك اليوم، وانا في جانب الناس في القتال، فارساً قد حمل على فارس منبأ طعن حصانه قتله، وصاحبنا راجل في الارض ولا ادري من هو لبعده ما بيننا • فدفعت حصاني اليه خوفاً عليه من الافرنجي الذي طعنه، وقد بقيت (٢٣٦) القنطارية في الحصان وهو ميت قد خرجت مصارينه، والافرنجي قد اعتزل عنه غير بعيد وجذب سيفه ووقف مستقبه • فلماً وصلته وجدته ابن عمي ناصر الدولة كامل بن مقلد، رحمه الله • فوقف عليه واخليت [٢٩ و] له ركابي وقلت «اركب» • فلماً ركب رددت رأس حصاني الى المغرب، والمدينة من شريقنا • قال لي «الى اين تروح؟» قلت «الى هذا الذي طعن حصانك، فهو فرصة» • فمديده وقبض على عنان الحصان وقال «ما تطاعن وعلى حصانك لابسان • اذا اوصلتني ارجع طاعنه» • فمضيت اوصلته وعدت الى ذلك الكلب وقد دخل في اصحابه

زاهد تنقذه العناية

وشاهدت من لطف الله تعالى وحسن دفاعه ان الافرنج، لعنهم الله،

(٢٣٤) ١٤ حزيران سنة ١١١٥

(٢٣٥) «سرايا» في الاصل

(٢٣٦) «عب» في الاصل • «نعت» طبعة درنورغ ص ٦٨

نزلوا (٢٣٧) علينا بالفارس والراجل . وبيننا وبينهم العاصي وهوزاند
 زيادة عظيمة لا يمكنهم ان يجوزوا النبا ولا نقدر نحن نجوز اليهم .
 فنزلوا على الجبل بخيامهم . ونزل منهم قوم الى البساتين، وهي من
 جانبهم، هملوا خيلهم في القصيل وناموا . فتجرد شباب من رجالة شيزر
 وخلعوا ثيابهم واخذوا سيوفهم وسبحوا الى اولئك النيام . فقتلوا بعضهم .
 وتكاثروا على اصحابنا . فرموا نفوسهم الى الماء وجازوا، وعسكر الفرنج
 قد ركب من الجبل مثل السيل، ومن جانبهم مسجد يُعرف بمسجد ابي
 المجد بن سُمَيَّة (٢٣٨) فيه رجل يقال له حسن الزاهد، وهو واقف
 على سطح يتوب (٢٣٩) في المسجد يصلي وعليه ثياب سود صوف - ونحن
 نراه وما لنا اليه سبيل . وقد جاء الأفرنج فنزلوا على باب المسجد، وصعدوا
 اليه ونحن نقول « لا حول ولا قوّة الا بالله! الساعة يقتلونه » . فلا
 والله (٢٤٠) ما قطع صلاته ولا زال من مكانه . وعاد الأفرنج نزلوا ركبوا
 خيلهم وانصرفوا، وهو واقف مكانه يصلي . ولا نشك ان الله سبحانه
 اعماهم عنه وسرّه عن ابصارهم . فسبحان القادر الرحيم

غريب يفك اسيراً

ومن الطاف الله تعالى ان ملك الروم لماً نزل على شيزر في ستة ائتين
 وثلثين وخمس مائة (٢٤١) خرج من شيزر جماعة من الرجالة للقتال .
 فاقتطعهم (٢٤٢) الروم فقتلوا بعضاً واسروا بعضاً . فكان في جملة من
 اسروا زاهد من بني كردوس من الصالحية من مولدي محمود بن

(٢٣٧) في الزحفة نفسها سنة ١١١٥

(٢٣٨) « ابي المجد بن سمه » في الاصل

(٢٣٩) « سوب » في الاصل . « بنوب » طبعة درنبرغ ص ٦٩ . « تنور » لاندبرغ

ص ٢٩ . نوّب تعني صلتى ما هو زائد عن الفريضة

(٢٤٠) « واله » في الاصل

(٢٤١) سنة ١١٣٨ . وملك الروم هو خان الثاني كومينوس (١١١٨ - ٤٣)

(٢٤٢) « فاعطوهم » في الاصل

صالح (٢٤٣) صاحب حلب . فلماً عاد الروم كان معهم مأسوراً . فوصل القسطنطينية . فهو فسي بعض الايام فيها اذ لقيه انسان فقال «انت ابن كردوس؟» قال «نعم» . قال «سر معي اوقفني على صاحبك» . فسار معه حتى اراه صاحبه . فقاوله على ثمنه حتى تقررَ بينه وبين الرومي مبلغ ارضاه [٢٩ ق] فوزن له الثمن واعطى ابن كردوس نفقة وقال «تبلغ بها الى اهلك، وامض (٢٤٤) في دعة الله تعالى» . فخرج من القسطنطينية وتوصل الى ان عاد الى شيزر، وذلك من فرج الله تعالى وخفي لطفه، ولا يدري من الذي شراه واطلقه

ملاك يغيث اُسامة

وقد جري لي ما يشبه ذلك لماً خرج علينا الافرنج في طريق مصر وقتلوا عبّاس بن ابي الفتوح وابنه نصرأ (٢٤٥) الكبير . انهمنا نحن الى جبل قريب منّا . فصعد الناس فيه رجالة يمشون يجرؤون خيلهم وانا على اكديش ولا استطيع المشي . فصعدت وانا راكب وسفوح ذلك الجبل كلثها نفارة وحصى كلما وطئه الفرس انهرت تحت قوائمه . فضربت الاكديش ليطلع فما استطاع، ونزل والحصى والنقارة تنزل به . فترجّلت عنه واقمته ووقفت لا اقدر على المشي . فنزل الي رجل من الجبل فمسك بيدي وبرذوني فسي يدي الاخرى حتى اطلعني . ولا، والله، ما ادري من هو ولا عدتُ رأيتُه

وقد كان في ذلك الوقت الصعب يُمتنُّ فيه بيسير الاحسان ويُطلبُ المكافأةُ عنه . ولقد شربتُ من بعض الاتراك شربة ماء اعطينه عنها دينارين، وما زال بعد وصولنا دمشق يقتضيني حوانجه ويتوصلُ بي الى

(٢٤٣) تاج الملوك محمود بن ناصر بن صالح البرداسي (١٠٦٠ - ٧٤)

(٢٤٤) «وامضى» في الاصل . وفوقها شحطة صغيرة ربما كان المراد منها شط

الكلمة باسرها

(٢٤٥) «نصر» في الاصل

اغراضه لاجل تلك الشربة التي سقانيها . وما كان ذلك الذي اعانني الا ملكاً رحمني الله تعالى فاغاثني (٢٤٦) به

النبي يقلع قيد سجين

ومن لطف الله تعالى ما حدثني به عبد الله المشرف قال «حُبِسْتُ بِحَيْرَانَ (٢٤٧) وَقُبِسْتُ وَضِيَّقَ عَلَيَّ . فَاَنَا فِي الْحَبْسِ وَالْمَوْكَلُونَ عَلَيَّ بِأَبِهَ فَرَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي النَّوْمِ فَقَالَ «اَقْلَعِ الْقَيْدَ وَاخْرُجْ . فَانْتَبَهْتُ جَذِبْتُ الْقَيْدَ، فَخَرَجَ مِنْ رَجُلِي . وَقَمْتُ إِلَى الْبَابِ ارِيدُ افْتَحَهُ، فَوَجَدْتَهُ مَفْتُوحًا . فَتَخَطَّيْتُ الرِّجَالَ الْمَوْكَلِينَ إِلَى مَنْفَسِ فِي السُّورِ مَا ظَنَنْتُ يَدِي تَخْرُجُ مِنْهُ . فَخَرَجْتُ مِنْهُ، وَوَقَعْتُ عَلَى مِزْبَلَةٍ قَبْلِي فِيهَا اِثَارٌ وَقَوَعِي وَاِثَارُ رَجُلِي . وَنَزَلْتُ فِي وَادٍ (٢٤٨) حَوْلَ السُّورِ وَدَخَلْتُ مِغَارَةً فِي سَفْحِ الْجَبَلِ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ وَاَنَا اَقُولُ فِي نَفْسِي «السَّاعَةَ يَخْرُجُونَ يَرُونَنِي وَيَأْخُذُونَنِي، فَارْسَلِ اللَّهُ سِجَانَهُ ثَلَجًا غَطَّى (٢٤٩) ذَلِكَ الْاَثَرَ . وَخَرَجُوا [٣٠] وَ[يَطُوفُونَ عَلَيَّ، وَاَنَا اِرَاهِمُ نَهَارَهُمْ ذَلِكَ . فَلَمَّا امْسَيْتُ وَاَمَنْتُ الْطَلَبَ خَرَجْتُ مِنْ تِلْكَ الْمِغَارَةِ وَسَرْتُ إِلَى مَا أُمْنِي» . كَانَ هَذَا الرَّجُلُ مَشْرِفًا عَلَى مَطْبَخِ صَلاَحِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ اِيُوثُوبِ الْغَسِيَانِيِّ، رَحِمَهُ اللَّهُ

فقيه وزاهد يقاتلان للجنة

ومن الناس من يقاتل كما كان الصحابة، رضوان الله عليهم، يقاتلون للجنة لا لرغبة ولا لسمعة ومن ذلك ان ملك الامان (٢٥٠) الاقرنجي، لعنه الله، لما وصل الشام

(٢٤٦) هكذا على هامش المخطوطة . «فاغاثني» في الاصل

(٢٤٧) في ارمينية قرب شيروان . ياقوت ٣٨٠:٢

(٢٤٨) «وادي» في الاصل

(٢٤٩) «عطا» في الاصل

(٢٥٠) كتراد الثالث Conrad ملك الالمان

اجتمع اليه كلُّ من بالشَّام من الافرنج . وقصد دمشق . فخرج عسكر دمشق واهلها لقتالهم وفي جملتهم الفقيه الفندلاويّ والشيخ الزاهد عبد الرحمن الحلحُولي (٢٥١)، رحمهما الله . وكانا من خيار المسلمين . فلمّا قاربوهم قال الفقيه لعبد الرحمن «ما (٢٥٢) هاولاء الروم؟» قال «بلى» . قال «فالسى متى نحن وقوف؟» قال «سر على اسم الله تعالى» . فتقدّما قاتلا حتى قتلا، رحمهما الله، في مكان واحد

كردي يقاتل لجميل عليه

ومن الناس من يقاتل للوفاء . فمن ذلك ان رجلاً من الاكراد يقال له فارس، وكان كاسمه فارساً وايّ فارس . فحضر ابي وعمّي، رحمهما الله، وقعة كانت بينهما وبين سيف الدولة خلف بن مَلّاعب (٢٥٣) عمل عليهم فيها وغدر بهم، وقد حشد وجمع وهم غير متأمّنين لما جرى . وسبب ذلك انه راسلهم وقال «نمضي السى اسفونا (٢٥٤) وفيها الفرنج نأخذها» . فسبّقه اصحابنا اليها وترجّلوا وزحفوا الى الحصن تقبوه . وهم في القتال وابن مَلّاعب وصل . فأخذ خيل من كان ترجل من اصحابنا ووقع القتال بينهم، بعد ما كان للافرنج، واشتد بينهم القتال . فقاتل فارس الكرديّ قتالا عظيماً وجرح عدّة جراح . وما زال يقاتل ويُجرح حتى أثنخن بالجراح . وانفصل القتال . فاجتاز به ابي وعمّي، رحمهما الله، وهو محمول بين الرجال فوقفا عليه وهنّاه (٢٥٥) بالسلامة . فقال «والله ما قاتلت أريد السلامة . لكن لكم علىّ جميل وفضل كثير .

(٢٥١) ياقوت ٣١٦:٢

(٢٥٢) «أما» في ابي شامة ٥٢:١ . ويظهر ان ابا شامة نقل عن نسخة لا شامة اضبط من نسختنا هذه

(٢٥٣) صاحب اقامية . ابن تقي بردي جلد ٢ جزء ٢٠٦ ص ٢٨٦ . وتاريخ هذه

الوقعة ١١٠٩

(٢٥٤) غرّبي كفرطاب بجوار معرّة النعمان . E. Rey, *Les colonies*

franques de Syria (پاريز ١٨٨٣) ٣٣٠

(٢٥٥) «وهنّاه» في الاصل

وما رأيتكم في شدة مثل هذا اليوم . فقلت «أقاتل بين أيديكم واجازيكم عن جميلكم وأقتل قدّامكم،»

وقضى الله سبحانه انه عوفي من تلك الجراح ومضى الى جبلة (٢٥٦)، وفيها فخر الملك بن عمّار (٢٥٧) وفي اللاذقية الافرنج . فخرجت خيل من جبلة تريد الغارة على اللاذقية، وخرجت خيل من اللاذقية تريد الغارة على جبلة . فنزل الفريقان في الطريق وبينهما رابية . فطلع فارس من الافرنج [٣٠ ق] من جانبيهم يكشف الرابية وطلع فارس الكردي من الجانب الآخر يكشف لاصحابه . فالتقى الفارسان على متن الرابية فحمل كل واحد منهما على صاحبه فاختلعا طعنتين فوقعا ميتين . وبقيت الحصن تتصاول على الرابية، والفارسان قتيلان

وكان لفارس هذا عندنا ولد اسمه علان من الخند له الخيل الملاح والعدة الحسنة . ولكن ما كان كايه . فنزل علينا دنكري (٢٥٨) صاحب انطاكية يوماً وقاتلنا قبل ضرب الخيام . وهذا علان بن فارس على حصان مليح باغز (٢٥٩) من احسن الخيل، وهو واقف على رفعة من الارض . فحمل عليه فارس من الافرنج، وهو كالغافل، فطعن حصانه في رقبة نفذ القنطارية . فشب الحصان رمى علان . وعاد الافرنجي، والحصان معارضه، والقنطارية في رقبة كأنه تجنّب يتمختر (٢٦٠) بغنيمة حسنة

الصبور في الخيل

وعلى ذكر الخيل ففيها الصبور كالرجال وفيها الخوار . فمن ذلك انه كان في جندنا رجل كردي يقال له كامل المشطوب فيه الشجاعة

(٢٥٦) على شاطيء البحر قرب اللاذقية

(٢٥٧) فخر الملك ابو علي عمّار بن محمد بن عمّار نولّي طرابلس سنة

١١٠٧

(٢٥٨) Tancred وذلك سنة ١١١٠

(٢٥٩) «ياغز» في الاصل

(٢٦٠) «بسر» في الاصل

والدين والخير، رحمه الله، وله حصان ادهم اسم مثل الجبل . فالتقى هو وفارس من الافرنج فطعن الافرنجي حصانه في موضع القلادة فمالت رفته من شدة الطعنة وخرجت القنطارية من اصل رقبة الحصان فضربت فخذ كامل المشطوب وخرجت من الجانب الآخر . وما تزعزع الحصان من تلك الطعنة، ولا فارسه . فكنت ارى ذلك الجرح الذي في فخذه بعد ما اندمل وختم وهو كأكبر ما يكون من الجراح، وسلم الحصان وعاد حضر عليه القتال . فالتقى هو وفارس من الافرنج، فطعن الحصان في جبهته خسفها ولم يتزعزع . وسلم من تلك الطعنة الثانية . فكانت بعد ان اُختمت اذا اطبق الانسان كفه وادخلها في جبهة الحصان في موضع الجرح وسعها وكان من طريف ما جرى في ذلك الحصان ان اخى عز الدولة ابا الحسن علياً (٢٦١)، رحمه الله، اشتراه من كامل المشطوب . وكان ثقل العدو . فاخرجه في ضمان قرية كانت بيننا وبين فارس من افرنج كفرطاب . فبقي عنده سنة ثم مات . فارسل الينا يطلب ثمنه . قلنا «اشتريته وركبته . ومات عندك . كيف تطلب ثمنه؟» قال «انتم سقيتموه شيئاً يموت منه بعد سنة» . فعجبنا من جهله وسخافة عقله

وجرح تحتي حصان على حمص شقت الطعنة قلبه واصابه عدة سهام . فاخرجني من المعركة ومنخراه يديمان [٣١] بالدم كالغزلتين . وما انكرت منه شيئاً . وبعد وصولي الى اصحابي مات وجرح تحتي حصان فسي بلد شيزر في حرب محمود بن قراجا ثلاثة جراح . وانا اقاتل عليه ولا اعلم، والله انه قد جرح، لاني ما انكرت منه شيئاً

الضعيفة منها

واماً خورها وضعفها على الجراح فان عسكر دمشق نزل على

(٢٦١) هكذا على الهامش . «على» في الاصل

حماة (٢٦٢)، وهي لصلاح الدين محمد بن ايوب الغسانيّ ودمشق لشهاب الدين محمود بن بوري بن طغديكين، وانا بها. وزحفوا (٢٦٣) الينا في جمع كثير، ووالي حماة شهاب الدين احمد بن صلاح الدين وهو عل تل مجاهد (٢٦٤). فجاءه الحاجب غازي التلي فقال «قد انتسرت الرجالة، والخوذ تتلامع بين الخيام. والساعة يحملون على الناس يهلكونهم». فقال «امض ردّهم». فقال «والله ما يردّهم الا انت او فلان» يعني. فقال لي «تخرج تردّهم». فقلعت زردية كانت على غلام لي لبستها وخرجت رددت (٢٦٥) الناس بالدبوس، وتحتي حصان اشقر من اجود الخيل واتلها. فلما رددت الناس زحفوا الينا، وما برأ (٢٦٦) من سور حماة فارس غيري: منهم من دخل المدينة وايقنوا انهم مأخوذون (٢٦٧)، ومنهم من هو مترجل في ركابي. فاذا حملوا علينا اخرت الحصان بعنانه وانا مستقبلهم، واذا عادوا مشيت خلفهم سرة (٢٦٨) لضيق المجال وازدحام الناس. فضربت حصاتي نشابة في ساقه خشته. فوقع بي وقام، ووقع، وانا اضربه حتى قال لي الرجال الذين في ركابي «ادخل الى الباشورة اركب غيره». فقلت «والله ما انزل عنه». فرائت من ضعف ذلك الحصان ما لم اره من غيره

حصان يقاتل ومصارينه مندلعة

ومن حسن صبر الخيل ان طراد بن وهيب السميري حضر القتال بين

(٢٦٢) سنة ١١٣٧ أو ١١٣٨

(٢٦٣) سنة ١١٣٥ أو ١١٣٧ أو ١١٣٨. قابل كمال الدين في *Recueil*

٦٧٠:٣

(٢٦٤) «معاهد» في الاصل

(٢٦٥) «ردّ» في الاصل

(٢٦٦) «را» في الاصل

(٢٦٧) «موخوذون» في الاصل

(٢٦٨) «سره» في الاصل. «سيرة» طبعة درنبرغ ص ٧٣

بني نُمير، وقد قتلوا عليّ بن شمس الدولة سالم بن مالك (٢٦٩) والتي الرقّة وملكوها. والحرب بينهم وبين اخيه شهاب الدين مالك بن شمس الدولة. وتحت طراد بن وهيب حصان له من اجود الخيل له قيمة كبيرة. فطعن في خاصرته، فخرجت مصارينه. فشدّها طراد في السموط لا (٢٧٠) يدوسها فيقطعها، وقاتل حتى انقضى القتال. فدخل به الى الرقّة، فمات

أُسامة على استعداد دائم للقتال

قلت اذكرني ذكر الخيل بامر جرى لي مع صلاح الدين محمد بن ايّوب الغساني، رحمه الله. وذلك ان ملك الامراء اتابك زنكي، رحمه الله، نزل على دمشق في سنة ثلثين وخمس مائة (٢٧١) بارض دارياً (٢٧٢). وقد راسله صاحب بعلبك جمال الدين محمد بن [٣١ ق] بُوري بن طُغدُكين (٢٧٣)، رحمه الله، في الوصول اليه. وخرج من بعلبك متوجّهاً الى خدمة اتابك. فبلغه ان عسكر دمشق خرج يريد اخذه. فامر صلاح الدين ان نركب للقائه ودفع الدمشقيين عنه. فجاءني رسوله في الليل يقول «اركب» وخيمتي الى جانب خيمته، وهو قد ركب ووقف عند خيمته. فركبت في الوقت. فقال «كنت قد علمت بركوبي». قلت «لا، والله». قال «الساعة نفذتُ اليك، فركبت في الوقت». قلت «يامولاي، حصاني يأكل شعيره، ويلجمه الركابي ويقعد وهو في يده على باب الخيمة. وانا البس عدتي واتقلد سيفي وانام. فلماً جاءني رسولك ما كان لي ما يعوّقني»

فوقف الى ان اجتمع عنده جماعة من العسكر وقال «البسوا سلاحكم». وقد لبس اكثر الحاضرين وانا الى جانبه. ثم قال «كم اقول لكم البسوا

(٢٦٩) «ملك» في الاصل هنا وفيما يلي

(٢٧٠) بمعنى «لثلا»

(٢٧١) ولعل الصواب ٥٣٢ وهي ١١٣٧ - ٣٨

(٢٧٢) احدى قرى الفوطة على بعد اربعة اميال من دمشق

(٢٧٣) خلف جمال الدين اباه تاج الملوك بوري في امارة بعلبك لدن وفاته

ملاحكم؟» قلت «يامولاي، لا تكون تعينني (٢٧٤)» . قال «نعم» . قلت «والله ما اقدر البس» . نحن في اول الليل . وكراغندي فيه زرديتان مطبقة (٢٧٥) . اذا رايت العدو لبسته» . فسكت
وسرنا فاصبحنا عند ضمير (٢٧٦) . فقال لي «ما نزل ناكل (٢٧٧) شيئاً؟ فقد جعتُ من السهر» . قلت «الامر لك» . فنزلنا . فما استقر على الارض حتى قال «اين كراغندك؟» فامرت الغلام فاحضره . واخرجته من عينه واخرجت السكين فقتته عند صدره واظهرت جانب الزرديتين - وكان فيه زردية افرنجية الى ذيله وفوقها اخرى الى وسطه على كل زردية البطان واللبد واللاسين (٢٧٨) ووبر الارنب . فالتفت الى غلام له كلمه بالتركي ولا ادري ما يقول . فاحضر بين يديه حصاناً كميّاً كان أعطاه اياه اتابك في تلك الايام كالصخرة الصماء قُدّت من قسنة الجبل . فقال «هذا الحصان يصلح لهذا الكراغند . سلّمه الى غلام فلان» .
فسلّمه الى غلامي

عم أسامة يتفقّد حضور ذهنه

قلتُ كان عمّي عزّ الدين، رحمه الله، يتفقّد مني حضور فكري في القتال، ويمتحنني بالمسئلة . فنحن يوماً في بعض الحرب التي كانت بيننا وبين صاحب حماة (٢٧٩) وقد حشد وجمع ووقف على ضيعة من ضياع شيزر يحرق وينهب . فجرد عمّي من العسكر نحواً من ستين سبعين فارساً وقال لي «خذهم وسر اليهم» . فمضينا تراكض والتقينا بوادر خيلهم فكسرتناهم وطعنا فيهم وقلعناهم من موضعهم الذي كانوا عليه . ونفقتُ

(٢٧٤) «عسي» في الاصل . «تعيّبني» در نبورغ ص ٧٤

(٢٧٥) «مطمه» . ولعل الصواب «مطبّقتان»

(٢٧٦) قرية شمالي دمشق

(٢٧٧) «ما سرل ناكل» في الاصل

(٢٧٨) «الليسين» في العامية؟

(٢٧٩) شهاب الدين محمود بن قراجا (١١١٥ - ٢٤)

فارساً من اصحابي الى عمّي وابي، رحمهما الله، وهما واقفان ومعهما باقي
العسكر وراجل كثير أقول (٢٨٠) لهما «سيرا بالرجالة فقد كسرتهم»
فسارا الي (٢٨١) . فلماً قربا حملنا عليهم . كسرناهم، ورموا خيلهم في
السناروف (٢٨٢) وعبروه سباحة وهو زائد، ومضوا وعدنا بالنصر . فقال
لسي عمّي [٣٢] و «اي شيء نفذت تقول لسي؟» قلت «نفذت أقول لك
تقدّم بالرجالة فمد كسرناهم» . فقال «مع من نفذت الي؟» قلت «مع
رجب (٢٨٣) العبد» . قال «صدقت» . ما اراك كنت الاحضر القلب، ما
ادهلك القتال»

ومرّة اخرى اقتلنا نحن وعسكر حماة . وكان محمود بن قراجا قد
استعان على قتالنا بعسكر اخيه خيرخان بن قراجا صاحب حمص . وكان
قد ظهر لهم في ذلك الزمان حمل الرماح الموءلّفة بوصل الرمح الي
بعض رمح اخر بحيث يصير طوله عشرين ذراعاً او ثمانية (٢٨٤) عشر
ذراعاً . فوقف مقابلي موكب منهم، وانا في سرية نحو من خمسة عشر
فارساً . فحمل علينا منهم علوان العراقي وهو من فرسانهم وشجعانهم .
فلماً دنا منا وما تزعزعا رجع وردّ رمحه الي خلفه، فرأيت كالجبل
مطروحاً على الارض لا يقدر يرفعه . فاطلقت حصاني عليه، فطعته وقد
وصل الي اصحابه . وعدت وراياتهم على رأسي . فلقبهم اصحابي وفيهم
اخي بهاء الدولة منقذ (٢٨٥)، رحمه الله، فردّهم وقد انقطع نصف
يرقي (٢٨٦) في كزاغند علوان، ونحن بالقرب من عمّي، وهو يراني .
فلماً انفصل القتال قال لسي عمّي «اين طعنت علوان العراقي؟» قلت

(٢٨٠) «ابل» في الاصل . «كثيراً نل» طبعة درنبرغ ص ٧٥

(٢٨١) «لي» في الاصل

(٢٨٢) «السناروف» في الاصل . وهو من روافد العاصي

(٢٨٣) «رجب» في الاصل

(٢٨٤) «بسه» في الاصل

(٢٨٥) احد اخوة أسامة الثلاثة

(٢٨٦) «يراق» تركية معناها السلاح

كتاب الاعتبار

١٠٢

«اردت طهره • فمال الهواء بالبيرق (٢٨٧) فوق الرمح في جانبه» •
قال «صدتَ • ما كنت الا حاضر القلب ذلك الوقت»

(٢٨٧) «باليرق» طبعة درنبرغ ص٧٦

تربية أسامة البتية

وما رأيت الوالد، رحمه الله، نهاني عن قتال ولا ركوب خطر معما كان يرى فيّ وارى من اشفاقه وايشاره لي . ولقد رأيت يوماً (١) وكان عندنا بشيزر رهائن عن بغدوين (٢) ملك الأفرنج على قطعة قطعها لحسام الدين تيمر تاش بن بلغازي (٣)، رحمه الله، فرسان أفرنج وارمن . فلماً وفوا ما عليهم وارادوا الرجوع السى بلادهم نفد خيرخان صاحب حمص خيلاً كمنوا لهم في ظاهر شيزر . فلماً توجه الرهائن خرجوا عليهم اخذوهم . ووقع الصائح . فركب عمّي وابي، رحمهما الله، ووقفاه وكلّ من يصل اليهما قد سيراه من خلفهم . وجئت انا، فقال لي ابي «اتبعهم بمن معك، وارموا انفسكم عليهم، واستخلصوا رهائنكم» . فتبعتهم وادركهم بعد ركض اكثر النهار واستخلصت من كان معهم واخذت بعض خيل حمص . وعجبت من قوله «ارموا نفوسكم» (٤) عليهم .

ومرّة كنت معه، رحمه الله، وهو واقف في قاعة داره واذا حيّة عظيمة قد اخرجت رأسها على افريز رواق القناطر التي في الدار . فوقف يبصرها . فحملت سلماً كان في جانب الدار اسدته [٣٢ ق] تحت الحيّة وصعدت اليها، وهو يراني فلا ينهاني، واخرجت سكيناً صغيرة (٥) من وسطى، وطرحتها على رقبة الحيّة وهي نائمة وبين وجهي وبينها دون

(١) سنة ١١٢٤

(٢) Baldwin الثاني ملك اورشليم

(٣) «العارى» في الاصل . وهو صاحب مارد بن

(٤) «انفسكم» اعلاه

(٥) مؤنث في الاصل

الذراع، وحملتُ احزراً رأسها - وخرجت التفتت على بدي - السى ان
 قطعتُ رأسها والصيها الى الدار، وهي ميتة
 بل رأته، رحمه الله، وقد خرجنا يوماً لصال اسد ظهر على الجسر (٦) .
 فلمأ وصلناه حمل علينا من اجمة كان فيها . فحمل على الخيل، ثم وقف،
 وانا واحي بهاء الدولة منقذ، رحمه الله، بين الاسد وبين موكب فيه ابي
 وعمي، رحمهما الله، ومعهما جماعة من الجند . والاسد قد ربض على
 حرف النهر يتضرب بصدرة على الارض ويهدر . فحملتُ عليه . فصاح
 عليّ ابي، رحمه الله «لا تستقبله، يامجنون، فياً خذك!» فطعته . فلا والله
 ما تحركت من مكانه . ومات موضعه
 فما رأيت نهائي عن قتال غير ذلك اليوم

تركماني يموت من جرح سطحي

خلق الله عز وجل خلقه اطواراً (٧) مختلفي الخلق والطباع:
 الابيض والاسود، والجميل والقبيح، والطويل والقصير، والقوي والضعيف،
 والشجاع والحيان، بمقتضى حكمته وعموم قدرته
 رأيت بعض اولاد الامراء التركمان الذين كانوا في خدمة ملك الامراء
 اتابك زنكي، رحمه الله، وقد اصابته نصابة ما دخلت في جلده مقدار
 شعيرة فاسترحى (٨) وانحلت اعصاءوه وانقطع كلامه وغاب ذهنه . وهو
 رجل مثل الاسد، اجسم ما يكون من الرجال . فاحضروا له الطبيب
 والجراحي . فقال الطبيب «ما به بأس . بل متى ما جرح ثانية مات» .
 فهدأ وركب وتصرف كما كان . ثم اصابته نصابة اخرى بعد مدة احقر
 من الاولى واقل نكابة، فمات

(٦) حسر شرر

(٧) قابل القرآن ١٣:٧١

(٨) «فاسترخاه» في الاصل

وطحّان من لسعة زنبور

ورأيتُ ما يقارب ذلك ايضاً . كان عندنا بشير اخوان يقال لهما بنو مجاجو (٩) الواحد اسمه ابو المجد (١٠) والآخر محاسن وهما ضمّان رحاة الجسر (١١) بثمان مائة دينار . وعند الرحا مذبح للغنم يذبح فيه جزارو (١٢) البلد ويجمع الزناير على اثار الدم . فاجتاز محاسن بن مجاجو يوماً الى الرحا، فلسعه زنبور، فانفلج وانقطع كلامه واشرف على الموت . وبقي كذلك مدة . ثم افاق وانقطع عن الرحا مدة فعاتبه اخوه ابو المجد وقال له «ياخي، معنا هذه الرحي بثمان مائة دينار ولا تشرف عليها ولا تبصرها؟ وغداً ينكسر علينا ضمّانها ونموت في الحبس» . فقال [٣٣ و] له محاسن «انت مقصودك ان يلسعني زنبور آخر فيقتلني» . واصبح جاء الى الرحا (١٣)، فلسعه زنبور، فمات . فايسر الاشياء يقتل اذا فرغ الاجل، والفأل موكل بالمنطق

اسد ينتقي غلاماً

فمن ذلك انه ظهر عندنا بارض شيزر سبع . فركبنا اليه فوجدنا غلاماً للامير سابق بن وثاب (١٤) بن محمود بن صالح في ذلك المكان يرعى فرسه اسمه شمّاس (١٥) . فقال له عمّي «اين الاسد؟» قال «في تلك الغلفاء» . قال «سر قدامي اليها» . قال «انت مقصودك ان يخرج الاسد يأخذني» . ومشى قدامه . فخرج الاسد كأنه مرسل الى شمّاس فأخذه، فقتله دون الناس . وقتل الاسد

(٩) «ساحو» في الاصل . «مجاجو» ادناه

(١٠) «المجد» في الاصل

(١١) طاحون جسر شيزر . «ضمّان» بالجمع في الاصل

(١٢) «حرارى» في الاصل

(١٣) «الرحي» في الاصل

(١٤) «وثاب» في الاصل

(١٥) «شمّاس» في الاصل

أسامة والاسد

وشاهدتُ من الاسد ما لم اكن لاطنّه، ولا اعتقدت ان الاسد كالناس فيها الشجاع وفيها الجبان. وذلك ان جوبان(١٦) الخيل جاءنا يوماً يركض وقال «في اجمة تلّ التلول ثلاثة سباع». فركبنا فخرجنا اليها، واذا لبوة خلفها اسدان. فدرنا في تلك الاجمة. فخرجت علينا اللبوة. فحملت على الناس ووقفت. فحمل عليها اخي بهاء الدولة ابو المغيث منقذ، رحمه الله، طعننا قتلها، وتكسّر رمحه فيها

ورجعنا الى الاجمة. فخرج علينا احد السبعين فطرد الخيل. ووقفت انا واخي بهاء الدولة في طريقه عند عودته من طرد الخيل. فانّ الاسد اذا خرج من موضع لا بدّ له من الرجوع اليه بلا شبهة، وجعلنا اعجاز خيلنا اليه، ورددنا(١٧) رماحنا نحوه ونحن نعتقد انه يقصدنا فنسب الرماح فيه فقتله. فما راعنا الا وهو عابر علينا كالريح الى رجل من اصحابنا يقال له سعد الله الشيباني، فضرب فرسه رماها. فطعته وسطت القنطارية فيه فمات مكانه

ورجعنا الى الاسد الآخر ومعنا نحو من عشرين راجلاً من الارمن الاجياد رماة(١٨). فخرج السبع الآخر وهو اعظمها خلقة يمشي. وعارضه الارمن بالشاب، وانا معارض الارمن انتظره يحمل عليهم ياخذ واحداً منهم فاطعنه وهو يمشي. وكلّما وقعت فيه نشابة قد هدر ولوح بذنبه فاقول «الساعة يحمل». ثم يعود يمشي. فما زال كذلك حتى وقع ميتاً. فرائيت من ذلك الاسد شيئاً ما ظننته

اسد يهرب من خروف

ثم شاهدتُ من الاسد اعجب من ذلك كان بمدينة دمشق جرو اسد قد ربّاه سباع معه حتى كبر وصار يطلب

(١٦) «جوبان» تركية معناها راع.

(١٧) «وردنا» في الاصل

(١٨) «الاحاد رماة» في الاصل

الخيل وتأذى الناس به . فقيل للامير معين الدين، رحمه الله، وانا عنده
«هذا السبع قد آذى الناس . والخيل تنفر منه . وهو في الطريق» . وكان
علي [٣٣ ق] مصطبة بالقرب من دار معين الدين في النهار والليل . فقال
«قولوا للسباع يجيء به» . فقال للخوان سلا (١٩) «اخرج من ذبائح
المطبخ خروفاً اتركه فسي قاعة الدار حتى نبصر كيف يكسره السبع» .
فاخرج خروفاً الى قاعة الدار . ودخل السباع ومعه السبع . فساعة رآه
الخروف، وقد ارسله السباع من السلسلة التي في رقبته، حمل عليه
فقطحه . فانهزم السبع وجعل يدور حول البركة (٢٠) والخروف خلفه
يطرده وينطحه، ونحن قد غلبنا الضحك عليه . فقال الامير معين الدين،
رحمه الله، «ذا سبع منحوس! اخرجوه اذبحوه وسلخوه . وهاتوا جلده» .
فدبحوه وسلخوه وأعتق ذلك الخروف من الذبح

كلب يخلّص صاحبه من اسد

ومن عجيب امور السباع ان اسداً ظهر عندنا في ارض شيزر . فخرجنا
اليه ومعنا رجالة من اهل شيزر فيهم غلام للمعبّد (٢١) الذي كان يطيعه
اهل الجبل ويكاد ان يُعبّد (٢٢) . ومع ذلك الغلام كلب له . فخرج
الاسد على الخيل، فجلت قدّامه جافلة، ودخل في الرجالة . فاخذ ذلك
الغلام وبرك عليه . فوثب الكلب على ظهر الاسد، فنفر عن الرجل وعاد
الى الاجمة . وخرج الرجل الى بين يدي والدي، رحمه الله، يضحك
وقال «يامولاي، وحياتك، ما جرحني ولا آذاني» . وقتلوا الاسد . ودخل
الرجل فمات في تلك الليلة من غير جرح اصابه الا انقطع قلبه (٢٣) .

(١٩) فارسية - مدير المطبخ

(٢٠) يظهر ان دور دمشق كانت يومئذ على نسق اليوم نفسه

(٢١) «للمعبّد» في الاصل «للمقيّد» طبعة درنبورغ ص ٨٠ . والمعبّد المعظم
كانه يُعبّد وربما كانت الاشارة لشيخ الحشاشين

(٢٢) «سد» في الاصل

(٢٣) لم يزل هذا الاستعمال جارياً على السنة العامة

فكنت اعجب من إقدام ذلك الكلب على الأسد، وكلُّ الحيوان ينفر من الأسد ويتجنبه

الأسد سيد الحيوانات

ولقد رأيت رأس الأسد يُحمَل إلى بعض دورنا فنرى (٢٤) السنير تهرب من تلك الدار وترمي نفوسها من السطوحات، وما رأيت الأسد قط (٢٥) • وكنتُ نسلخ الأسد ونرميه من الحصن (٢٦) إلى سفح الباشورة فلا يقربه الكلاب ولا شيء من الطير • وإذا رأيت القيقان (٢٧) اللحم نزلت إليه ثم دنت منه صاحت وطارَت • وما أشبه هيئة الأسد على الحيوان بهيئة العقاب على الطير فان العقاب يبصره الفروج الذي ما رأى العقاب قط فيصيخ وينهزم • هيئة القاهما الله تعالى في قلوب الحيوان لهذين الحيوانين

قاتل اسد تقتله عقربة

وعلى ذكر السباع كان عندنا اخوان من اصحابنا يقال لهما بنو الرُّعام رجالة يترددان من شيزر الى اللاذقية (واللاذقية لعَمِّي عزَّ الدولة ابي المرهف نصر، وفيها اخوه عزَّ الدين ابو العساكر سلطان، رحمهما الله) بالكتب بينهما قالا «خرجنا من اللاذقية [٣٤] و [فاشرفنا من عقبة المندة (٢٨)، وهي عقبة عالية تُشرف على ما تحنها من الوطأ، فرأينا السبع وهو رابض على نهر تحت العقبة • فوقفنا مكاننا ما نجسر على النزول من خوف الاسد • فرأينا رجلاً فد اقبل • فصحنا اليه ولوحنا

(٢٤) «ورى» في الاصل

(٢٥) يظهر ان ملاحظات اسامة علمية • قابل F. C. Selous, *African*

Nature, Notes and Reminiscences (لندن ١٩٠٨) ٩٥

(٢٦) شيزر

(٢٧) «العقبان» في الاصل • «العقبان» طعه در سورع ص ٨٠

(٢٨) «المنده» في الاصل

بناينا اليه نحدّره من الاسد فمما سمعنا . واوتر قومه وطرح فيه نشابة ومشي . فرآه الاسد فوثب اليه . فضربه ما اخطأ قلبه، فقتله . ومشي اليه فتم قتله . واخذ نشابته وجاء الى ذلك النهر فنزع زُرْبُوله (٢٩) وقلع ثيابه ونزل اغتسل في الماء . ثم طلع لبس ثيابه، ونحن نراه، وجعل ينفذ شعره ليُنسّفه من الماء . ثم لبس فردة زرْبُوله واتكى على جنبه وطول في الاتكاء . فقلنا «والله ما قصّر . ولكن على من يتيه!»، ونزلنا اليه وهو على حاله فوجدناه ميتاً ما ندري ما اصابه . فنزعنا فردة الزُرْبُول من رجله واذا فيه عقرب صغيرة قد لسعت في ابهامه . فمات لوقته . فمعجنا من ذلك الجبّار الذي قتل الاسد وقتلته عقرب مثل الاصبع . فسبحان الله القادر النافذ المشيئة في الخلق

طبائع الاسد على ما درسها أسامة

قلت: قاتلتُ السباع في عدّة مواقف لا احصياها . وقتلت عدّة منها ما شركني في قتلها احد، سوى ما شاركني فيه غيري، حتى خبرت منها وعرفت من قتلها ما لم يعرفه غيري . فمن ذلك ان الاسد مثل سواه من البهائم يخاف ابن آدم ويهرب منه وفيه غفلة وبله (٣٠) ما لم يُجرح فحينئذ هو الاسد، وذلك الوقت يُخاف منه . واذا خرج من غاب او اجمة وحمل على الخيل فلا بد له من الرجوع الى الاجمة التي خرج منها، ولو ان النيران (٣١) في طريقه . وكنت انا قد عرفت هذا بالتجربة، فمتى حمل على الخيل وقفت في طريق رجوعه، قبل ان يُجرح . فاذا رجع تركته الى ان يتجاوزني وطعته، قتله

(٢٩) يونانية بمعنى العذاء

(٣٠) «وله» في الاصل . «وتلّ» طبعه درنيورغ ص ٨١

(٣١) كان البدو اذا نزلوا مكاناً ليلا اضعلوا النار حولهم لاعتقادهم ان الاسد يتعاشى

النار . وكانوا يطلقون على هذه النار اسم « نار الاسد »

قتال النمر

فأمّا النمر فقتالها اصعب من قتال الأسد لخفتها وبعُد وثبتها . وهي تدخل في الغارات والمجاحر كما تدخل الضباع، والأسد ما تكون الا في الغابات والآجام . وقد كان ظهر عندنا نمر في قرية يقال لها معرّزف (٣٢) من اعمال شيزر . فركب اليه عمّي عزّ الدين، رحمه الله، وارسل اليّ فارساً وانا راكب في شغل لي يقول «الحقني الي معرّزف» . فلحقته وجئنا الي الموضع الذي [٣٤ ق] زعموا ان النمر فيه، فما رأينا . وكان هناك جبٌّ . فنزلت عن حصاني ومعني قنطاريّة وجلست على فم الجبِّ، وهو قصير نحو القامة وفي جانبه خرق كالمجحر . فحركت القنطاريّة في ذلك الخرق الذي في الجبِّ فخرج النمر برأسه من ذلك الخرق ليأخذ القنطاريّة . فلماً علمنا انه في ذلك الموضع نزل معي بعض اصحابنا، وصار بعضنا يحرك ذلك الموضع بالرمح، فاذا خرج طعنه الآخر . وكلّما اراد الصعود من الجبِّ اوقفناه بالرمح، حتى قتلناه . وكان خلقه عظيمة . الا انه كان قد اكل من دواب القرية حتى عجز عن نفسه . وهو دون سائر الحيوان يقفز الي فوق اربعين ذراعاً وقد كان في كنيسة حُنك (٣٣) طاقة في ارتفاع اربعين ذراعاً . فكان يأتها نمر في الهاجرة يثب اليها ينام فيها الي آخر النهار ويثب منها ينزل ويمضي . ومقطع (٣٤) حُنك ذلك الوقت فارس افرنجيّ يقال له سير ادم (٣٥) من شياطين الافرنج . فاخبروه خبر النمر فقال «اذا رأيتنوه اعلموني» . فجاء النمر كعادته ونب الي تلك الطاقة . فجاء بعض الفلاحين اخبر سير ادم . فلبس درعه وركب حصانه واخذ ترسه ورمحه وجاء الي الكنيسة وهي خراب، انما فيها حائط قائم فيه تلك الطاقة . فلماً

(٣٢) واقعة للشمال الغربي من حماة . Dussaud ٢٠٧

(٣٣) حصن للجنوب الغربي من معرّة النعمان . يافوت ٢: ٣٤٥

(٣٤) ولعلها «مطع» في الاصل

Sir Adam (٣٥)

رآه النمر وثب من الطاقة عليه، وهو على حصانه، فكسر ظهره وقتله ومضى . فكان فلاحاً (٣٦) حُنَاك يسمونه النمر المجاهد ومن خواص النمر انه اذا جرح الانسان وبالت عليه فأرة مات . ولا ترتد الفأرة عن جريح النمر (٣٧) . حتى انه يعمل له سرير يجلس في الماء ويربط حوله السناير خوفاً عليه من الفأر

الفرق بين النمر والفهد

والنمر لا يكاد يألف بالناس ولا يستأنس بهم . وقد كنت مرّة مجتازاً بمدينة حيفا (٣٨) من الساحل، وهي للأفرنج . فقال لي افرنجي منهم «تشتري منّي فهداً جيّداً؟» قلت «نعم» . فجاءني بنمر قد ربّاه حتى صار في قدّ الكلب . قلت «لا، ما يصلح لي» . هذا نمر ما هو فهد» (٣٩) . فعجبت من انسه وتصرفه مع الأفرنجي والفرق بين النمر والفهد ان وجه النمر طويل مثل وجه الكلب وعينه زرق (٤٠) والفهد وجهه مدور وعينه سود (٤٠) . وقد كان بعض الحليين اخذ نمرآ وجاء به في عدل السى صاحب القدموس وهو لبعض بني محرز (٤١)، وهو يشرب . ففتح العدل، فخرج النمر على من في المجلس . فأمّا الامير فكان عند طاقة في البرج دخل منها وغلق عليه الباب . وجال النمر في البيت قتل بعضهم وجرح بعضهم الى ان قتلوه

(٣٦) «ملاحوا» في الاصل

(٣٧) ليس لهذه الملاحظة من اساس علمي

(٣٨) «حمه» في الاصل . وذلك بين سنة ١١٤٠ و١١٤٣

(٣٩) فابل H. B. Tristram, *The Fauna and Flora of Palestine*

(لندن ١٨٨٨) ص ٩٨

(٤٠) كذا في الاصل . عامية

(٤١) «محرر» في الاصل . والتدموس حصن للتصيرية الى الجنوب الغربي من

شيزر

وسعت وما رأيت [٣٥] و [ان في السباع الببّر (٤٢)]. وما كنت
اصدق ذلك . فحدثني الشيخ الامام حجة الدين ابو هاشم محمد بن
محمد بن ظفر، رحمه الله، قال «سافرت من المغرب ومعني غلام شيخ كان
لوالدي قد سافر وجرب الامور . ففرغ الماء الذي معنا وعطشنا وليس
معنا نالک، انما نحن انا وهو على نجيين . فقصدنا ماء في طريقنا فوجدنا
عليه الببّر (٤٣) وهو نائم فاعتزلنا عنه . ونزل صاحبي عن جملة واعطاني
زمامه واخذ سيفه وترسه وقربة معنا وقال لي «احتفظ برأس النجيب، ومشي
الى الماء . فلما رآه الببّر قام ووثب مستقبه حتى تجاوزه . ثم صاح
فارت اليه مجريات له عدواً لحقوه (٤٤). وما عارضنا ولا آذانا .
فشر بنا واسقينا ثم مضينا»

هكذا حدثني، رحمه الله، وكان من خيار المسلمين في دنه وعلمه

(٤٢) الفهد المخطط ملك الغاه الهندية . والكلمه ماحودة عن «ببّر» الفارسية
وهي ظاهرة في اسم الملك الظاهر بيبرس . الببّر ذكره القزويني «عجائب المخلوقات»
(غوتنغن ١٨٤٩) ١: ٣٩١ . وتجد صورته في «الهلال» عدد تموز سنة ١٩٢٩
ص ١٠٩٤

(٤٣) لا يعيش الببّر في افريقيه كما ان الاسد لا يعيش في الهند

(٤٤) «مارب اله مجربات له عدواً للحقوه» في الاصل

٧ - اختبارات حربية

ضرب شيزر بالمنجنيق

ومن عجيب الآجال لمّا نزل الروم الى شيزر سنة اثنتين وثلاثين وخمسة مائة (١) نصبوا عليها مجانيق (٢) هائلة جاءت معهم من بلادهم ترمي الثقل (٣) وتبلغ حجراً ما لا تبلغه النشابة. وترمي الحجر عشرين وخمسة وعشرين رطلاً. ولقد رموا مرة دار صاحب لي يقال له يوسف ابن ابي الغريب، رحمه الله، بقلب قوف (٤) فهدمت علوها وسفلها بحجر واحد. وكان على برج في دار الامير (٥) قنطارية فيها راية منصوبة، وطريق الناس في الحصن من تحتها. فضرب (٦) القنطارية حجر المنجنيق كسرهما من نصفها. وانقلب كسرهما الذي فيه السنان تنكس ووقع الى الطريق، ورجل من اصحابنا عابر، فوقع السنان من ذلك العلو وفيه نصف القنطارية في ترقوته (٧) خرج الى الارض وقتله وحدتني خطلخ مملوك لوالدي، رحمه الله، قال «كنا في حصار الروم جلوساً (٨) في دهليز الحصن (٩) بعددنا وسيوفنا فاذا شيخ قد جاءنا

(١) سنة ١١٣٨

(٢) «مجانيقاً» في الاصل

(٣) «القل» في الاصل. «النقل» طبعة درنبورغ ص ٨٣

(٤) «علب فون» في الاصل. «تُعَلَّت فوق» طبعة درنبورغ ص ٨٣. «القوفا»

حجر يعمل منه الرحى

(٥) «الامر» في الاصل

(٦) «فصرب» في الاصل

(٧) «رفاه» في الاصل. ويظهر ان الكلمة كانت تلفظ «ترقاته» وقد تكررت

ادناه ص ٢١٣ ح ٨١

(٩) حصن شيزر

(٨) «جلوس» في الاصل

يعدو وقال يا مسلمون (١٠)، الحرير! دخل الروم معنا، فاخذنا سيوفنا
 وخرجنا وجدناهم قد طلوعوا من ثغرة في السور ثغرتها المجانيق.
 فضربناهم بالسيوف حتى اخرجناهم. وخرجنا خلفهم حتى اوصلناهم الى
 اصحابهم، وعدنا. ففترقنا، وبقيت انا وذلك الشيخ الذي استفزعنا.
 فوقف وادار وجهه الى الحائط يريق الماء. فاعرضتُ عنه. فسمعت
 وجبة (١١). فالتفتُ واذا الشيخ قد ضربتُ رأسه [٣٥ ق] حجر المنجنيق
 كسرتة والصقته بالحائط، ومخّته قد سال على الحائط. فحملته وصلينا
 عليه ودفنناه في مكانه، رحمه الله»

وضربت حجر المنجنيق رجلاً من اصحابنا كسرت رجله. فحملوه
 الى بين يدي عمتي وهو جالس في دهليز الحصن، فقال «هاتوا المعجبر»
 وكان بشير رجل صانع يقال له يحيى صانع في التجبير. فحضر وجلس
 يجبر رجله وهو في ستره خارج باب الحصن. فضربت الرجل المكسور
 حجر في رأسه طيرته. فدخل المعجبر الى الدهليز فقال عمتي «ما اسرع
 ما جبرته!» قال «يا مولاي، جاءته حجر ثانية اغتته عن التجبير»

قصد الفرنج دمشق (١٢)

ومن نفاذ المشيئة في الآجال والأعمار ان الافرنج، خذلهم الله، اجمع
 رأيتهم على ان يقصدوا دمشق وياخذوها (١٣). فاجتمع منهم خلق كثير.
 وسار اليهم صاحب الرها وتلّ باشر (١٤) وصاحب انطاكية. فنزل صاحب
 انطاكية على شير في طريقه الى دمشق، وقد تباعوا بينهم دور دمشق

(١٠) «ناملس» في الاصل. عامية

(١١) «وجه» في الاصل

(١٢) هذا العنوان هو الوحيد المثبت في الاصل في هامش المخطوطة

(١٣) بقيادة بالدون الاول ملك اورنليم عام ١١١٣

(١٤) ساء الافرنج Turbessel وموقعه بين حلب والرها (اورفا. ادسا).

صاحب الرها وتل باشر كان جوسلين Joscelyn I. راجع Rey ٣٢٢

وحمّاماتها وقياسيرها واشتراها (١٥) البرجاسية (١٦) ووزنوا لهم اثمانها، وما عندهم شكّ في فتحها وملكها . وكفرطاب اذ ذاك لصاحب انطاكية (١٧) . فجرد من عسكريه مائة فارس انتخبهم وامرهم بالمقام بكفرطاب مقابلنا ومقابل حماة . فلما سار الى دمشق اجتمع من التناّم من المسلمين لقصد كفرطاب وانفذوا رجلاً من اصحابنا يقال له قنّيب بن مالك (١٨)، فجسّ لهم كفرطاب في الليل، فوصلها دارها وعاد وقال «ابشروا بالغنيمة والسلامة» . فسار المسلمون اليهم فالتقوا على مكير (١٩) . فنصر الله سبحانه الاسلام وقتلوا الافرنج جميعهم . وكان قنّيب الذي جسّ لهم كفرطاب قد رأى في خندقها دواب (٢٠) كثيرة . فلما ظفروا بالافرنج وقتلوهم طمع في اخذ تلك الدوابّ التي في الخندق ورجا ان يفوز بالغنيمة وحده . فمضى يركض الى الخندق . فرمى عليه رجل من الافرنج من الحصن حجراً فقتله . وكانت له عندنا والدة عجوز كبيرة تندب في ما تمنا ثم تندب ولدها . فكانت اذا نذبت على ابنها قنّيب تندقّ نديها باللبن حتى تغرق ثيابها . فاذا فرغت من نديها [٣٦] و [عليه وسكنت لوعثها عادت نديها كالجلدين ما فيهما (٢١) قطرة لبن . فسبحان من اشرب القلوب الحنّة على الاولاد

ولمّا قيل لصاحب انطاكية وهو على دمشق «قد قتل المسلمون اصحابك» قال «ما هو صحيح . قد تركتُ بكفرطاب مائة فارس تلتقي المسلمين كلّهم»

وقضى الله سبحانه ان المسلمين بدمشق تصروا على الافرنج وقتلوا

(١٥) «واسروها» في الاصل

bourgeoisie (١٦)

Roger روجار (١٧)

(١٨) «ملك» في الاصل

(١٩) وقد وردت اعلاه ص ٤٥ ح ٢٩

(٢٠) «دوانا» في الاصل

(٢١) «بها» في الاصل . عامية

منهم مقتلة عظيمة واخذوا جميع دوابهم . فرحلوا عن دمشق اسوا رحيل
واذله - والحمد لله رب العالمين

كردي بنا بظ رأس اخيه

ومن عجيب ما جرى في تلك الوقعة بالافرنج انه كان في عسكر حماة
اخوان كرديان (٢٢) اسم الواحد بدر واسم الآخر عَنَّاَز (٢٣) وكان
هذا عَنَّاَز ضعيف النظر . فلما كُسر الافرنج وقتلوا قطعوا رؤوسهم
وشدوها في سموط خيلهم . وقطع عَنَّاَز رأساً [وشده] في سموطه . فرآه
قوم من عسكر حماة فقالوا له «يا عَنَّاَز، اي شيء هذا الرأس معك؟» قال
«سبحان (٢٤) الله لما جرى بيني وبينه حتى قتله» . قالوا له «يارجل،
هذا رأس اخيك بدر!» فنظره وتأمله، فاذا هو رأس اخيه . فاستحى [كذا]
من الناس وخرج من حماة . فما ندري اين قصد ولا عدنا سمعنا له خبراً .
وكان اخوه بدر قُتل في تلك الوقعة قتله الافرنج، خذلهم الله تعالى

ضربة سيف تشق رأس اسماعيلي

اذكرني ضرب حجر المنجنيق رأس ذلك الشيخ، رحمه الله، ضرب
السيوف الماضية . فمن ذلك ان رجلاً من اصحابنا يقال له هَمَّام (٢٥)
الحاجّ التقى هو ورجل من الاسماعيليين، لماً عملوا على حصن شيزر (٢٦)،
في رواق في دار عمّي، رحمه الله، وفي يد الاسماعيليّ سكّين والحاجّ
في يده سيف . فهجم عليه الباطنيّ بالسكّين . فضربه هَمَّام بالسيف
فوق عينه فقطع قحف رأسه ووقع مخّه على الارض فانبسط عليها وتطاير .
فوضع هَمَّام السيف من يده وتقياً ما في بطنه لما لحقه من نظر ذلك المنجّ

(٢٢) «اكراد» في الاصل

(٢٣) قابل الذهبي «المشبه» ٣٧٦

(٢٤) «سحن» في الاصل

(٢٥) أو «هَمَّام»

(٢٦) سنة ١١٠٩ او ١١١٤

اختبارات حربية

١١٧

من الغنيان (٢٧) • ولقيني في ذلك اليوم واحد منهم في يده سيخ وفي يدي سيف لي • فهجم عليّ بالسيخ فضربته في وسط ساعده، والسيخ في يده قبضته ونصله لاصق بساعده، فقطع قدّ اربع اصابع من نصل السيخ وقطع الساعد من نصفه، فابانه • وبقي اثر فم السيخ في حدّ السيخ • فراه صانع عندنا فقال «انا أخرج هذا الثلم منه» • قلت «دعه كما هو • فهو احسن ما فيه» وهو الى الآن اذا رآه الانسان علم انه اثر سكتين [٣٦ ق] ولهذا السيخ خبر انا ذاكره

واخرى تقطع نعلًا ومرفقًا

كان للوالد، رحمه الله، ركابيّ يقال له جامع • فاغار (٢٨) الفرنج علينا • فلبس الوالد كراغنده وخرج من داره ليركب، فما وجد حصانه • فوقف ساعة ينتظره • فوصل جامع الركابيّ بالحصان، وقد ابطأ • فضربه الوالد بهذا السيخ وهو في غمده متقلّد به • فقطع الجهاز والنعل الفضّة وبشتا (٢٩) • كان على الركابيّ وصوفيّة وعظم مرفقه • فرُميت يده • فكأن، رحمه الله، يقوم به وباولاده بعده لتلك الضربة • وكان السيخ يسمّى الجامعيّ باسم ذلك الركابي

ضربتان تقتلان رجلين

ومن ضربات السيوف المذكورة ان اربعة اخوة من انساب الامير افتخار الدولة ابي الفتوح بن عمرو بن صاحب حصن ابو قبيس (٣٠) سعدوا اليه الى الحصن وهو نائم او ثقوه بالجراح، وما معه في الحصن غير ابنه • ثم خرجوا وهم يظنّون انهم قد قتلوه يريدون ابنه • وكان هذا افتخار الدولة قد آتاه الله من القوّة امرًا عظيمًا • فقام من فراشه

(٢٧) «الفشبان» طبعة درنبورغ ص ٨٦

(٢٨) «فغار» في الاصل

(٢٩) أو «بُشتا» - عبّارة • ولعلها «بُشتت» الفارسية

(٣٠) «نومس» في الاصل • موقعه غربي شيزر • ياقوت ١: ١٠٣

عرباناً (٣١)، وسيفه معلق في البيت معه، فاخذه وخرج اليهم • فلقيه واحد منهم وهو مقدمهم وشجاعهم • فضربه افتخار الدوله بالسيف وقفز من مقابله خوفاً من ان يصل اليه بسكين كانت في يده • ثم التفت اليه فوجده ملقى قد قتله بتلك الضربة • وصار السى الآخر ضربه قتله • وانهمز الاثنان الباقيان • فرميا انفسهما (٣٢) من الحصن • فمات احدهما ونجا الآخر

واتانا الخبر الى شيزر • ففقدنا من هناً بالسلامة • وطلعنا بعد ثلاثة ايام الى حصن ابو قيس لعيادته، فان اخته كانت عند عمي عز الدين وله منها اولاد • فحدثنا حديثه وكيف كان امره • ثم قال «متن كفتي يحكني، وما اهل اليه» • ودعا غلاماً له ليصير ذلك الموضع اي شيء قرصه فيه • فنظر فاذا هو جرح وفيه رأس دشن قد انكسر في ظهره، وما معه منه علم ولا احس به • فلماً قاح حكه

وكان من قوة هذا الرجل انه كان يمسك رُسخ رجل البغل ويضرب البغل فلا يقدر يخلص رجليه من يده • ويأخذ المسمار البيطارى بين اصابعه وينقذه في دفّ خشب البلوط • وكان اكله مثل قوته لا بل اعظم

بطولة النساء

قد ذكرت شيئاً من افعال الرجال وذاكر شيئاً من افعال النساء، بعد بساط اقدمه

بالدون يعقب روجر في انطاكية

وذلك ان انطاكية كانت لشیطان من الافرنج يقال له روجار • فمضى يحجّ السى البيت المقدس، وصاحب البيت المقدس بغدوين

(٣١) «عربان» في الاصل

(٣٢) كذا في الاصل

اختبارات حربية

١١٩

البرونس (٣٣) وهو رجل شيخ، وروجار شاب . فقال لبغدوين «اجعل بيني وبينك شرطاً . [٣٧ و] ان متُ قبلك كانت انطاكية لك، وان متُ قبلي كان البيت المقدس لي» . فتعاقدا وتواتقا على ذلك وقدّر الله تعالى ان نجم الدين إيلغازي بن (٣٤) أرتق، رحمه الله، لقي روجار بدانيت يوم الخميس خامس جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة وخمس مائة (٣٥) فقتله (٣٦) وقتل جميع عسكره . ولم يدخل انطاكية منهم الا دون العشرين رجلاً . وسار بغدوين الى انطاكية فتسلّمها وضرب مع نجم الدين مضافاً بعد اربعين يوماً . وكان إيلغازي (٣٧) اذا شرب النبيذ يخمر (٣٨) عشرين يوماً . فشرب بعد كسر الافرنج وقتلهم (٣٩) ودخل في الخمار فما افاق حتى وصل الملك بغدوين البرونس الى انطاكية بعسكره

طُغْدَكِين يقطع رأس روبرت

فكان المضاف الثاني بينهما على السواء: كسر بعض الفرنج بعض المسلمين وكسر بعض المسلمين بعض الفرنج، وقُتِل من هؤلاء وهؤلاء جماعة . واسر المسلمون روبرت (٤٠) صاحب صهيون (٤١) وبلاطُنُس (٤٢) وتلك الناحية، وكان صديقاً لاتابك طغْدَكِين صاحب

(٣٣) Prince وهو بالدون الثاني

(٣٤) «العارى اس» في الاصل هنا وفيما يلي

(٣٥) «حمدي» في الاصل . والتاريخ يقابل ١٤ آب سنة ١١١٩

(٣٦) لم يُقتل روجار في معركة دانيت بل في البلاط كما تقدم اعلاه

(٣٧) «العارى» في الاصل هنا وفيما يلي

(٣٨) «يحم» او «يحمّر» في الاصل

(٣٩) يظهر ان الاشارة الى وقعة البلاط

(٤٠) Robert

(٤١) حصن بين اللاذقية وحماة . ابن الاثير في *Recueil* ١: ٧٢١ وياقوت

٣: ٤٣٨ و Dussaud ١٤٩

(٤٢) Palatnus جنوبي صهيون . ابن الاثير في *Recueil* ١: ٧٢٣ وياقوت

١: ٧١٠

دمشق ذلك الوقت، وكان مع نجم الدين إيلغازي لمّا اجتمع بالافرنج في افامية حين وصل عساكر الشرق مع برسق بن برسق . فقال هذا روبرت الأبرص (٤٣) «لاتابك طُغْدَكِين «ما ادري باي شيء اضيفك . ولكن قد ابحتك بلادي . انفذ خيلك تغير عليها وتأخذ كلّما وجدوه . بلي لا يسبوا ولا يقتلوا . الدوابّ والمال والغلّة لهم يأخذون ذلك مباحاً لهم» . فلما أُسر روبرت، واتابك طُغْدَكِين حاضر المصافّ في معونة ايلغازي، قطع روبرت على نفسه عشرة آلاف (٤٤) دينار فقال ايلغازي «امضوا به الى اتابك لعلّه يفرّعه فيزيدنا في القطيعة» . فمضوا به واتابك في خيمته يشرب . فلما رآه مقبلاً قام شمر اذبال قبائه (٤٥) في البند واخذ سيفه وخرج اليه ضرب رقبة . فنقذ اليه ايلغازي يعتب عليه وقال «نحن محتاجون الى دينار واحد للتركمان . وهذا كان قد قطع على نفسه عشرة آلاف دينار نقذته اليك تفرّعه لعلّه يزيدنا في القطيعة، قتلته!» قال «انا ما أحسن افزاع الا كذا»

بالدون يسامح عم أسامة بقطيعة

ثم ملك بغدوين البرونس انطاكية . وكان لابي وعمتي، رحمهما الله، عليه جميل كبير (٤٦) حيث كان اسره نور الدولة بلك (٤٧)، رحمه الله . وصار بعد قتل بلك (٤٨) الى حسام الدين تيمر تاش بن ايلغازي، فحملة الينا الى شيزر ليتوسّط ابي وعمتي رحمهما الله، بعه (٤٩) . فاحسنّا

(٤٣) كمال الدين في *Recueil* ٣: ٦٢١ و ٦٢٩

(٤٤) «الف» في الاصل هنا وادناه

(٤٥) «ماه» في الاصل هنا وفي ص ١٥٩ س ٦

(٤٦) «كسر» في الاصل

(٤٧) ابن بهرام واخو ايلغازي وصاحب مَلَطَسَة (ملاطه في العامية) شمالي

اورفا

(٤٨) ٦ ايار سنة ١١٢٤

(٤٩) كمال الدين في *Recueil* ٣: ٦٤٣

اليه . فلماً ملك كانت لصاحب انطاكية علينا قطعة (٥٠) منحننا بها .
وصار امرنا في انطاكية نافذاً

ويتنازل عن انطاكية لابن ميمون

فهو فيما هو فيه، وعنده رسول [٣٧ ق] من اصحابنا، اذ وصل (٥١)
مركب الى السويدية فيه صبي عليه اخلاق . فحضر عنده وعرفه انه ابن
ميمون . فسلم انطاكية اليه وخرج منها ضرب خيمة في ظاهرها . فحلف
لنا رسولنا الذي كان عنده انه (يعني الملك بغدوين) اشترى عليق خيله
تلك الليلة من السوق، واهراء انطاكية ملأى (٥٢) من الغلة . ورجع
بغدوين الى القدس

ابن ميمون يهاجم شيزر

وخرج على الناس من ذلك الشيطان ابن ميمون بليّة عظيمة . فنزل
علينا يوماً من الايام بعسكره . فضرب خيامه، ونحن قد ركبنا مقابلهم،
فما خرج اليانمهم احد ونزلوا في خيامهم . ونحن ركاب على شرف نبصرهم،
وبينا وبينهم العاصي . فنزل من بيننا ابن عمي ليث الدولة يحيى بن
مالك (٥٣) بن حميد، رحمه الله، يسير الى العاصي . فظننا يسقي فرسه .
فخاض الماء وعبر وسار نحو موكب للافرنج واقف بالقرب من خيامهم .
فلماً دنا منهم نزل اليه فارس واحد . فحمل كل واحد منهما على صاحبه،
وراغ (٥٤) كل واحد منهما عن طعنة الآخر . فترسعت انا وامثالي
من الشباب ذلك الوقت اليهما . ونزل ذلك الموكب وركب ابن ميمون
وعسكره وجاءوا كالسيل، وصاحبنا قد طُعت فرسه . فالتقت اوائل خيلنا

(٥٠) قيمها اربعة آلاف دينار وضعها شكر سنة ١١١٠

(٥١) سنة ١١٢٦

(٥٢) «ملا» في الاصل

(٥٣) «ملك» في الاصل

(٥٤) هكذا في الاصل ويجوز «وزاغ»

واوائل خيلهم . وفي اجنادنا رجل كرديّ يقال له ميكائيل (٥٥) قد جاء في اوائل خيلهم منهزماً، وخلفه فارس افرنجيّ قد لزمه . وللكرديّ بين يديه ضجيج وصياح عال . فلقيته، فمال عن ذلك الفارس الكرديّ وزلّ عن طريقتي وقصد خيلاً لنا في جماعة على الماء واقفين مما يلينا، وانا خلفه اجهد ان يلحقه حصاني فاطعنه، فلا يلحقه، ولا الافرنجيّ يلتفت اليّ الا يريد تلك الخيل المجتمعة الي ان وصل الي خيلنا، وانا تابعه . فظن اصحابي حصانه طعنة او ثقته (٥٦)، واصحابه في اثره في جمع ما لنا بهم قوّة . فرجع الفارس وحصانه في آخر رمقه التقاهم فردّهم جميعهم، وعاد، وهم معه . وكان الفارس ابن ميمون صاحب انطاكية وهو صبي (٥٧) قد امتلأ قلبه من الرعب . ولو ترك اصحابه هزمونا الي ان يدخلونا المدينة

قصة بُريكة

كلُّ ذلك وامة عجوز يقال لها بُريكة (٥٨) مملوكة لرجل كرديّ من اصحابنا يقال له عليّ بن محبوب (٥٩) واقفة بين الخيل على شطّ النهر في يدها شربة تستقي بها وتسقي الناس . واكثر اصحابنا الذين كانوا على الشرف لمّا رأوا الافرنج مقبلين في ذلك الجمع اندفعوا نحو المدينة وتلك (٦٠) [٣٨] الشيطانة واقفة لا يرونها ذلك الامر العظيم

وانا ذاكر شيئاً من امر هذه بُريكة، وان لم يكن موضعه، لكن الحديث شجّون

(٥٥) «ميكائيل» في الاصل

(٥٦) «اوهمه» في الاصل

(٥٧) عمره ١٨ عشر عاماً

(٥٨) «بريكة» في الاصل

(٥٩) «محبوب» في الاصل

(٦٠) مكررة في راس الصفحة التالية

كان مولاها عليّ يتدين ولا يشرب الخمر . فقال لوالدي يوماً «والله، يا امير، ما استحلّ آكل من الديوان ولا آكل الا من كسب بُريكة» . وهو الجاهل يظنّ ان ذلك السحت الحرام احلّ من الديوان الذي هو مستأجر به

وكانت هذه الأمة لها ولد اسمه نصر رجل كبير [وكان] وكيلاً (٦١) في ضيعة للوالد، رحمه الله، هو ورجل يقال له بقيّة (٦٢) بن الأصفير . حدثني قال «دخلتُ في الليل الى البلد اريد الدخول الى داري في شغل لي . فلماً دنوت من البلد رأيت بين المقابر في ضوء القمر شخصاً ما هو آدمي ولا هو وحش، فوقفت عنه وتهيّته . ثم قلت في نفسي «ما انا بقيّة! ما هذا الخوف من واحد؟، فوضعت سفي ودرّقتي (٦٣) والحربة التي معي ومشيت قليلاً قليلاً، وانا اسمع لذلك الشخص زجلاً وصوتاً . فلماً قربت منه وثبت عليه وفي يدي دشني فقبضته، واذا بها بُريكة مكشوفة الرأس قد نفشت شعرها وهي راكبة قصبه تصهل بين المقابر وتجول . قلت «ويحك! ايّ شيء تعملين (٦٤) في هذا الوقت هاهنا؟، قالت «اسحر» . قلت «قبّحك الله وقبّح سحرك وصنعتك من بين الصنائع!»

امراة تقاتل في شيزر

اذكرني قوّة نفس هذه الكلبة بامور جرت للنساء في الواقعة (٦٥) التي كانت بيننا وبين الاسماعيليّة، وان لم تكن (٦٦) سواء

(٦١) «وكلاء» في الاصل

(٦٢) «بقيّة» في الاصل

(٦٣) ترس من جلد

(٦٤) «عملى» في الاصل

(٦٥) نيسان سنة ١١٠٩

(٦٦) «كوبوا» في الاصل . عامية . والمقصود وان لم تكن هذه الساحرة ونساء

شيزر سواء

لقي في ذلك اليوم مقدم القوم علوان بن حرار (٦٧) ابن عمي
 سان الدولة شيب (٦٨) بن حامد بن حميد، رحمه الله، في الحصن، وهو
 تربي وكدتي وولدت انا وهو في يوم واحد يوم الاحد السابع والعشرين
 من جمادى (٦٩) الآخرة سنة ثمان وثمانين واربع مائة (٧٠) الا انه ما
 باشر الحرب [حتى] ذلك اليوم، وانا كنت قطبها . فاراد علوان اصطناعه .
 فقال له «ارجع الى بيتك . احمل منه ما تقدر عليه ورح (٧١) لا تقتل،
 فالحصن قد ملكناه» . فرجع الى الدار وقال «من كان له شيء يعطيني
 اياه» . (يقول ذلك لعمته ونساء عمته) . فكل منهم اعطاه شيئاً . فهو
 في ذلك واذا انسان قد دخل الدار عليه زردية وخوذة ومعه سيف وترس .
 فلما رآه ايقن بالموت . فوضع الخوذة، واذا هي ام ابن عمته ليث الدولة
 يحيى، رحمه الله . فقالت «اي شيء تريد تعمل؟» قال «آخذ ما قدرت
 عليه، وانزل من الحصن بجبل، واعيش في الدنيا» . قالت «بئس ما
 تفعل . تخلّي بنات عمك واهلك للحلاجين وتروح؟ اي عيش يكون
 [٣٨ ق] عينك اذا افتضحت في اهلك وانهزمت عنهم؟ اخرج قاتل عن
 اهلك حتى تقتل بينهم . فعل الله بك وفعل» . ومنعته، رحمها الله، من
 الهرب . وكان من الفرسان المعدودين بعد ذلك

والدة أسامة في القتال

وفي ذلك اليوم فرقت والدني، رحمها الله، سيوفي وكزاغداتي .
 وجاءت الى اخت لي كبيرة السن وقالت «البيسي خفك وازارك» . فلبست
 واخذتها الى روشن في داري يشرف على الوادي من الشرق اجلستها

(٦٧) «حرار» في الاصل . وربما كانت «جرار» «جزار» «خزار» «خزاز»
 «حزاز» «حرّاز» «حزّار» «حرّاز» الخ . النهبي «المشبه» ٩٩ - ١٠٠

(٦٨) «سب» في الاصل

(٦٩) «حمدي» في الاصل

(٧٠) ٤ تموز سنة ١٠٩٥ . ولكن هذا التاريخ يقع يوم الاربعاء

(٧١) «وروح» في الاصل . عامية

عليه وحلست الى باب الروشن . ونصرنا الله سبحانه عليهم . وجئت الى داري اطلب شيئاً من سلاحي ما وجدت الا جهازات السيوف وعييب الكزاغندات . قلت «يامني، اين سلاحي؟» قالت «يابني، اعطيت السلاح لمن يقاتل عناً . وما ظننتك سالماً» . قلت «فأختي اي شيء تعمل هاهنا؟» قالت «يابني، اجلستها على الروشن وجلست برآ منها . اذا رأيت الباطنية قد وصلوا الينا دفعتها رميها الى الوادي فأراها قد ماتت ولا اراها مع الفلاحين والحلاجين مأسورة» . فشكرتها على ذلك وشكرتها الاخت وجزتها خيراً . فهذه النخوة اشد من نخوات الرجال

عجوز تضرب بالسيف

وتلثمت في ذلك اليوم عجوز من جواري (٧٢) جدتي الامير ابي الحسن علي، رحمه الله، يقال لها فنون (٧٣) . فاخذت سيفاً وخرجت الى القتال وما زالت كذلك حتى سعدنا وتكاثرنا عليهم وما ينكر للنساء الكرام الانفة والنخوة والاصابة في الرأي

جدة أسامة تنصحه

ولقد خرجت يوماً من الايام مع الوالد، رحمه الله، الى الصيد . وكان مشغوقاً بالصيد عنده من البزاة والشواهين والصقور والفهود والكلاب الزغارية ما لا يكاد يجتمع عند غيره، ويركب في اربعين فارساً من اولاده ومماليكه كل منهم خبير بالصيد عارف بالقنص . وله بشير منصيّدان: يوماً يركب الى غربيّ البلد الى ازوار وانهار فيتصيّد الدراج وطير الماء والارانب والغزلان ويقتل الخنازير، ويوماً (٧٤) يركب الى الجبل قبليّ البلد يتصيّد الحجل والارانب . فنحن في الجبل يوماً وقد حانت صلاة العصر فنزل ونزلنا نصلّي فرادى . واذا غلام قد جاء يركض قال

(٧٢) «حوار» في الاصل

(٧٣) قابل الذهبي ٣٩٧

(٧٤) «ووم» في الاصل

«هذا الاسد!» فسلمت قبل الوالد، رحمه الله، لكيلا يمنعي من قتال الاسد. وركبت ومعني رمحي فحملت عليه. فاستقبلني وهدر. فحاص بي الحصان ووقع الرمح من يدي لنقله وطرطني شوطاً جيداً. ثم رجعت الى سفح الجبل وقف عليه وهو من اعظم السباع كأنه قنطرة جائع. وكلما دنونا منه نزل من الجبل طرد الخيل وعاد الى مكانه. وما ينزل نزلة الا يوءثر [٣٩] وفي اصحابنا

ولقد رأيت ركب مع رجل من غلمان عمي يقال له بستكين غرزة (٧٥) على وركي حصانه وخرق بمخالبه ثيابه ورائاته وعاد الى الجبل. فما كان لي فيه حيلة الا ان صعدت فوقه في سفح الجبل، ثم حدرت حصاني عليه فطعنته فتذت الرمح فيه وتركته في جانبه. فتقلب الى اسفل الجبل والرمح فيه. فمات الاسد، وانكسر الرمح، والوالد، رحمه الله واقف يرانا ومعها اولاد اخيه عز الدين يصرون ما يجري، وهم صبيان

وحملنا الاسد ودخلنا البلد العشاء، واذا جدتي لابي، رحمهما الله، قد جاءتني في الليل وبين يديها شمعة - وهي عجوز كبيرة قد قاربت من العمر مائة سنة. فما شككت انها قد جاءت تهنئني بالسلامة وتعرفني مسرتها بما فعلت. فلقيتها وقبّلت يدها فقالت لي بغیظ وغضب «يابني، ايش (٧٦) يحملك على هذه المصائب التي تخاطر فيها بنفسك وحصانك وتكسر سلاحك ويزداد قلب عمك منك وحشة ونفوراً؟» قلت «ياستي، انما اخاطر بنفسي في هذا ومثله لا تقرب الى قلب عمي». قالت «لا، والله، ما يقربك هذا منه وانه يزيدك منه بعداً ويزيده منك وحشة ونفوراً». فعلمت انها، رحمها الله، نصحتني في قولها وصدقني. ولعمري انهن امهات الرجال

ولقد كانت هذه العجوز، رحمها الله، من صالحى المسلمين من الدين والدقة والصوم والصلاة على اجمل طريقة. ولقد حضرتها ليلة النصف

(٧٥) «عرره» في الاصل

(٧٦) عامية. أي شي.

من شعبان وهي تصلي عند والدي، وكان، رحمه الله، من احسن من يتلو كتاب الله تعالى، ووالدته تصلي بصلاته • فاشفق عليها فقال «يا أمي، لو جلست صليت من قعود» • قالت «يا بني، بقي لي من العمر ما اعيش الي ليلة مثل هذه الليلة؟ لا، والله، ما اجلس» • وكان الوالد قد بلغ السبعين سنة (٧٧) وهي قد شارفت المائة سنة، رحمها الله

مسلمة تقتل زوجها

وشاهدت من نخوات النساء عجبا • وهو ان رجلا من اصحاب خلف ابن ملاعب يقال له عليّ عبد ابن ابي الريداء (٧٨) كان قد رزقه الله تعالى من النظر ما رزق زرقاء اليمامة • فكان ينهض مع ابن ملاعب يبصر القوافل على مسيرة يوم كامل

ولقد حدثني رجل من رفاقه يقال له سالم العجائزي انتقل الي خدمة والدي بعد ما قتل خلف بن ملاعب (٧٩) قال «نهضنا يوماً وارسلنا علياً (٨٠) عبد ابن ابي الريداء بكرة [٣٩ ق] يديب لنا • فجدنا وقال «ابشروا بالغنيمة! هذه قافلة كثيرة مقبلة، فنظرنا ما رأينا شيئاً • فقلنا «ما نرى قافلة ولا غيرها» • قال «والله، اني لأرى القافلة وقد امها فرسان معيّنان (٨١) ينفضان معارفهما، فاقمنا في الكمين الي العصر • فوصلتنا القافلة والفرسان المعيّنان قد امها فخرجنا اخذنا القافلة»

وحدثني سالم العجائزي قال «نهضنا يوماً وصعد عليّ عبد ابن ابي الريداء يديب (٨٢) لنا • فنام وما درى الا وقد اخذه تركي مسن سرية

(٧٧) كانت سنة ولادته ٤٦٠ او ١٠٦٨م

(٧٨) «الريداء» في الاصل

(٧٩) سنة ١١٠٦ • ابن الاثير في *Recueil* ٢٣٢:١ - ٣٥ و ابو الفدا في

Recueil ٨:١ - ٩

(٨٠) «علي» في الاصل

(٨١) «معسان» في الاصل • «معيان» • وادناه «المسان»

(٨٢) يراقب - فارسية

اتراك ناهضه وقالوا «اي شيء انت؟» قال «انا رجل معلوك قد اكريت جملي لرجل من التجار في القافلة . اعطني (٨٣) يدك انك تعطيني جملي حتى ادلكم على القافلة، . فاعطاء مقدمهم يده . فمشى بين ايديهم الى ان اوصلهم الينا الى الكمين . فخرجنا عليهم اخذناهم . وتعلق هو بالذي كان بين يديه اخذ فرسه وعدته . وغنمنا منهم غنيمة حسنة»

فلما قُتل ابن ملاعب انتقل عليّ [عبد] ابن ابي الريداء الى خدمة توفيل (٨٤) الافرنجيّ صاحب كفر طاب . فكان ينهض بالافرنج الى المسلمين يغنمهم ويبالغ في اذى المسلمين واخذ مالهم وسفك دمهم حتى قطع سبل المسافرين . وله امرأة معه بكفر طاب تحت يدي الافرنج تنكر عليه فعله وتنهاه فلا ينتهي . فنفدت احضرت نسيباً لها من بعض الضياع، واظته اخاه، واخفته في البيت الى الليل . واجتمعت هي وهو على زوجها عليّ عبد ابن ابي الريداء قتلاه، واحتملا بجميع مالها . واصبحت عندنا بشيزر وقالت «غضبتُ للمسلمين مما كان يفعل بهم هذا الكافر» . فاراحت الناس من هذا الشيطان . ورعينا لها ما فعلت وكانت عندنا في الكرامة والاحترام

افرنجية تجرح مسلماً

وكان في امراء مصر رجل يقال له ندى (٨٥) الصليحيّ في وجهه ضربتان الواحدة من حاجبه الايمن الى حدّ شعر رأسه والاخرى من حاجبه الايسر الى حدّ شعر رأسه . فسألته عنهما فقال «كنت انهض وانا شاب من عسقلان، وانا راجل . فنهضت يوماً الى طريق بيت المقدس اريد حججّاج الافرنج . فصادفنا قوماً منهم . فلقيت رجلاً معه قنطاريّة وخلفه امرأته معها كوز خشب فيه ماء . فطعنتي الرجل هذه الطعنة الواحدة وضربته

(٨٣) «اعطسي» في الاصل

(٨٤) «بوسل» في الاصل . وقد وردت اعلاه من ٧٣ في الاصل «سول»

(٨٥) «ندي» في الاصل . قابل اعلاه من ٤٢ ح ٢١

قتله • فمنت (٨٦) الي امرأته وضربني بالكوز الخشب في وجهي
جرحتني هذا الجرح الآخر [٤٠] و [فوسما وجهي
شيزرية تأسر ثلاثة افرنج

ومن إقدام النساء ان جماعة من الافرنج الحججاج حجوا وعادوا
الى رقتية، وكانت ذلك الوقت لهم، وخرجوا منها يريدون اقامة •
فتاهوا في الليل وجاءوا الي شيزر وهي اذ ذلك بغير سور • فدخلوا المدينة
وهم في نحو من سبع مائة ثمان مائة رجال ونساء وصبيان • وكان عسكر شيزر
قد خرج مع عمي (٨٧) عز الدين ابي العساكر سلطان وفخر الدين ابي
كامل شافع، رحمهما الله، ليلقيا عروسين قد تزوجاهما من بني الصوفي
الحليين اختين (٨٨) • ووالدي رحمه الله في الحصن • فخرج رجل
من المدينة في شغل له في الليل فرائى افرنجياً • فعاد اخذ سيفه وخرج
قتله • ووقع الصباح في البلد • وخرج الناس فقتلوهم وغنموا ما كان
معهم من النساء والصبيان والفضة والبهائم
وفي شيزر امرأة من نساء اصحابنا يقال لها نضرة (٨٩) بنت بوزرماط
خرجت مع الناس اخذت افرنجياً ادخلته بيتها، وخرجت اخذت آخر
ادخلته بيتها، وعادت خرجت اخذت آخر • فاجتمع عندها ثلاثة من
الافرنج • فاخذت ما كان معهم وما صلح لها من سلبيهم وخرجت دعت قوماً
من جيرانها قتلوهم

ووصل عمي والعسكر في الليل، وقد كان انهزم من الافرنج ناس
وتبعهم رجال من شيزر فقتلوهم في ظاهر البلد • فصارت الخيل تعثر (٩٠)

(٨٦) «ممسب» في الاصل

(٨٧) «عماي» في الاصل

(٨٨) «احوات» في الاصل

(٨٩) «نصره» في الاصل

(٩٠) «سر» في الاصل هنا وفي السطر التالي

في الليل في القتل، ولا يدرون بماذا تعثر، حتى ترجل احدهم وابصر
القتلى في الظلام. فهالهم ذلك واعتقدوا ان البلد قد كبس

افرنجية توءثر ان تكون زوجة اسكاف

وكانت غنيمة ساقها الله عز وجل الى الناس. فصار الى دار والدي،
رحمه الله، عدة من الجوارى (٩١) من سيهم. وهم، لعنهم الله، جنس
ملعون لا يألّفون لغير جنسهم. فرائى منهم جارية مليحة شابة فسال
لقهرمانه داره «ادخلي هذه الحمّام، واصلحي كسوتها، واعلمي شغلها
للسفر». ففعلت. وسلّمها الى بعض خدامه وسيّرّها الى الامير شهاب
الدين مالك بن سالم بن مالك (٩٢) صاحب قلعة جعبر (٩٣)، وكان صديقه،
وكتب اليه يقول «غنمنا من الافرنج غنيمة قد نفّدت لك سهماً منها». فوافقته واعجبته واتّخذها لنفسه. فولدت له ولداً ساء [٤٠ ق]
بدران (٩٤). فجعله ابوه ولّيّ عهده. وكبر ومات والده. وتولّى
بدران البلد والرعيّة وامته الآمرة الناهية. فواعدت قوماً وتدلت من
القلعة بجبل ومضى بها اولئك الى سروج (٩٥)، وهي اذ ذلك للافرنج،
فتزوجت بافرنجي اسكاف وابنها صاحب قلعة جعبر (٩٦)

افرنجي يتنصر بعد اسلامه

وكان في اولئك (٩٧) الذين صاروا الى دار والدي امرأة عجوز
ومعها بنت لها امرأة ثابتة حسنة الخلقة وابن مشدد. فاسلم الابن وحسن
اسلامه فيما يرى من صلاته وصومه. وتعلّم الترقيم من مرخّم كان

(٩١) «الحوار» في الاصل

(٩٢) «ملك» في الاصل. والتي قبلها «مالك» في الاصل

(٩٣) على الفرات

(٩٤) ذكره كمال الدين في *Recueil* ٧٢٨:٣

(٩٥) الى الجنوب الغربي من اورفا. قابل ابن الاثير *Recueil* ٢٠٧:١

(٩٦) «علمه جعبر» في الاصل

(٩٧) «ذلك» في الاصل

اختبارات حربية

١٢١

برخيم دار والدي . فلنما طال مقامه زوجه الوالد بامرأة من قوم
صالحين وقام له بكل ما احتاجه لخدمته وبنيته . فرزق منها ولدين وكبرا
وصار لكل واحد منهما خمس مائتين . والقلام راوول (٩٨) ابوهما
مسرور بهما . فاخذهما وامتهما وما فني بيته واصبح بافامية عند الافرنج
وتنصر هو واولاده بعد الإسلام والصلاة والدين . فالله تعالى يطهر الدنيا
منهم

(٩٨) «والعالم راوول» في الامل

٨ - طبائع الافرنج و اخلاقهم

سبحان الخالق البارئ اذا خبر الانسان امور الافرنج سبح الله تعالى
وقدسه ورأى بهائم (١) فيهم فضيلة الشجاعة والقتال لا غير، كما في
البهائم فضيلة القوة والحمل . واذكر شيئاً من امورهم وعجائب عقولهم

لاعقل لهم

كان في عسكر الملك فلک بن فلک فارس محتشم افرنجي قد وصل من
بلادهم يحجّ ويعود . فانس بي وصار ملازمي يدعوني «اخي» وبيتنا
المودة والمعاشرة . فلماً عزم على التوجه في البحر الى بلاده قال لسي
«ياخي، انا سائر الى بلادتي . وأريدك تُنفذ معي ابني (وكان ابني (٢)
معي وهو ابن اربع عشرة سنة) الى بلادتي يصر الفرسان ويتعلم العقل
والفروسيّة . واذا رجع كان مثل رجل عاقل» . فطرق سمعي كلام ما
يخرج من رأس عاقل . فان ابني لو أُسر ما بلغ به الاسرُ اكثر من
رواحه الى بلاد الافرنج . فقلت «وحياتك، هذا الذي كان في نفسي .
لكن منعني من ذلك ان جدته تحبّه وما تركته يخرج معي حتى استحلقتني
اني اردّه اليها» . قال «وامك تعيش؟» قلت «نعم» . قال «لا تخالفها» .
عجائب طبّهم .

ومن عجيب طبّهم ان صاحب المنيطرة (٣) كتب الى عمّي يطلب منه
انفاذ طبيب يداوي مرضي من اصحابه . فارسل اليه طبيباً نصرانياً يقال

(١) «هاسا» في الاصل

(٢) ابو الفوارس مَرْهَف . وكان والده اسامة مشغفا به

(٣) قرب افقه عند منبع نهر ابراهيم في شمالي لبنان

له ثابت (٤) . فما غاب عسرة ابّام حتى عاد فقلنا (٥) له «ما اسرع ما داويت
المرضى!» قال «احضروا عندي فارساً قد طلعت فسي رجله [٤١ و] دملة
وامرأة قد لحقها نشاف (٦) . فعلت للفارس لبيخة ففتحت الدملة
وصلحت . وحميتُ المرأةُ ورطبت مزاجها . فجاءهم طبيب افرنجي فقال
لهم «هذا ما يعرف شي (٧) يداوبهم» . وقال للفارس «ايثما احب اليك
تعيش برجل واحدة او تموت برجلين؟» قال «اعيش برجل واحدة» .
قال «احضروا لي فارساً قوياً وفأساً قاطعاً» . فحضر الفارس والفأس،
وانا حاضر، فحطّ ساقه على قرمة خشب وقال للفارس «أضرب رجله
بالفأس ضربة واحدة اقطعها» . فضربه، وانا اراه، ضربة واحدة ما
انقطعت . ضربه ضربة ثانية فسال منخُ الساق، ومات من ساعته . وابصر
المرأة فقال «هذه امرأة فسي رأسها شيطان قد عشقها . احلقوا شعرها» .
فحلقوه . وعادت تأكل من ماكلهم (٨) الثوم والخردل . فزاد بها
النشاف . فقال «الشيطان قد دخل فسي رأسها» . فأخذ الموسى وشقّ
رأسها صلياً وسلخ وسطه حتى ظهر عظم الرأس وحكّه بالملح، فماتت
في وقتها . فقلت لهم «بقي لكم اليّ حاجة؟» قالوا «لا» . فجنّت وقد
تعلمت من طبّهم ما لم اكن اعرفه»

وقد شاهدت من طبّهم خلاف ذلك . كان للملك خازن من فرسانهم
يقال له برناد (٩)، لعنه الله، من العن الافرنج وارجسهم . فرمحه حصان
في ساقه فعمّلت عليه رجله وفتحت في اربعة عشر (١٠) موضعاً . والجراح

(٤) «باب» في الاصل

(٥) مكررة

(٦) «نشاف» في الاصل . ولعلها «نشاف» فارسيّة بمعنى البله

(٧) عامية

(٨) «مواكلهم» في الاصل . عامية

(٩) «برناد» في الاصل . Bernard

(١٠) «اربع عسره» في الاصل

كلّما حم موضع فُتح موضع (١١)، وانا ادعو بهلاكه • فجاءه طيب
افرنجيّ فازال عنه تلك المراهم وجعل يغسلها بالخلّ الحاذق • فحمت
تلك الجراح وبرأ وقام مل الشيطان

ومن عجيب طبّهم انه كان عندنا بتيزر صانع يفال له ابو الفتح له ولد
قد طلع في رفته حنازير • وكلّما ختم موضع فتح موضع • فدخل انطاكية
في شغل له وابنه معه • فرآه رجل افرنجيّ فسأله عنه فقال «هو ولدي» •
قال «تحلف لي بدينك ان وصفت لك دواء يُبرئه لا تأخذ من احد
تداويه به اجرة حتى اصف لك دواء يبرئه؟» فحلف • فقال له «تأخذ
له اشاناً (١٢) غير مطحون تحرقه وتربيه (١٣) بالزيت والخلّ الحاذق
وتداويه به حتى يأكل الموضع • ثم خذ الرصاص المحرق وربّه (١٤)
بالسمن • ثم داوّه (١٥) به فهو يبرئه» • فداواه بذلك فبرأ، وختمت
تلك الجراح • وعاد الى ما كان عليه من الصحّة
وقد داويت بهذا الدواء من طلع فيه هذا الداء فنفعه وازال ما كان
[٤١ ق] يشكوه

افرنجي يعترض اُسامة في صلاته

فكلُّ من هو قريب العهد بالبلاد الافرنجية اجفى اخلاقاً من الذين قد
تبلّدوا وعاشروا المسلمين
فمن جفاء اخلاقهم، قبّحهم الله، انني كنت اذا زرت البيت المقدّس
دخلت الى المسجد الاقصى وفي جانبه مسجد صغير قد جعله الافرنج كنيسة •
فكنت اذا دخلت المسجد الاقصى وفيه الداويّة (١٦)، وهم اصدقائي،

(١١) «موصعا فتح موصعا» في الاصل

(١٢) «اسان» في الاصل • وهو نبات

(١٣) «ربيه» في الاصل

(١٤) «ورسه» في الاصل

(١٥) «داوّه» في الاصل

Templars (٤١)

يُخلون لي ذلك المسجد الصغير اُصلي فيه . فدخلته يوماً فكبرت ووقفت في الصلاة . فهجم عليّ واحد من الافرنج مسكني وردّ وجهي الى الشرق وقال «كذا صلّ! (١٧)» فبادر اليه قوم من الداوئة اخذوه اخرجوه عني . وعدت انا الى الصلاة . فاعتقلهم وعاد هجم عليّ ذلك بعينه (١٨) وردّ وجهي الى الشرق وقال «كذا صلّ! (١٩)» فعاد الداوئة دخلوا اليه واخرجوه، واعتذروا اليّ، وقالوا «هذا غريب وصل من بلاد الافرنج في هذه الايام، وما رأي من يصلي الى غير الشرق» . فقلت «حسبي من الصلاة!» فخرجت فكنت اعجب من ذلك الشيطان وتغيير وجهه ورعدته وما لحقه من نظر الصلاة الى القبلة

الله طفلاً

ورأيت واحداً منهم جاء الى الامير معين الدين، رحمه الله، وهو في الصخرة (٢٠) فقال «تريد تبصر الله صغير؟ (٢١)» قال «نعم» . فمشى بين ايدينا حتى ارانا (٢٢) صورة مريم والمسيح عليه السلام (٢٣) صغير في حجرها فقال «هذا الله صغير» - تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً

ليس للافرنج غيرة جنسية

وليس عندهم شيء من النخوة والغيرة . يكون الرجل منهم يسمي هو وامراته يلقاه رجل آخر يأخذ المرأة ويعتزل بها وينحدث معها، والزوج واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث . فاذا طوّلت عليه خلاها مع المتحدث ومضى

(١٧) «صلى» في الاصل

(١٨) «عنه» في الاصل

(١٩) «صلى» في الاصل

(٢٠) جامع الصخرة في اورشليم

(٢١) «صغير» في الاصل . وصوابه «صغيراً»

(٢٢) «اورانا» في الاصل . عامية

(٢٣) «السلام» في الاصل

ومما شاهدت من ذلك اني كنت اذا جئت الى نابلس اتزل في دار رجل يقال له معز داره عمارة المسلمين لها طاقات تفتح الى الطريق . ويقابلها من جانب الطريق الآخر دار لرجل افرنجي يبيع الخمر للتجار يأخذ في قنينة من النبيذ وينادي عليه ويقول «فلان التاجر قد فتح بتيّة من هذا الخمر . من اراد منها شيئاً فهو في موضع كذا وكذا» . واجرته عن ندائه (٢٤) النبيذ الذي في تلك القنينة . فجاء يوماً ووجد رجلاً مع امرأته في الفراش فقال له «اي شيء ادخلك الي عند امرأتي؟» قال «كنت تعبان [كذا] دخلت استريح» . قال «كيف دخلت الي فراشي؟» قال «وجدت فراشاً مفروشاً نمت فيه» . قال «والمرأة نائمة معك؟» قال «الفراش لها . كنت اقدر امتعها من فراشها؟» [٤٢] قال «وحق ديني، ان عدت فعلت كذا تخاصمت انسا وانت» . فكان هذا تكبيره ومبلغ غيرته

ومن ذلك انه كان عندنا رجل حمّاميّ يقال له سالم من اهل المعرفة (٢٥) في حمّام لوالدي، رحمه الله . قال «فتحت حمّاماً في المعرفة اتعيش فيها . فدخل اليها فارس (٢٦) منهم، وهم ينكرون علي من يشدّ في وسطه المئزر في الحمّام، فمدّ يده فجذب مئزري من وسطي رماه . فرآني، وانا قريب عهد بحلق عاتي، فقال «سالم، فتقرّبتُ منه . فمد يده علي عاتي وقال «سالم، جيّد! وحق ديني اعمل لسي كذا، واستلقني علي ظهره وله مثل لحيته في ذلك الموضع . فحلقته فمرّ يده عليه فاستوطأه فقال «سالم، بحق دينك اعمل للدّاما، (والدّاما بلسانهم الست) يعني امرأته . وقال لغلام له «قل للدّاما تجي» . فمضى الغلام احضرها وادخلها . فاستلقت علي ظهرها وقال «اعمل كما عملت لي، فحلقت ذلك

(٢٤) «واجرته عن ندائه» في الاصل . «واجرته عن بداية» طبعة درنبرغ ص

١٠٠ اما لاندبرغ ص ٣٨ فيقول انه فضى ساعتين في درس فراءتها فلم يهتد اليها

(٢٥) معرفة التعبان

(٢٦) «فارسا» في الاصل

الشعر وزوجها قاعد ينظرني . فشكرني ووهبني حق خدمتي»
فانظروا الى هذا الاختلاف العظيم: ما فيهم غيرة ولا نخوة وفيهم
الشجاعة العظيمة، وما تكون الشجاعة الامن النخوة والانفة من سوء الاحدوثة
ومما يقارب هذا انني دخلت الحمام بمدينة صور فجلست في خلوة
فيها . فقال لي بعض غلماني في الحمام «معنا امرأة» . فلما خرجت
جلست على المصاطب واذا التي كانت في الحمام قد خرجت وهي مقابلي
قد لبست ثيابها وهي واقفة مع ايها ولم اتحقق انها امرأة . فقلت لواحد
من اصحابي «بالله ابصر هذه امرأة هي» . وانا اقصد ان يسأل عنها .
فمضى، وانا اراه، رفع ذيلها وطلّح (٢٧) فيها . فالتفت الي ابوها وقال
«هذه ابنتي، ماتت امها وما لها من يغسل رأسها . فادخلتها معي الحمام
غسلت رأسها» . قلت «جيد [ما] عملت . هذا لك فيه ثواب»

عجائب طبهم ايضاً

ومن عجيب طبهم ما حدثنا به كليام دبور (٢٨) صاحب طبرية وكان
مقدماً فيهم . واتفق انه رافق الامير معين الدين (٢٩)، رحمه الله، من
عكا الى طبرية وانا معه . فحدثنا في الطريق قال «كان عندنا في بلادنا
فارس كبير القدر فمرض واشرف على الموت . فجننا الى قس كبير
من قسوسنا قلنا «تجيء معنا حتى تبصر الفارس فلاناً؟» (٣٠)، قال «نعم» .
ومشى معنا ونحن نتحقق انه اذا حطّ يده عليه عوفي . فلما رآه قال
«اعطوني شمعا» (٣١)، فاحضرنا له قليل شمع، فليّنه وعمله مثل عقّد
الاصبع . وعمل كل واحدة في جانب انفه . فمات الفارس . [٤٢ ق]

(٢٧) عامية بمعنى تطلّح

(٢٨) «دور» في الاصل . Guillaume de Bures (William of Bures)

(٢٩) أنر

(٣٠) «فلان» في الاصل

(٣١) «سمع» في الاصل

فقلنا له «قد مات، قال «نعم» كان يتعذب سددت^٢ انفه حتى يموت ويستريح»

دع ذا وعدّ القول في هَرَمٍ (٣٢)

سباق افرنجي

نرجع من حديث مجاريهم (٣٣)

حضرت بطبرية في عيد من اعيادهم، وقد خرج الفرسان يلعبون بالرماح • وقد خرج معهم عجوزان فانيتان (٣٤) اوقفوهما في رأس الميدان، وتركوا في رأسه الآخر خنزيراً سبطوه وطرحوه على صخرة • وسابقوا بين العجوزين ومع كل واحدة منهن سريّة من الخيالة يشدون (٣٥) منها، والعجائز يقمن ويقعن على كل خطوة، وهم يضحكون، حتى سبقت واحدة منهن • فاخذت ذلك الخنزير في سبها

محاكمات افرنجية

وشهدت يوماً بنابلس وقد احضروا اثنين للمبارزة • وكان سبب ذلك ان حرامية من المسلمين كبسوا ضيعة من ضياع نابلس فاتهموا بها رجلاً من الفلاحين وقالوا «هو دل الحرامية على الضيعة» • فهرب • فنفّذ الملك (٣٦) فقبض اولاده • فعاد اليه وقال «انصفني • انا ابارز الذي قال عني اني دلت (٣٧) الحرامية على القرية» • فقال الملك لصاحب القرية المُنقطع (٣٨) «احضر من يبارزه» • فمضى الى قرية وفيها رجل حداد فاخذه وقال له «تبارز» اشفاقاً من المنقطع على فلاحيه لا يقتل

(٣٢) من بيت للشاعر الجاهلي زهير بن ابي سلمى المزني

(٣٣) «مجارهم» في الاصل

(٣٤) «فاسات» في الاصل

(٣٥) «سدون» في الاصل

(٣٦) فلك Fulk ملك اورشليم ١١٣١ - ٤٢

(٣٧) «دليت» في الاصل • عامه

(٣٨) صاحب الاقطاع • قابل ص ١١٠ س ١٨

منهم واحد فتخرّب فلاحته . فساهدتُ هذا الحدّاد، وهو شابّ قويّ الا انه قد انقطع، يمشي ويجلس يطلب ما يشربه، وذلك الآخر الذي طلب البراز شيخ الا انه قويّ النفس يزجر وهو غير محتفل بالمبارزة . فنجاء البسكند(٣٩)، وهو شحنة البلد، فأعطى كل واحد منهما العصا والترس، وجعل الناس حولهم حلقة

والتقيا(٤٠) فكان الشيخ يلزّ ذلك الحدّاد، وهو يتأخر حتى يلجئه الى الحلقة، ثم يعود الى الوسط . وقد تضاربا حتى بقيا كعمود الدم . فطال الامر بينهما والبسكند يستعجلهما وهو يقول بالعجلة . ونفع الحدّاد إدمانه بضرب المطرقة . واعبى ذلك الشيخ . فضربه الحدّاد، فوقع، ووقعت عصاه تحت ظهره . فبرك عليه الحدّاد يداخل اصابعه في عينه ولا يتمكن من كثرة الدم من عينه . ثم قام عنه وضرب رأسه بالعصا حتى قتله . فطرحوا في رقبته في الوقت جبلاً وجرّوه شقوه . وجاء صاحب الحدّاد اعطاه غفارته واركبه خلفه واخذه وانصرف

وهذا من جملة فقههم [٤٣] و[وحكمهم لعنهم الله

ومضيت مرّة مع الامير معين الدين، رحمه الله، الى القدس . فنزلنا نابلس . فخرج الى عنده رجل اعمى، وهو شابّ عليه ملبوس جيّد مسلم، وحمل له فاكهة وسأله في ان يأذن له في الوصول الى خدمته الى دمشق . ففعل . وسألت عنه فخبّرت ان امّه كانت مزوّجة لرجل افرنجي، فقتلته . وكان ابنها يحتال على حجّاجهم ويتعاون هو وامّه على قتلهم، فاتهموه بذلك وعملوا له حكم الافرنج: جلسوا بتيّة عظيمة وملأوها(٤١) ماءً وعرضوا عليها دفّ خشب، وكثّفوا ذلك المتهم وربطوا في كتافه جبلاً ورموه في البتية - فان كان بريئاً غاص في الماء فرفعوه بذلك الجبل لا يموت في الماء، وان كان له الذنب ما يغوص في الماء . فحرص

viscount (٣٩)

(٤٠) «والعوا» في الاصل

(٤١) «وملأها» في الاصل

ذلك لمأرموه في الماء ان يغوص، فما قدره فوجب عليه حكمهم، لعنهم الله، فكحلوه

ثم ان الرجل وصل الى دمشق فاجرى له الامير معين الدين، رحمه الله، ما يحتاجه. وقال لبعض غلمانه «تمضي به الى برهان الدين البلخي، رحمه الله، تقول له «تأمر من يُقرئ هذا القرآن وشيئاً من الفقه»». فقال له ذلك الاعمى «النصر والغلب! ما كان هذا ظنّي!» قال «وما ظننت بي؟» قال «تعطيني الحصان والبغلة والسلاح وتجعلني فارساً». قال «ما اعتقدت ان اعمى يصير من الفرسان»

افرنجى لا يأكل الخنزير

ومن الافرنج قوم قد تبلّدوا وعاشروا المسلمين فهم اصلح من القريبي العهد ببلادهم، ولكنهم شاذ لا يقاس عليه فمن ذلك انني نفذت صاحباً الى انطاكية في شغل. وكان بها الرئيس تادرس بن الصفّي (٤٢) وبيني وبينه صداقة، وهو نافذ الحكم في انطاكية. فقال لصاحبي يوماً «قد دعاني صديق لي من الافرنج. تجيء معي حتى ترى زيّهم». قال «فمضيت معه فجئنا الى دار فارس من الفرسان العتق الذين خرجوا في اول خروج الافرنج، وقد اعتفى من الديوان والخدمة، وله بانطاكية ملك يعين منه. فاحضر مائدة حسنة وطعاماً في غاية النظافة والجودة. ورآني متوقفاً عن الاكل، فقال «كلّ طيب النفس. فانا ما آكل من طعام الافرنج. ولي طبّاخات مصريّات ما آكل الا من طيبخهن. ولا يدخل داري لحم خنزير، فاكلت وانا محترز وانصرفنا فانا بعد مجتازاً في السوق وامرأة افرنجية تعلقت بي وهي تبربر بلسانهم وما ادري ما تقول. فاجتمع عليّ خلق من الافرنج، فايقنت بالهلاك. واذا ذلك الفارس قد اقبل فرآني. فجاء فقال لتلك المرأة

«ما لك ولهذا المسلم؟» قالت «هذا قتل [٤٣ ق] اخي عرس (٤٣)»
 وكان هذا عرس فارساً بافامية قتله بعض جند حماة . فصاح عليها وقال
 «هذا رجل برجاسي (٤٤) (اي تاجر) لا يقاتل ولا يحضر القتال، . وصاح
 على اولئك المجتمعين، ففترقوا واخذ بيدي ومضى . فكان تأثير تلك
 الموءكلة خلاصي من القتل»

Hurso (٤٣)

bourgeoisie (٤٤)

٩ - اختبارات وملاحظات

عم أسامة يخاف من الفأرة

ومن عجائب القلوب ان الانسان يخوض الغمرات ويركب الاخطار ولا يرتاع قلبه من ذلك، ويخاف ما لا يخاف منه الصبيان ولا النسوان ولقد رأيت عمّي عزّ الدين ابا(١) العساكر سلطان، رحمه الله، وهو من اشجع اهله له المواقف المشهورة والطعنات المذكورة، وهو اذا رأى الفأرة تغيّرت صورة وجهه ولحقه كالزمع من نظرها وقام من الموضع الذي يراها فيه

وكان في غلماناه رجل شجاع معروف بالشجاعة والاقدام اسمه صندوق يفزع من الحيّة حتى يخرج من عقله . فقال له والدي، رحمه الله، وهو واقف بين يدي عمّي «ياصندوق، انت رجل جيّد معروف بالشجاعة ما تستحي تفزع من الحيّة؟» قال «يامولاي، واي شيء في هذا من العجب؟ في حصص رجل شجاع بطل من الابطال يفزع من الفأرة ويموت» - يعني مولاه . فقال له عمّي، رحمه الله «قبّحك الله ياكذا كذا»

وغيره يخاف من الحيّة

ورأيت مملوكاً لوالدي، رحمه الله، يقال له لوءلوء . وكان رجلاً جيّداً مقداماً . وقد خرجت ليلة من شيزر ومعني بغال كثيرة وبهاثم اريد احمل عليها من الجبل خشباً قد قطعته هناك لناعورة لي . فسرنا من ظاهر شيزر ونحن نظن ان الصبح قد دنا، فوصلنا الى قرية يقال لها دُبَيْس (٢)، وما تنصّف الليل . فقلت «انزلوا ما ندخل الجبل في الليل»

(١) «امي» في الاصل

(٢) «دسا» في الاصل

فلما نزلنا واسفررنا (٣) سمعنا صهيل حصان • فقلنا «الافرنج!»
 فركبنا في الظلام وانا احدت نفسي اني اطعن واحدا منهم واخذ
 حصانه وياخذون دوابنا والرجال الذين مع الدواب • فقلت للوئلوه
 وثلاثة من الغلمان «تقدمونا، اكتفوا هذا الصهيل» • فتقدموا
 يركضون (٤) • فلقوا اولئك وهم في جمع وسواد كثير • فسبق اليهم لوءلوه
 وقال «تكلّموا، والا اقتلكم كلّكم» وهو رام جيد • فعرفوا صوته وقالوا
 «حاجب لوءلوه؟» قال «نعم» • واذا هم عسكر حماة مع الامير سيف الدين
 سوار (٥)، رحمه الله، قد اغاروا (٦) على بلاد الافرنج وعادوا • فكان
 هذا اقدامه على ذلك الجمع • واذا رأي في بيته حية خرج منهزماً وقال
 لامراته «دونك والحية!» فتقوم اليها تقتلها

أسامة يُجرح باهمال الركابي

والمحارب، ولوانه الاسد، اتلفه واعجزه السير من العوائق كما اصابني
 على حمص • [٤٤ و] خرجت (٧) وقتل حصاني وضربت خمسين
 سيفاً - كل ذلك لنفاذ المشيئة، ثم لتواني الركابي في تركيب عنان
 اللجام • فانه عقده في الباشات ولم يشقّه (٨) • فلما جذبته اريد الخروج
 من بينهم انحلّ العنان من عقده في الباشات (٩)، فنانني ما نالني

ويحارب بلا ركاب

وقد كان صاح الصائح يوماً بشيزر من القبله • فلبسنا وفرغنا • فكان

(٣) «واسقرنا» في الاصل

(٤) «يركضوا» في الاصل

(٥) أو «سوار» عامل زنكي في حلب • «اسوار» بموجب ابن الاثير في *Recueil*

١٦٦:١ - ١٧ وكمال الدين في *Recueil* ٣:٣٧٢

(٦) «غاروا» في الاصل

(٧) «حرحت» في الاصل

(٨) «سهه» في الاصل

(٩) الباشة هي الحلقة

الصائح كذاً بآءاً . فرحل ابي وعمي، رحمهما الله، ووقفت بعدهما . فوقع الصائح من الشمال من جانب الأفرنج . فركّضت حصاني الى الصائح . فرأيت الناس في المخاض يركب بعضهم بعضاً وقالوا «الفرنج!» فعبرت المخاض وقلت للناس «لا بأس عليكم، انا دونكم!» ثم طلعت اركض الى رابية القرافطة، واذا الخيل مقبلة في جمع كثير . وقد تقدم منهم فارس لابس (١٠) زردية وخوذة، وقد دنا مني . فقصدته استفرص بعده من اصحابه، واستقبلني . فحين حرّكت حصاني اليه انقطع ركابي وما بقي لي مندوحة عن لقاءه فقمتم (١١) اليه بلا ركاب . فلمّا تدانينا ولم يبق غير الطعن سلّم عليّ وخدمني واذا هو السلار (١٢) عمّر خال السلار زين الدين اسمعيل بن عمّر بن بختيار . وكان نهض مع عسكر حماة الى بلد كفرطاب . فخرج عليهم الأفرنج فعادوا الى شيزر منهزمين . وتقدمهم الامير سوار، رحمه الله

فبيل الرجل المحارب يتفقّد عدّة حصانه، فان ايسر الاشياء واقلّها يوءذي ويُهلك . كلُّ ذلك مقرون بما يجري به الأقدار والأقضية

ضبعة توءذي أسامة

وقد شهدت قتال الأسد في مواقف لا احصيها، وقتلت عدّة منها لم يشركني احد في قتلها، فما نالني من شيء منها اذى وخرجت يوماً مع والدي، رحمه الله، الى الصيد في جبل قريب من البلد نصيده منة الجبل بالبزاة . ويكون الوالد ونحن معه والبازياريّة على الجبل وبعض الغلمان والبازياريّة اسفل من الجبل للتخليص من البزاة والوقوف على النبع . فقامت لنا ضبعة فدخلت مغارة، وفي تلك المغارة مجحر دخلت فيه . فصحت بغلام لي ركابي اسمه يوسف خلع

(١٠) «فارساً لاساً» في الاصل

(١١) «فتمت» في الاصل

(١٢) «سالار» بالفارسية ومعناها القائد

تياهه وأخذ سكينه ودخل في ذلك المججر، وأنا في يدي قنطارية مستقبل
الموضع اذا خرجت طعتها . فصاح الغلام «اليكم قد خرجت!» فطعتها
أخطأتها لان الضبعة رقيقة [٤٤ ت] الحجم . وصاح الغلام «عندي ضبعة
أخرى!» فخرجت في اثرها . فقممت وقفت في باب المغارة وهي ضيقة
الباب متعلية قدر قمتين انظر ما يعمل اصحابنا الذين في الوطى بالبضاع
التي نزلت اليهم . فخرجت ضبعة ثالثة، وأنا مشغول بالنظر الى الاوائل،
فدستني رمتني من باب المغارة الى القرارة التي تحته فكادت تكسرنى .
فتأذيت بضبعة وما تأذيت بالسباع . فسبحان مقدر الأقدار ومسبب
الاسباب

أسامة الصبي يقتل خادمه

وشاهدت من ضعف نفوس بعض الرجال وخورهم ما لا كنت اظنه بالنساء
فمن ذلك انني كنت يوماً على باب دار والدي، رحمه الله، وأنا صبي
عمري دون العشر سنين . فلطم غلام لوالدي اسمه محمد العجمي صياً
من خدام الدار فانهزم منه وجاء تعلق بشوي، فلحقه وهو ماسك بشوي
فلطمه . فضربه بقضيب كان في يدي فدفعني . فجذبت من وسطي سكيناً
ضربه بها فوقعت في بزّه الايسر، فوقع . وجاءنا غلام كبير لوالدي يقال
له القائد اسد فوقف عليه ونظر الجرح واذا تنفّس طلع منه الدم مثل
قواقع الماء . فاصفرّ وارتعد ووقع مغشياً عليه . فحُمل الى داره وكان
يسكن معنا في الحصن على تلك الحال . فما افاق من غشيته الى آخر النهار .
وقدمت المجروح وقبر

رجل يغشى عليه من الفصاد

ومما يقارب ذلك: كان يزورنا الى شيزر رجل من اهل حلب فيه فضل
وادب يلعب بالشطرنج طبقة ويلعب بها غائباً يقال له ابو المرجى (١٣)
سالم بن قانت، رحمه الله . فكان يقيم عندنا السنة والاكثر والاقل . فربما

مرض فيصّف له الطيب الفصاد . فاذا حضر الفاصد تغيّر لونه وارعد .
فاذا فصده عُشي عليه فلا يزال في عشيّه حتى سدد فصاده ثم يفيق
وأخر ينشر ساقه

ومما بضاد ذلك انه كان في اصحابنا من بني كنانة رجل اسود يقال
له عليّ بن فرج (١٤) طلعت في رجله جبة فتخبّت، وتناثرت اصابعه
وانتت رجله . فقال له الجرائحي «ما لرجلك الا القطع، والا تلتفت» .
فحصّل عنده منتاراً وجعل ينشر ساقه حتى يعلبه فيضُ الدم ويغشى
عليه، فاذا هو افاق عاد السى نشرها حتى قطعها من نصف ساقه . وداواها
فبرأت

وكان، رحمه الله، من اجلد الرجال واقواهم . فكان يركب في
سرجه (١٥) بركاب واحد، وفي الجانب الآخر سير تكون فيه ركبته،
ويحضر القتال ويطاعن الفرنج وهو على تلك الحال . وكنت اراه،
رحمه الله، [٤٥] ولا يستطيع رجل يشابهه ولا يقابضه . وكان خفيف
الروح مع قوته وشجاعته

فاصبح يوماً من الايام، وهو وبنو كنانة يسكنون حصنا حصن الجسر (١٦)،
ارسل الى رجال من وجوه بني كنانة فقال «اليوم يوم مطير . وعندي
فضلة نيذ وماكول تفضلون (١٧) عليّ بالحضور لنشرب» . فاجتمعوا
عنده . فجلس في باب البيت وقال «هل فيكم من يقدر يخرج من الباب
ان لم اشأ؟» يشير الى قوته . قالوا «لا، والله» . قال «هذا يوم مطير،
وما اصبح في داري دقيق ولا خبز ولا نيذ . وما فيكم الا من في داره ما
يحتاجه ليومه . انفذوا الى دوركم احضروا طعامكم ونيذكم، والبيت من
عندي، وتجتمع اليوم نشرب وتحدث» . قالوا كلّهم «نعم ما رأيت

(١٤) «فرج» في الاصل

(١٥) «سرجه» في الاصل

(١٦) في سبرر على العاصي

(١٧) «بمصلوا» في الاصل

يا ابا الحسن!« وانهدوا احضروا ما في دورهم من طعام وشراب وقضوا
نهارهم عنده . وكان رجلاً محترماً . فتعالى من خلق الخلق اطواراً .
ابن حلدُ هذا وقوة نفسه من خور اولئك وضعف نفوسهم؟

مستسقى ينسق بطنه فيشفي

وقريب من هذا ان رجلاً من بني كنانة حدثني بحصن الجسر ان رجلاً
في الحصن استسقى فشق بطنه فبرى (١٨) وعاد صحيحاً كما كان . فقلت
اريد ابصره واستخبره . وكان الذي حدثني رجل من بني كنانة يقال له
احمد بن معبد بن احمد . فاحضر ذلك الرجل عندي . فاستخبرته عن
حاله وكيف فعل بنفسه فقال «انا رجل معلوك وحيد استسقى جوفي، وكبرت
حتى عجزت عن التصرف . وتبرمت بالحياة . فاخذت موسى وضربت به
فوق سُرَّتِي في عرض جوفي، شققته (١٩)، فخرج منه قدر طباختين ماء (يعني
قدرين) . وما زال الماء ينزُّ منه حتى ضر جوفي . فخيَّطته وداويت
الجرح فبرأ . فزال ما كان بي» . وارانني موضع الشق فسي جوفه اطول
من شبر ولا شبهة ان هذا الرجل كان له في الارض رزق يستوفيه
والا فقد رأيت من استسقى وفصد الطيب جوفه فخرج منه من الماء
كما خرج من الذي بزل نفسه الا انه مات من ذلك الفصد . لكن الاجل
حصن حصين

فرسان الافرنج يهاجمون شيزر ويفشلون

النصر في الحرب من الله تبارك وتعالى لا بترتيب وتدبير ولا بكثرة
نفير ولا نصير . وقد كنت اذا بعثني عمي، رحمه الله، لقتال اترك او
افرنج اقول له «يامولاي، امرني بما تدبّر به اذا [٤٥ ق] لقيت العدو» .
فيقول «يابني، الحرب تدبّر نفسها» . وصدق

(١٨) «فبرأ» ادناه س١٣ . «وبرأ» من ١٥٦ س٦

(١٩) «شقيقته» في الاصل . عامية

وكان امرني (٢٠) ان آخذ امرأته واولاده خاتون بنت تاج الدولة تُشش (٢١) والعسكر وامضي اوصلهم الى حصن مصياث (٢٢)، وهو اذ ذلك له، وكان يُشفيق عليهم من حرّ شيزر. فركبت وركب ابني وعمّي، رحمهما الله، معنا الى بعض الطريق، وعادا وليس معهما الا المماليك الصغار لجرّ الجنائب وحمل السلاح. والعسكر كلّه معي. فلماً قربا من المدينة سمعا طبل الجسر يضرب. فقالا «شيء قد جرى في الجسر». فدفعا خيلهما تناقلاً ونجياً الى الجسر (٢٣). وكان بيننا وبين الأفرنج، لعنهم الله، هدنة. فنقذوا من كشف لهم مخاضة يعبرون منها الى مدينة الجسر، وهي في جزيرة (٢٤) لا يُعبر اليها الا من جسر معقود (٢٥) بالحجر والكلس لا يصل الأفرنج اليه. فدلتهم ذلك الجاسوس على مخاضة. فركبوا جميعهم من افامية فاصبحوا الى ذلك الموضع الذي دلتهم عليه، عبروا الماء وملكوا المدينة ونهبوا وسبوا وقتلوا. ونقذوا بعض السبي والنهب الى افامية وملكوا الدور. وعلّم كلُّ واحد منهم صليبه على دار وركز عليها رايته

فلماً اشرف ابني وعمّي، رحمهما الله، على الحصن كبر اهل الحصن وصاحوا. فالقى الله سبحانه على الأفرنج الرعب والخذلان. فذهلوا عن الموضع الذي عبروا منه، ورموا خيلهم، وهم بدروعهم عليها، في غير مخاض. ففرق منهم جماعة كثيرة: كان الفارس يغوص في الماء فيسقط عن سرجه ويرسب في الماء ويطلع الحصان. ومضى من سلم منهم منهزمين

(٢٠) سنة ١١٢٢ او ١١٢٣

(٢١) امير حلب السلجوقي واخو ملك شاه صاحب اصبهان

(٢٢) وكذلك في ابني شامة ١: ٢٦١. وفي ياقوت ٤: ٥٥٦ «مصياث» «مصياث».

ولعل الاصح مصياث

(٢٣) «دفعنا خيلهما سافلا وحما الى العسر» في الاصل

(٢٤) المقصود شبه جزيرة

(٢٥) «حسر معقود» في الاصل

لا يلوي بعضهم على بعض، وهم في جمع كثير، وابي وعمي معهما عشرة ممالك صبيان

فأقام عمي بالجسر ورجع ابي الى شيزر . واوصلت انا اولاد عمي الى مصياث وعدت من يومي وصلت العشاء . فأخبرت بما جرى . فحضرت عند والدي، رحمه الله، وشاورته في ان امضي الى عمي الى حصن الجسر . قال «تصل في الليل، وهم نيام . ولكن سر اليهم من بكرة» . فأصبحت سرت وحضرت عنده . وركبنا وقفنا على ذلك الموضع الذي غرق فيه الافرنج . ونزل اليه جماعة من السباح فاخرجوا جماعة من فرسانهم موتى . فقلت لعمي «يامولاي، ما تقطع رءوسهم وتنفذها الى شيزر؟» قال «افعل» . فقطعنا منهم نحواً (٢٦) من العشرين رأساً . فكان الدم يسيل منهم كأنهم قد قتلوا تلك الساعة، ولهم يوم وليلة . واظن الماء حفظ فيهم دمهم وغنم الناس منهم سلاحاً كثيراً من الزرديات والسيوف والقنطاريات والخوذ والكلسات الزرد . ورايت رجلاً من فلاحي الجسر [٤٦ و] قد حضر عند عمي ويده تحت ثيابه . فقال له عمي يمزح معه «اي شيء اعزلت لي من الغنيمة؟» قال «اعزلت لك حصاناً بعدته وزرديته وترماً وسيفاً» . ومضى احضر الجميع . فاخذ عمي العدة واعطاه الحصان وقال «اي شيء بيدك؟» قال «يامولاي، تقابضت انا والافرنجي وما معي عدة ولا سيف فرمته ولكمت وجهه وعليه اللثام الزرد حتى اسكرته، واخذت سيفه قتلته به . وتهرأ الجلد الذي على عقد اصابعي . وورمت يدي فما تنفعني» . واظهر لنا يده وهي كما قال قد انكشفت عظام اصابعه

اسيرة مسلمة تفرق نفسها

وكان في جند الجسر رجل كردي يقال له ابو الجيش (٢٧) له بنت اسمها رفول (٢٨) قد سبها الافرنج، وهو قد توسوس عليها يقول لكل من

(٢٦) «نحو» في الاصل

(٢٧) «الجيش» في الاصل . ولعلها «الجيش»

(٢٨) «رفول» في الاصل

لقبه يوماً سَيِّتَ رفولاً! فخرجنا من الغد نسبر على النهر، فقرأنا في حبات الماء سواداً فقلنا لبعض العلماء «اسبح اصبر ما هذا السواد» • فمضى اليه فاذا ذلك السواد رفول عليها نوب ارق وقد رمت نفسها من على نرس الافرنجي الذي اخذها ففرقت، وعلق نوبها في شجرة صفصاف • فسكت لوعة ابها اسي الجبس (٢٩) فكانت الصيحة التي وقعت في الافرنج وهزيمتهم وهلاكهم من لطف الله عز وجل لا بقوة ولا بعسكر • فتبارك الله القادر على ما يشاء

الخدعة في الحرب

وقد يكون الترهيب في بعض الاوقات نافعاً في الحرب من ذلك ان اتابك (٣٠) وصل الشام وانا معه في سنة تسع وعشرين وخمس مائة (٣١) وسار قاصداً دمشق • فلما نزلنا القُطَيْفَةَ (٣٢) قال لي صلاح الدين (٣٣)، رحمه الله «اركب وتقدمنا الى القُستَيْفَةَ (٣٤) • اقم على الطريق لا يهرب احد من العسكر الى دمشق» • فتقدمت وقفت ساعة واذا صلاح الدين قد اتى في قلّة من اصحابه • فرأينا في عذراء (٣٥) دخاناً • فارسل خيلاً تُبْصِر ما هو الدخان • فاذا هم قوم من عسكر دمشق يحرقون التبن الذي في عذراء، فانهمزوا • فتبعهم صلاح الدين ونحن معه لعلّ في ثلثين اربعين فارساً فوصلنا القُصير (٣٦) واذا عسكر دمشق جميعه في القُصير قاطع الجسر، ونحن عند الخان • فوقفنا مستترين بالخان

(٢٩) «الحش» في الاصل

(٣٠) رنكي

(٣١) ١١٣٥

(٣٢) وتعرف اليوم باسم «القُطَيْفَةَ» ذكرها المفدسي «احسن التقاسيم»

(ليدن ١٨٧٧) ص ١٩٠

(٣٣) محمد بن ايوب القسبياني

(٣٤) خان بين عذراء والقُطَيْفَةَ • Dussaud ص ٢٨٠

(٣٥) قرية لم تزل قائمة لليوم

(٣٦) بين عذراء ودمشق

ويخرج منّا حمسه سنة (٣٧) فوارس حتى يبصرهم عسكر دمشق ويعودون الى خلف الخان نوههم ان لنا كميناً

﴿٤٦ ق﴾ ونفذ صلاح الدين فارساً الى اتابك يعرفه بما نحن فيه .
 فرأينا نحواً من عشرة فوارس مقبلين الينا مسرعين، والعسكر خلفهم متابع .
 فوصلونا واذا هو اتابك فد تقدم والعسكر في اثره . فانكر على صلاح
 الدين فعله وقال «تسرت الى باب دمشق بثلاثين فارساً لتكسر
 ياموسى (٣٨)» . ولامه، وهم بتكلمون بالتركي ولا ادري ما يقولون .
 فلمّا وصلنا اوائل العسكر قلت لصلاح الدين «عن امرك آخذ هاؤلاء
 الذين قد وصلوا او اعبر الى خيل دمشق الواقعة مقابلنا اقلعهم» . قال
 «لا، كذا وكذا ممن ينصح (٣٩) في خدمة هذا! ما تسمع اي شيء قد
 عمل بي؟»

ولولا لطف الله تعالى ثم ذلك الترهيب والتخيل كانوا قلعونا
 وجرى لي مثل ذلك وقد سرت مع عمّي، رحمه الله، من شيزر يريد
 كفرطاب ومعنا خلق من الفلاحين والصعاليك لنهب ما على كفرطاب من
 غلّة وقطن . فانتشر الناس في النهب وخيل كفرطاب قد ركبت ووقفت
 عند البلدة، ونحن بينهم وبين الناس المنتشرين في الزرع والقطن . واذا
 فارس من اصحابنا يركض من الطلائع قال «جاءت خيل افامية!» فقال
 عمّي «تقف ايت مقابل خيل كفرطاب، واسير انا بالعسكر القى خيل
 افامية» . فوقف في عشرة فوارس في شجر الزيتون متوارين (٤٠)، ويخرج
 منّا ثلاثة اربعة يخيّلون للفرنج ويعودون (٤١) الى شجر الزيتون، والافرنج
 يعتقدون اننا في جماعة فهم يجتمعون ويصيحون ويدفعون خيلهم الى ان

(٣٧) «حمس س» في الاصل

(٣٨) كذا في الاصل

(٣٩) «صبح» في الاصل

(٤٠) «متوارس» في الاصل

(٤١) «حللوا للفرنج و سودوا» في الاصل

يقربوا منّا ونحن لا نترزعزع (٤٢) فيرجعوا • فما زلنا كذلك حتى عاد عمّي وانهمز الأفرنج الذين جاءوا من افامية فقال له بعض غلمانه «يامولاي، ترى ما فعل (يعنيني)؟ تخلف عنك وما سار معك للقاء خيل افامية» • فقال له عمّي «لولا وقوفه فسي عشرة فوارس مقابل خيل كفرطاب وراجلها كانوا اخذوا هذا العالم كلّه» • فكان الترهيب والتخيل للأفرنج في ذلك الوقت انفع من قتالهم لاننا كنّا في قلّة وهم في جمع كثير

أسامة يترجع خاماً مسروقاً

وجرى لي مثل ذلك بدمشق (٤٣) • كنت يوماً مع الامير معين الدين، رحمه الله، فاتاه فارس فقال قد اخذ اليرامية قافلة في العقبة حاملة خام فقال لسي «نركب اليهم» • قلت «الامر لك • أمر الشاوشية تستركب العسكر معك» • قال «اي شيء حاجتنا الى العسكر؟» قلت «وما يضرنا من ركوبهم؟» قال «ما نحتاجهم» • وكان، رحمه الله، من اشجع الفرسان، ولكن قوّة النفس في بعض المواضع تفريط ومضرة

فركبنا في نحو من عشرين فارساً [٤٧] و [فلماً ان ضحونا نفد فارسين كذا وفارسين كذا وفارسين كذا وفارساً (٤٤) كذايكشفون الطرقات • وسرنا نحن في قلّة فحانت صلاة العصر • فقال للغلام لسي «ياسونج، اشرف مغرباً (٤٥) الى ما نصلتي» • فما سلّمنا الا والغلام يركض • قال «هذه الرجالة، وعلى روعوسهم شقاق الخام، في الوادي!» فقال معين الدين، رحمه الله «اركبوا» • قلت «امهل علينا نلبس كراغنداتنا • فاذا رأيناهم رميناهم برووس الخيل وطعنهم فما يدرون كثير نحن او قليل» • قال «اذا وصلنا اليهم لبسنا»

(٤٢) برعرع في الاصل

(٤٣) في اثناء زيارته الاولى سنة ١١٣٨ - ٤٤

(٤٤) «وفارس» في الاصل

(٤٥) «مرب» في الاصل

وركب و سرنا اليهم . فلحقناهم في وادي حلبون (٤٦) وهو واد ضيق لعل ما بين الجبلين خمسة اذرع، والجبال من جانبيه وعرة رفيعة وطريقه ضيقة انما يمشي فيها فارس خلف فارس . وهم في سبعين رجلاً بالقسيّ والسناب

فلما وصلناهم كان (٤٧) غلمانا خلفنا بسلاحنا لا يصلون الينا واولئك قوم منهم في الوادي ومنهم قوم في سفح الجبل . فظننت ان الذين في الوادي من اصحابنا فلاحي الضياع قد فزعوا خلفهم والذين في سفح الجبل هم الحرامية . فجدبت سيفي وحملت على الذين في السفح . فلما طلع الحصان في ذلك الوعر الا باخر روجه . فلما صرت اليهم وحصاني قد وقف ما بقي يندفع استوفسى واحد منهم نشأته في فؤقه (٤٨) ليضربني . فصحت عليه وتهددته، فمسك يده عني . وعدت انزلت الحصان وما اصدق اخلص منهم

وظلع الامير معين الدين الى اعلى الجبل يظن ان هناك من الفلاحين من يستفروهم . وصاح السي من اعلى الجبل «لا تفارقهم حتى اعود» وتوارى عنا . فرجعت الى الذين في الوادي وقد علمت انهم من الحرامية فحملت عليهم وحدي لضيق المكان فانهمزموا، ورموا ما كان معهم من الخام . وخلصت منهم بهيمنتين كانتا معهم عليهما خام ايضاً . وطلعوا الى مغارة في سفح الجبل ونحن نراهم وما لنا اليهم سبيل وعاد الامير معين الدين، رحمه الله، آخر النهار وما وجد من يستفروه . ولو كان معنا العسكر كنا ضربنا رقابهم واستخلصنا كل ما معهم

أسامة يخسر رفاقه بقلّة الخبرة

وقد جرى لي مرّة اخرى مثل هذا . والسبب فيه نفاذ المشيئة ثم قلّة المخبرة بالحرب . وذلك اتنا سرنا مع الامير قطب الدين خسرو بن

(٤٦) من قرى دمشق اشتهر في قديم الزمان بخمره . حزقيال ٢٧: ١٨

(٤٧) «كانوا» في الاصل . عامية على لغة «الكلوني البراغيث»

(٤٨) «فوله» في الاصل . الفئوق موضع الوتر من السهم . ولعل المطلوب «قومه»

تليل (٤٩) من حماة نريد دمشق الى خدمة الملك العادل نور الدين،
رحمه الله . فوصلنا الى حمص . فلتمًا عزم على الرحيل على طريق
بعبك قلت له «انا اتقدم ابصر كنيسة بعبك (٥٠) [٤٧ ق] الى حين
تصل» . قال «افعل»

فركبت ومضيت . فانا في الكنيسة جاءني فارس من عنده يقول «قد
خرجت رجالة حرامية على قافلة اخذوها . فاركب والقني (٥١) الى
الجبل» . فركبت ولقيته . فصعدنا في الجبل فرائنا الحرامية في وادٍ
تحتاء والجبل الذي نحن عليه محيط بذلك الوادي . فقال له بعض
اصحابه «تنزل اليهم» . قلت «لا تفعل» . ندور على الجبل ونصير فوق
رووسهم نحول (٥٢) بينهم وبين طريقهم الى المغرب، وناخذهم» .
وكانوا من بلاد الافرنج . فقال آخر «الى ما ندور على الجبل [نكون]
قد وصلنا اليهم واخذناهم» . فنزلنا . فلما رأنا (٥٣) الحرامية سعدوا
في الجبل . فقال لي «اصعد اليهم» . فحرصت على الطلوع، فما قدرت
وكان على الجبل منّا خيالة ستة سبعة . فترجلوا اليهم، وجاءوا يقودون
خيلهم معهم، واولئك في جماعة . فحملوا على اصحابنا فقتلوا منهم فارسين
واخذوا حصانين وحصاناً آخر . وسلم صاحبه . ونزلوا من جانب
الجبل الآخر بالقيمة . وعدنا نحن وقد قتل منّا فارسان واخذ منّا
ثلاثة حصن والقافلة . فهذا تقرير لقلّة المخيرة بالحرب

حصار حصن الصّور

فامّا التقرير في الاقدام فما هول للزهد في الحياة . وانما سببه ان الرجل

(٤٩) امير كردي نسيب لابي الهيجا الهدباني صاحب [ربل - ذكره ابن خلكان

٤٩٤:٤ وابن الاثير في *Recueil* ٢٥٥:٢

(٥٠) «سئل» في الاصل . كان المراد «تعنيل» «تعنيل»؟

(٥١) «والقاني» في الاصل

(٥٢) «سئل» في الاصل

(٥٣) «راونا» في الاصل

إذا عُرِفَ بالأقدام ووسم باسم النجاعة وحضر القتال طالبتَه همتُه بفعل ما يُدكَّرُ به وبعجز عنه سواء، وخافت نفسه الموت وركوب الخطر فتكاد تغلبه وتصدُّه عمًا يريد يفعله حتى يضطرها ويحملها على مكروهاها، فيعتريه الزمَعُ وتغيَّرَ اللون لذلك . فإذا دخل في الحرب بطل روعه وسكن جأشُه

ولقد حضرت حصار حصن الصُّور (٥٤) مع ملك الامراء اتابك زنكي، رحمه الله (وقد تقدّم شيء من ذكره)، وكان للامير فخر الدين قرا ارسلان (٥٥) بن داود بن سُقمان بن اُرتُق رحمه الله . وكان مشحونًا بالرجال الجرخيَّة (٥٦) . وذلك بعد كسرتَه على آمد (٥٧) . فأول ما ضُرِبَت الخيام نفَّذَ رجالاً من اصحابه صاح تحت الحصن «ياجماعة الجرخيَّة، يقول لكم اتابك «ونعمة السلطان (٥٨) لئن قُتِلَ من اصحابي رجل واحد بنسأبكم لا قطعنَّ ايديكم!» ونصب على الحصن المجانيق . فهدمت جانباً منه وما بلغ الهدم منه بحيث نُسطع اليه الرجال . فجاء رجل من جنديَّة اتابك من اهل حلب يقال له ابن العرَّيق طلع في تلك الثغرة وضاربهم [٤٨ و] بسيفه فجرحوه عدَّة جراح ورموه من البرج الى الخندق . وتكاثر الناس عليهم في تلك الثغرة فملكوا الحصن . وطلع نواب اتابك اليه فاخذ مفاتيحه نفَّذها الى حسام الدين تمرشاش بن ابلغازي (٥٩) بن اُرتُق واعطاه الحصن

(٥٤) في ديار بكر . ياقوت ٣: ٤٣٥

(٥٥) «مرارسلان» في الاصل

(٥٦) «المرح» في الاصل . الجُرُوح من ادوات الحرب تُرمى عنها السهام والحجارة

(٥٧) سنة ٥٢٨ او ١ شربين الثاني سنة ١١٣٣ - ٢١ شربين الاول سنة ١١٣٤ .

الذهبي «دول الاسلام» (حيدر آباد ١٣٣٧) ٢: ٣٤

(٥٨) مفيت الدين محمود السلجوقي سلطان اصبهان

(٥٩) «العازي» في الاصل

واتَّفَق ان نشأبة جرخ ضربت رجلاً من الخراسانية في ركبته قطعت
 الفلكة التي على مفصل الركبة، فمات
 فأول ما ملك اتابك الحصن استدعى الجرخية، وهم تسعة نفر،
 فجاءوا وقبضهم موتورة على اكتافهم • فأمر بحزبٍ إِبْهَامَاتِهِمْ (٦٠) من
 زنودهم • فاسترخت ايديهم وتلفت
 وأما ابن العُرَيْق فداوى جراحه وبراُ بعد ان شارف الموت • وكان
 رجلاً شجاعاً يَحْمَلُ نفسه على الاخطار

حصار البارة

ورأيت مثل ذلك وقد نزل اتابك على حصن البارة (٦١) وحوله صفا
 صخر لا تضرب عليه الخيام • فنزل اتابك في الوطاي ووكّل به الامراء
 بالنوبة • فركب اليه اتابك يوماً والنوبة للامير ابي بكر الدُّبَيْسِي (٦٢)
 وما معه اهبه القتال • فوقف اتابك وقال لابي بكر «تقدّم قاتلهم» •
 فزحف باصحابه وهم اعراء • وخرج اليهم الرجال من الحصن • فتقدّم
 رجل من اصحابه يقال له مزيد (٦٣)، لم يكن قبل ذلك من المشهورين
 بالقتال والشجاعة، فقاتل قتالا عظيماً وضرب فيهم بسيفه وفرّق جمعهم •
 وجرح عدة جراح • فرأيتهم قد حملوه الى العسكر وهو في آخر رمقه •
 ثم عوفي • وقدمه ابو بكر الدُّبَيْسِي وخلص عليه وجعله من جملة
 جناريتته

الغساني يقطع من شاء نصفين

كان اتابك يقول لي «ثلاثة غلمان: احدهم يخاف الله تعالى وما يخافني

(٦٠) «بهاماتهم» في الاصل

(٦١) أو بارين للسمال الغربي من حمص

(٦٢) قابل «دُبَيْس» اعلاه ص ١٤٢ س ١٩

(٦٣) «مرند» في الاصل

(بني زين الدين علي كوجك (٦٤)، رحمه الله)، والآخريخافني وما يخاف الله تعالى (بني نصير الدين سنسكر (٦٥)، رحمه الله)، والآخري ما يخاف الله ولا يخافني (بني صلاح الدين محمد بن أيوب الغسياني، رحمه الله)»

وشهدت منه، تجاوز الله عنه، ما يحقق قول اتابك • وذلك اننا زحفنا يوماً الى حمص وقد اصاب الارض في الليل مطر عظيم حتى ما بقيت الخيل تصرف من ثقل (٦٦) الارض بالوحل، والرجالة يتناوشون • صلاح الدين واقف وانا معه، ونحن نرى الرجالة بين ايدينا • فعدا واحد من الرجالة السي رجالة حمص اختلط بهم، وصلاح الدين يراه • فقال لواحد من اصحابه «هات ذاك الرجل الذي كان الى جانبه» • فمضى احضره • فقال له «من هذا الذي كان انهزم من جانبك ودخل الى حمص؟» قال «والله، يامولاي، ما اعرفه» • قال «وسطوه (٦٧)» • قلت «يامولاي [٤٨ ق] تعقله وتكشف عن ذلك الرجل • فان كان يعرفه او مته بنسب ضربت رقبته • والا ترى فيه رأيك» • فكأنته جنح الى قولني • فقال غلام له من خلفه «يهرب واحد يؤخذ الذي كان الى جانبه تُضرب رقبته او يوسط» • فاحتقه كلامه وقال «وسطوه» • فرفسوه كجاري العادة ووسطوه، وما له ذنب الا اللجاج وقلة مراقبة الله تعالى

وحضرته مرة اخرى بعد ما وصلنا من مصاف بغداد (٦٨)، واتابك يجتهد يظهر تجلداً وقوة وقد امر صلاح الدين بالمسير الى الامير قنجاك (٦٩)

(٦٤) وزير قطب الدين مودود بن زنكي في الموصل

(٦٥) وزير زنكي

(٦٦) «عل» في الاصل

(٦٧) اي اقطعوه شطرين من الوسط

(٦٨) سنة ٥٢٧ (٦١٣٢ - ٣٣) على ما يظهر من الذهبي «تاريخ الاسلام» ٦٠٢

(ملحق دربورغ)

(٦٩) أو قنجاك أو قنجاك، امير تركماني • وهو بموجب ابي الفداء «تاريخ»

(الاستانة ١٢٨٦) ٣: ١٦ ابن آلب ارسلان شاه • وبموجب ابن الاثير «الكامل»

(طبعة طرنبرغ) ١١: ٥٠ ابن ارسلان تاش

يكبسه (٧٠) . فسرنا من الموصل سنة ابيّام ونحن في غاية الضعف . فوصلنا موضعه وجدناه قد تعلق في جبال كوهسان . فنزلنا على حصن يقال له ماسر . ونزلنا عليه طلوع الشمس، وامرأة طلعت من الحصن قالت «معكم خام؟» قلنا «اي وقت هذا للبيع والشراء؟» قالت «تريد الخام نكفسيكم به . فالي خمسة ايام تموتون كلتكم» . تريد ان ذلك الموضع وخيم فنزل ورتب الزحف الى الحصن من بكرة وامر النقبّين يدخلون تحت برج من تلك البراج . والحصن كله معمور بالطين، والرجال الذين فيه من الفلاحين . فزحفنا اليه وطلعنا الى تلّه . ونقب الخراسانية برجا فوق وعليه اثنان . اما الواحد فمات واما الاخر فاحذاه اصحابنا وجاءوا به الى (٧١) صلاح الدين . قال «وسطوه» . قلت «يامولاي، هذا شهر رمضان . وهذا رجل مسلم لا تتقلد ائمه» . قال «وسطوه حتى يسلّموا الحصن» . قلت «يامولاي، الحصن الساعة تملكه» . قال «وسطوه» . ولجّ فيه فوسطوه . واخذنا الحصن في ساعتنا تلك . فجاء الى الباب يريد النزول من الحصن . فكان معه جماعة وغلبه فوكّل به قوماً من اصحابه ومضى نزل في خيمته لحظة بقدر ما تفرّق العسكر الذي كان معه . ثم ركب وقال لي «اركب» . فركبنا وطلعنا الى الحصن . فجلس واحضر ناطور الحصن يعرفه بما فيه، واحضر بين يديه نساء وصياناتا (٧٢) نصارى ويهود فحضرت عجوز كردية . فقالت لذلك الناطور «رايت ابني فلانا؟» (٧٣) . قال «فُتِل . ضه بته نساّبة» . قالت «فابني فلان؟» قال «وسطه الامير» . فصاحت وكشفت رأسها وشعرها كالقطنه المندوفة .

(٧٠) «نكسه» في الاصل

(٧١) مكررة

(٧٢) «وصان» في الاصل

(٧٣) «فلان» في الاصل

فقال لها الناطور «اسكتي لاجل الامير» • قالت «واي شي بقي الامير يعمل بي • كان لي ولدان قتلها» • فدفعوها
ومضى الناطور فاحضر شيخاً كبيراً ملىح الشية يمشي على عصاين (٧٤)
سلم على صلاح الدين • قال «اي شي هو هذا الشيخ؟» قال «إمام
الحصن» • قال «تقدم يا شيخ، تقدم تقدم» حتى جلس بين يديه •
فمدت يده قبض لحيته واخرج سكينه مشدودة في بند قبائه وقطع لحيته من
حكمته، فبقيت في يده مثل البرجم (٧٥) [٤٩] فقال له ذلك الشيخ
«يامولاي، باي شي استوجبت ان تفعل بي هذا الفعل؟» قال «بعصيانك
على السلطان (٧٦)» • قال «والله، ما علمت بوصولكم حتى جاء الناطور
الساعة اعلمني واستدعاني»

ويسبي المعاهدين

ثم رحلنا نزلنا على حصن اخر للامير قفجاق يقال له الكرخيني (٧٧) •
اخذناه فوجدوا فيه خزانة ملاءى (٧٨) بثياب خام مخيطة مدقة لفقراء
مكة • وسبي من كان في الحصن من النصارى واليهود المعاهدين • ونهب
ما فيهما نهب الروم • فالله سبحانه يتجاوز عنه

اقف من هذا الفصل عند هذا الحد متمثلاً بقولي:

دع ذكر من قتل الهوى فحديثهم فينا يشيب ذكر المولودا
واعود الى ذكر شي مما جرى لنا والاسماعيلية في حصن شيزر

الاسماعيلية تهاجم شيزر

اجتاز في ذلك اليوم (٧٩) ابن عم لي يقال له ابو عبد الله بن هاشم،

(٧٤) «عصاين» في الاصل • لغة في «عصاوين»

(٧٥) البرجم في الاصل • تعريب «برجم» الفارسية ومعناها شعر ذنب عجل البحر

(٧٦) مغيث الدين محمود

(٧٧) بجوار اربل • ياقوت ٤: ٢٥٧

(٧٨) «ملاء» في الاصل

(٧٩) سنة ١١٣٥

رحمه الله، فرأى رجلاً من الباطنية في برج من دار عمي معه سيفه وترسه
والباب مفتوح وبراً منه خلق كثير من اصحابنا وما يجسر احد يدخل
اليه . فقال ابن عمي لواحد من اولئك الوقوف «ادخل اليه» . فدخل
اليه . فما اهله الباطني ان ضربه فجرحه . فخرج وهو مجروح . فقال
لاخر «ادخل اليه» . فدخل اليه . فضربه الباطني فجرحه وخرج كما
خرج صاحبه . فقال ابن عمي «يارئيس جواد(٨٠)، ادخل اليه» . فقال
له الباطني «ياموءخر(٨١)، انت ليش(٨٢) ما تدخل؟ تدخل السي
الناس وانت واقف . ادخل حتى تبصر» . فدخل اليه الرئيس(٨٣)
جواد، فقتله . وهذا الجواد حكم في الثقف، رجل شجاع ثقف
وما مرّ عليه الا اعوام قليلة حتى رأته بدمشق سنة اربع وثلاثين
 وخمس مائة(٨٤) وهو علاف يبيع الشعير والتبن، وقد كبر حتى صار
كالشنّ البالي يعجز عن دفع الفأر عن علفه، فما بال الرجال . فكنت
اتعجب من أول امره، عندما صار اليه اخر امره، وما احال من حاله طول
عمره

تأملات أسامة بشأن طول العمر(٨٥)

ولم ادر ان داء الكسب عام، يعدي كل من اغفله الحمام . فلمّا
توقلت ذرورة التسعين، وابلاني مرّة الايام والسنين، صرت كجواد العلاف،
لا الجواد المتلاف . ولصقت من الضعف بالارض، ودخل من الكبر

(٨٠) «يارس حواد» في الاصل

(٨١) «نامواخر» في الاصل وعلى الهامش «يامواجع»

(٨٢) عامية

(٨٣) «الرس» في الاصل

(٨٤) ٢٨ آب ١١٣٩ - ١٦ آب ١١٤٠

(٨٥) ومما يجدر ملاحظته ان أسامة هنا يغيّر أسلوبه القصصي البسيط ويعيد الى

بعضي في بعض • حتى انكرت نفسي، وتحسرت على امسي • وقلت في وصف حالتي:

لنسا بلغت من الحياة الى مدي قد كنت أهواه تمنيت الردا
 لم يبق طول العمر مني مئة ألقى بها صرف الزمان اذا اعتدا
 [٤٩ ق] ضحكت قواي وخانني الشقتان من بصري وسعي حين شارفت المدا
 فاذا نهضت حسبت أنني حامل جبالاً وأمشي إن مشيت مقيداً
 وأدب في كفي العصا وعهدتها في الحرب تحمل أسراً ومهدداً
 وأبيت في ليلين المهادر مهداً قلقاً كأنني افتردت الجلبداً
 والمرة ينكس (٨٦) في الحياة وبينما بلغ الكمال وتم عاد كما بدأ
 وانا القائل بمصر اذم من العيش الراحة والدعة وما كان اعجل تقصيه
 واسرعه:

نظر الى صرف دهرى كيف عودني بعد المشيب سوى عاداتي الأول
 وفي تفكير صرف الدهر معتبر وأي حال على الايام لم تحل
 قاسم كنت مسعر حرب كلما خمدت اذكيها باقتداح البيض في القل
 همي منازلة الأقران أحسبهم فرائسي (٨٧) فهم مني على وجل
 أمضى على الهول من ليل وأهجم من سبل وأقدم في الهياج من أجل
 فصرت كالغادة المكسال مضجعتها على الحشايا وراء السجف والكلل
 قد كدت أعفن من طول التواء كما يصدى الهند طول اللبث في الخلل
 أروح بعد دروع الحرب في حلل من الدبيقي فيوماً لي وللحلل
 وما الرفاهة من رامى ولا أربي ولا التنعيم من شاني ولا شغلي
 ولست أرضى بلوغ المجد في رقي ولا العلى دون حطم البيض والأسل (٨٨)
 وكنت اظن ان الزمان لا يبلى جديده، ولا يهي شديده، وانني اذا
 عدت الى الشام وجدت به ايامي كهدي، ماغيرها الزمان بعدي • فلما
 عدت كذبتني وعود المطامع، وكان ذلك الظن كالسراب اللامع • اللهم
 غفرًا هذه جملة اعتراضة عرضت، ونفته (٨٩) هم اقضت ثم انقضت

(٨٦) قابل القرآن ٦٦:٢١ و ٦٨:٣٦

(٨٧) «فرايسى» في الاصل

(٨٨) قابل ابن عساكر «التاريخ الكبير» (دمشق ١٣٣٠) ٢:٤٠٣

(٨٩) «ومعه» في الاصل

ركوب الاخطار لا ينقص الاعمار

اعود الى المهم، وادع تعسف الليل المدلهم. لو صفت القلوب من كدر الذنوب، [و] فوّضت الى عالم الغيوب، علمت ان ركوب اخطار الحروب، لا يُنقص مدّة الاجل المكتوب

فانني رأيت يوم تقاتلنا نحن والاسماعيلية في حصن شيزر معتبراً (٩٠) بوضوح للشجاع العاقل، والجبان الجاهل، ان العمر موقت مقدّر، لا يتقدّم اجله ولا يتأخر. وذلك اننا بعد فراغنا ذلك اليوم من القتال، صاح انسان من جانب الحصن «الرجال!» وعندي [٥٠] جماعة من اصحابي معهم سلاحهم. فبادرنا الى الذي صاح. فقلنا «ما لك؟» فقال «حسّ الرجال هاهنا». فجئنا الى اصطبل خال مظلم. فدخلناه فوجدنا فيه رجلين معهما سلاحهما، فقتلناهما. ووجدنا رجلاً من اصحابنا مقتولاً، وهو على شيء، فرفعناه وجدنا تحته رجلاً من الباطنية قد تسجّى ورفع المقتول على صدره. فحملنا صاحبنا وقتلنا الذي كان تحته ووضعنا صاحبنا في الجامع بالقرب من ذلك المكان وفيه جراح عظيمة، ولا نشكّ انه ميت لا يتحرك ولا يتنفس. وانا والله كنت احرك رأسه على بلاط الجامع برجلي، ولا نشكّ انه ميت (٩١). وكان المسكين اجتاز بذلك الاصطبل فسنخ حساً. فادخل رأسه ليحقق السماع، فجذبه واحد منهم وضربوه بالسكاكين حتى ظنوا انه قدمات. فقضى الله سبحانه ان خيبت تلك الجراح في رقبته وفي جسمه وعوفي وعاد من الصحة الى ما كان عليه. فبارك الله مقدّر الاقدار وموقت الآجال والاعمار

وشاهدت ما يقارب ذلك وهو ان الافرنج، لعنهم الله، اغاروا (٩٢) علينا ثلث الليل الاخر. فركبنا نريد تبعمهم. فمنعنا عمّي عزّ الدين،

(٩٠) قابل عنوان الكتاب «كتاب الاعتبار»

(٩١) هذه العبارة تكررت بعروفيها في سطر سابق اما للتأكيد او بسهو من

الناسخ

(٩٢) «غاروا» في الاصل

اختبارات وملاحظات

١٦٣

رحمه الله، من اتباعهم وقال «هذه مكيدة» والاغارة تكون بالليل» • وخرج من البلد رجالة خلفهم ما علمنا بهم • فوقع الاقرنج بعضهم عند رجوعهم قتلوهم وسلم بعضهم

واصبحت انا واقفاً في بندر قنين قرية عند المدينة • فرأيت ثلاثة شخوص مقبلة: امأ اثنان فكالتاس، وامأ الاوسط فما وجهه كوجوه الناس • فلمأ دنوا منأ واذا الوسطاني منهم قد ضربه افرنجي بسيف في وسط انفه فقطع وجهه الى اذنيه، وقد استرخى نصف وجهه صار على صدره • وبين النصفين من وجهه فتح قريب من شبر وهو يمشي بين رجلين • فدخل البلد وخاط الجرائحي وجهه وداواه • فالتحم ذلك الجرح، وعوفي وعاد الى ما كان عليه الى ان مات على فراشه • كان يبيع الدواب ويسمى ابن غازي المشطوب • وانما سُمي المشطوب بتلك الضربة

فلا يظن ظان ان الموت يقدمه ركوب الخطر، ولا يؤخره شدة المحذر، ففي بقائي اوضح معتبر • فكم لقيت من الاهوال، وتقحمت المخاوف والاضطراب، ولاقيت الفرسان، وقتلت الاسود، وضربت بالسيوف، وطعنت بالرماح، وجرحت بالسهم [٥٠ ق] والجروح - وانا من الاجل في حصن حصين - الى ان بلغت تمام التسعين، فرأيت الصحة والبقاء، كما قال صلى الله عليه وسلم «كفى بالصحة داء» • فأعقت النجاة من تلك الاهوال، ما هو اصعب من القتل والقتال • وكان الهلاك في كنه الجيش، اسهل من تكاليف العيش • استرجعت مني الايام بطول الحياة، سائر محبوب اللذات • وشاب كدر الشكدة صفو العيش الرغد • فانا كما قلت:

مع الثمانين عاث الدهر في جملتي وساء نسي ضعف رجلي واضطراب يدي
اذا كتبت فخطتي جد (٩٣) مضطرب كحطت مرتعش الكفين مرتعد
فاجب لضعف يدي عن حملها قاسماً من بعد حطم القنا في لبنة الأمد
وان مشيت وفي كفي العصا ثقلت رجلي كأنني أخوض الوحل في الجلد

(٩٣) «حد» في الاصل • «خط» في ابي شامة ١١٤:١

فقل لمن يَتَمَنَّى طولَ مُدَّةٍ هدي عوَاب طول العُمر والمُدَّة (٩٤)
 ضعفت القوَّة ووهت، وتفضت بُلْهنية العيس واتهت . ونكسني
 التعبير بين الانام، والى الخمول يوءول تسعُرُ الظلام، حتى اصبحت
 كما قلت:

تناستني الآجال حنسى كأنني دريئة (٩٥) سَفَرُ بِالْفَلَاةِ حَسِيرُ
 ولما تدعُ مني الثمانون مُتَّةُ كأنني اذا رُمْتُ القيام كَسِيرُ
 أودى صلاتي قاعداً وسجودها علي اذا رُمْتُ السُّجُودَ عَسِيرُ
 وقد أنذرتني هذه الحالُ أنني دَتَّتْ رِحْلَةَ منِّي وحان مَسِيرُ

مديح صلاح الدين

اعجزني وهن السنين، عن خدمة السلاطين . فهجرت مغشَى ابوابهم،
 وقطعتُ اسبابي من اسبابهم، واستقلتُ من خدمتهم، ورددت عليهم ما
 حوّلوني من نعمهم، لعلمي ان ضعف الهرم، لا يقوى على تكاليف الخدم،
 وان سوق الشيخ الكبير، لا يتفق على الامير . ولزمت داري، وجعلت
 الخمول شعاري . ورضيتُ نفسي بالانفراد في الغربية، ومفارقة الاوطان
 والتربة، الى ان تسكن نفارتها عن مرارتها (٩٦) . وصبرتُ صبر الاسير
 على قَدَمِهِ، والظلمان ذي الغلّة عن ورده . [فناداني اليه (٩٧)] مكتابة
 مولانسا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين، سلطان [٥١ و] الاسلام
 والمسلمين، جامع كلمة الايمان، قامع عبدة الصلبان، رافع علم العدل
 والاحسان، محيي دولة امير المومنين ابو المظفر يوسف بن ايّوب .
 جعل الله الاسلام والمسلمين بطول بقائه، وايدهم بماضي سيوفه واراته،
 واصفى عليهم وارفاً ظلته، كما اصفى لهم من الاكدار موارد فضله، وانفذ
 في البسيطة عالي اوامره ونواهيته، وحكّم صوارمه في اعناق اعاديه، برحمة

(٩٤) ابو شامه ١١٤:١ يقتبس هذه الابيات فقابلها

(٩٥) «ردية» في عماد الدين الكاتب الاصفهاني «حريدة القصر وجريدة العصر»
 (طبعة دربورغ) ص ١٤٢ (٩٦) الكلمات الاربع الاخيرة نصف محوثة في الاصل
 (٩٧) كلمتان محوستان في الاصل . والاشارة لاشك الى دعوة صلاح الدين لاسامة
 سنة ١١٧٤ وكان اسامة مقبلا في حصن كيفا من اعمال ديار بكر

نقبت عني في البلاد ودوني الحزن والسهل، بمضيعة من الارض لا مال لدي ولا اهل . فاستقذني من انياب النواذب (٩٨) برأيه الجميل، وحملني الى بابه العالي (٩٩) بانعامه الغامر الجزيل . وجبر ما هاضه الزمان مني، ونفق على كرمه ما كسد علي من سواه من علوسني . فقمري بغرائب الرغائب، وانهيني (١٠٠) من انعامه اهني (١٠١) المواهب، حتى رعى لي بفائض الكرم، ما اسلفت سواه من الخدم . فهو يعتد لي بذلك ويرعاه، رعاية من كأنه شاهده وراه . فعطاياه تطرقني وانا راقده، وتسري الي وانا محتسب فاعده . فاننا من انعامه كل يوم في مزيد، وإكرام كثرمة الاهل وانا اقل العبيد . امثني جميل رأيه حادث الحادثات، واخلف لي انعامه ما سلبه الزمان بالنكبات المبححفات . وافاض علي من نوافل فضله بعد تأدية فرضه وسنته (١٠٢)، ما يعجز الاعناق عن حمل ايسر منته . ولم يُبق لي جوده املاً ارجو نيله، اقضي زمانسي بالدعاء به نهاره وليله . والرحمة التي تدارك بها العباد، واحيي بركاتها البلاد . والسلطان الذي احيي سنة الخلفاء الراشدين، واقام عمود الدولة والدين . والبحر الذي لا ينضب لكثرة الواردين مأوه، والجواد الذي لا ينقطع مع تتابع الوافدين عطاؤه . فلا زالت الأمة من سيوفه في حمى منيع، ومن انعامه في ربيع مريع . ومن عدله في انوار تكشف عنهم ظلم المظالم، وتكف بسطة يد المعتدي الغانم، ومن دولته القاهرة في ظل وارف، وفي سعود متتابع آنف في اثر سالف، ما تعاقب الليل والنهار، ودار الفلك الدوار:

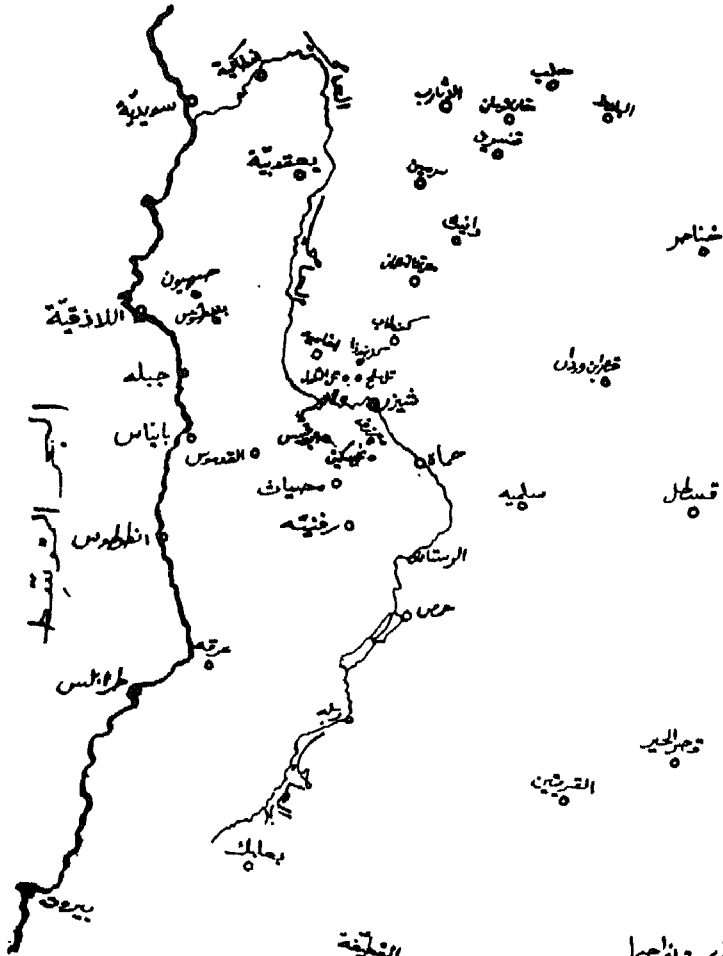
- (٩٨) بعد وفاة فخر الدين قرارسلان (١١٦٧) صاحب حصن كيفا لم يخفل ابنه نور الدين بأُسامة
- (٩٩) في دمشق . وكان مرهف بن اسامة مقرّباً من صلاح الدين . وربما كان هو الذي حمل مولاه على استدعاء والده الشيخ
- (١٠٠) كذا في الاصل ولعلها «واهنيني» - واهناني
- (١٠١) كذا في الاصل ولعل المراد «أهنأ»
- (١٠٢) «وسنه» في الاصل

دعوت' وقد أمّن الحافظان (١٠٣) وذو العرش ممّن دعاه قريب'
 وقد قال سبحانه للعباد سَلُونِي فَأَنسِي سَمِيعٌ مُّجِيبٌ (١٠٤)
 والحمد لله ربّ العالمين، وصلواته على سيدنا محمد وعلى آله اجمعين.
 وحسبنا الله ونعم الوكيل (١٠٥)

(١٠٣) ملاكان - القرآن ٦:٦١ و ٨٢:١٠

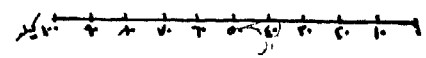
(١٠٤) قابل القرآن ١١:٦٤

(١٠٥) قابل القرآن ٣:١٦٧



شيزر و داجيل
مع ساكن الدمام في سورية
والشمالية المذكور في كتاب الألبان

الثلثية
نهر
عالي القدس
دوما
دمشق



الباب الثاني
نكت ونوادير

الباب الثاني

نكت ونوادير

[٥١ ق] وما بكم من نعمة فمن الله (١)

فصل (٢)

قال أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين: هذه طرُق أخبار حضرت بعضها وحدثني بعضها من اتق به جعلتها الحاقاً في الكتاب، اذ ليست ممّا قصدتُ ذكره فيما تقدم . وابدأت منها بأخبار الصالحين، رضي الله عنهم اجمعين

(١) القرآن ١٦:٥٥ . ولعل الآية حشو من الناسخ

(٢) هذا العنوان هو الوحيد من نوعه في الأصل

١ - اخبار الصالحين

بصيرة البصري

حدثني الشيخ الامام الخطيب سراج الدين ابو طاهر ابراهيم بن الحسين ابن ابراهيم خطيب مدينة إيسرد (٣) بها في ذي القعدة سنة اثنتين وستين وخمس مائة (٤): قال حدثني ابو الفرج البغدادي (٥) قال «شهدتُ مجلس الشيخ الامام ابي عبد الله محمد البصري ببغداد وحضرته امرأة • فقالت يا سيدي انك كنت ممن شهد في صدقي • وقد فقدتُ كتاب المهر • واسألك (٦) ان تفضّل عليّ تقيم الشهادة بمجلس الحكم • فقال «ما افعل حتى تأتيني بحلاوة • فوفقت المرأة وهي تظنُّ انه يمزح بقوله • فقال «لا تطيلي • لا امضي معك الا ان تأتيني بالحلاوة • فمضت ثم عادت فاخرجت من جيبها من تحت الازار قرطاساً فيه حلاوة يابسة • فتعجّب اصحابه من طلبه الحلاوة مع زهده وتعفّفه • فاخذ القرطاس وفتحه ورمى بالحلاوة قطعة قطعة حتى فرغ القرطاس • ونظره فاذا هو (٧) كتاب صدق المرأة الذي فقدته • فقال «خذي صدقك • فهذا هو • فاستعظم من حضره ذلك • فقال «كلوا الحلال (٨) وقد فعلتم ذلك واكثر منه»

سمع ابن قيس

حدثني الشيخ ابو القسم الخضر بن مسلم بن قاسم (٩) الحمويّ بها

(٣) من اعمال ديار بكر • «إسعدت» في ياقوت ٣٤١:٢ و ٣٨٠

(٤) ١٩ آب - ١٧ ايلول سنة ١١٦٧

(٥) ابن الجوزي المتوفى سنة ١٢٠١ ترجمه ابن خلكان ١:٥٠٠ - ٥٠١

(٦) «واسلك» في الاصل

(٧) «ما هو» في الاصل

(٨) قابل القرآن ١٦٣:٢ و ٩٠:٥ و ٧٠:٨

(٩) «قسم» ادناه - قسيم

يوم الاثنين سلخ ذي الحجة سنة سبعين وخمس مائة (١٠) قال: قدم علينا رجل شريف من اهل الكوفة فحدثنا قال: حدثني ابي قال: كنت ادخل على قاضي القضاة الشامي الحموي فيكرمني ويجلني فقال لي يوماً «انا احب اهل الكوفة لشخص واحد منهم . كنت بحماة وانا شاب وقد توقى بها عبدالله بن ميمون الحموي، رحمه الله . فقالوا له «اوصل» . فقال «اذا انا مت و فرغتم من جهازي اخرجوني الى الصحراء ويطلع انسان على الراية التي تشرف على المقابر وينادي: يا عبدالله بن القيس (١١) مات عبدالله بن ميمون، فاحضره وصل عليه . فلما مات فعلوا ما امرهم به . فاقبل رجل عليه ثوب خام ومثزر صوف من الجانب الذي نادى منه المنادي وجاء حتى صلتى عليه، والناس قد بهتوا لا يكلمونه . فلما فرغ من الصلاة انصرف راجعاً من حيث جاء . فتلاوموا اذ لم يتمسكوا به ويسألونه (١٢) . فسعوا [٥٢ و] في اثره . ففاتهم ولم يكلمهم كلمة واحدة

شهوة شيخ مائت تتحقق

وقد حضرت ما يقارب ذلك في حصن كيفا . وكان في مسجد الخضر (١٣) رجل يُعرف بمحمد السماع (١٤) له زاوية الى جانب المسجد يخرج وقت الصلاة يصلّي جماعة ويعود الى زاويته وهو رجل من الاولياء . فحضرته وهو بالقرب من منزلي الوفاة، فقال «كنت اشتهي على الله تعالى ان يحضرني شيخي محمد البستي» . فما جمع له جهاز غسله وكفنه الا وشيخه محمد البستي عنده . فتولّى غسله وخرج خلفه تقدّمناصلي عليه ثم نزل في زاويته فاقام بها مُديدة وهو يزورني وانا ازوره . وكان،

(١١) «المبيس» في الاصل

(١٢) «ويسلوه» في الاصل

(١٣) «الحصر» في الاصل . وقصة الخضر في القرآن ١٨: ٥٩ - ٨١

(١٤) «السماع» في الاصل

(١٥) ١ آب سنة ١١٧٤

رحمه الله، عالماً زاهداً ما رأيت ولا سمعت بمثله . كان يصوم الدهر ولا يشرب ماء ولا يأكل خبزاً ولا شيئاً من الحبوب، انما يفطر على رماتين او عنقود عنب او تفاحتين ويأكل في الشهر مرة او مرتين لقيمات من لحم مقلي . فقلت له يوماً «ياشيخ ابا عبدالله، كيف وقع لك ان لا تأكل خبزاً ولا تشرب ماء وانت صائم ابداً؟» قال «صمت وطويت فوجدتني اقوى على ذلك . فطويت ثلثاً وقلت اجعل ما آكله كالهيئة (١٥) التي تحل للمضطر بعد ثلث، فوجدتني اقوى على ذلك فتركت الأكل وشرب الماء فألفت النفس ذلك وسكنت اليه فاستمرت (١٦) على ما انا عليه»

وكان بعض اكابر حصن كيفا قد عمل للشيخ زاوية في بستان جعله له . فحضر عندي في اول شهر رمضان وقال «قد جئت مودعاً» . قلت «والزاوية التي قد أعدت لك والبستان؟» قال «ياخي، ما لي حاجة فيهما . ولا اقيم» . وودعني ومضى، رحمه الله . وذلك سنة سبعين وخمس مائة (١٧)

وهو في المعرفة يشعر بموت آخر في مكة

وحدثني الشيخ ابو القسم الخضر بن مسلم بن قسيم (١٨) الحموي بحمارة في التأريخ المتقدم (١٩) ان رجلاً كان يعمل في بستان لمحمد ابن مسعر، رحمه الله، اتى اهله وهم جلوس على ابواب دورهم بالمعرفة فقال «سمعت الساعة عجباً!» قالوا «وما هو؟» قال «مر بي رجل معه ركوة طلب مني فيها ماء فاعطيته فجدد وضوءه . واعطيته خيارتين فابسى ان يأخذها . فقلت ان هذا البستان نصفه لسي بحق عملي . ولمحمد بن مسعر نصفه بالملك» . فقال «احسب العام؟» قلت «نعم» . قال «البارحة

(١٥) القرآن ٢: ١٦٨

(١٦) «فاسمرت» في الاصل

(١٧) ١ آب سنة ١١٧٤ - ٢١ تموز سنة ١١٧٥

(١٨) «قسيم» في الاصل و«عاسم» اعلاه

(١٩) ٥٧٠ او ١١٧٤ - ٧٥

بعد انصرفنا من الوقفة مات وصلينا عليه،» فخرجوا في اثره ليستفهموا منه فراؤه علسى بعد لا يمكنهم لحاقه . فعادوا وورخوا (٢٠) الحديث فكان الامر كما قال

عليّ يداوي قيم مسجد

حدثني الاجلّ شهاب الدين ابو الفتح المظفر بن اسعد بن مسعود بن بختكين بن سبكتكين مولى معز الدولة ابن بويه بالموصل في ثامن عشر شهر رمضان سنة خمس وستين وخمس مائة (٢١) [٥٢ ق] قال «زار المقتفي بامر (٢٢) الله امير المؤمنين، رحمه الله، مسجد صندوديا (٢٣) بظاهر الأنبار على الفرات الغربيّ، ومعه الوزير وانا حاضر . فدخل المسجد وهو يُعرف بمسجد امير المؤمنين عليّ، رضوان الله عليه، وعليه ثوب دياطي (٢٤) وهو متقلد سيفاً حليته حديد لا يندري انّه امير المؤمنين الامن يعرفه . فجعل قيم المسجد يدعو للوزير . فقال الوزير «ويحك! ادع لامير المؤمنين، فقال له المقتفي، رحمه الله «سله عمّاً ينفع . قل له ما كان من المرض الذي كان في وجهه؟ فأني رأيت في ايّام مولانا المستظهر، رحمه الله، وبه مرض في وجهه، وكان في وجهه سلعة قد غطت اكثر وجهه فاذا اراد الأكل سدها بمنديل حتى يصل الطعام الى فمه . فقال القيم «كنتُ كما تعلم، وانا اتردد الى هذا المسجد من الانبار . فلقيني انسان فقال: لو كنت تتردد الى فلان (يعني مقدّم الانبار) كما تتردد الى هذا المسجد لاستدعى (٢٥) لك طبيباً يزيل هذا المرض من وجهك . فخامر قلبي من قوله شيء ضاق له صدري . فتمت تلك الليلة

(٢٠) لغة في «أرخوا»

(٢١) ٥ حزيران سنة ١١٧٠

(٢٢) لامر (٢)

(٢٣) «صندوداء» بموجب جغرافي العرب

(٢٤) راجع اعلاه ص ١١ ح ٢٥

(٢٥) «لاستدعا» في الاصل

فرايت امير المؤمنين عليّ بن ابي طالب رضوان الله عليه وهو في المسجد يقول ما هذه الحضرة؟ (يعني حضرة في الارض) • فشكوت اليه ما بي، فأعرض عني • ثم راجعته وشكوت اليه ما قاله لسي ذلك الرجل فقال: انت ممن يريد العاجلة (٢٦) • ثم استيقظت والسلعة مطروحة الى جانبي وقد زال ما كان بي، • فقال المقتفي، رحمه الله، (صدق) • ثم قال لي (٢٧) «تحدثت معه وابصر ما يكتسه واكتب به توقيعاً واحضره لأعلم عليه» • فتحدثت معه • فقال «انا صاحب عائلة وبنات • واريد في كل شهر ثلاثة دنانير» • فكتبت عنه مطالعة وعاونتها الخادم: فيتم مسجد عليّ • فوقع عليها بما طلب وقال لي «امض ثبتها في الديوان» • فمضيت ولم اقرأ (٢٨) منها سوى «يوقع له بذلك» • وكان الرسم ان يكتب لصاحب المطالعة توقيعاً ويؤخذ منه ما فيه خط امير المؤمنين • فلماً فتحها الكاتب لينقلها وجد تحت «يتم مسجد عليّ»: «بخط المقتفي امير المؤمنين» - صلوات الله عليه • ولو كان طلب اكثر من ذلك لوقع له به»

النبى يرسل فقيراً الى ملك شاه

وحدثني القاضي الامام مجد الدين ابو سليمان (٢٩) داود بن محمد ابن الحسن بن خالد الخالدي، رحمه الله، بظاهر حصن كيفا يوم الخميس ثاني وعشرين ربيع الاول سنة ست وستين وخمس مائة (٣٠) عن من حدثه ان شيخاً استأذن على خواجا بزرك (٣١)، رحمه الله • فلماً دخل

(٢٦) القرآن ١٧: ١٩

(٢٧) الضمير يرجع للمحدث شهاب الدين ابي الفتح المظفر

(٢٨) «امر» في الال

(٢٩) «سلس» في الاصل

(٣٠) ٣ كابون الاول سنة ١١٧٠

(٣١) أو «بزررك» تعريب «بزررك» الفارسية ومعناها العظيم • واللقب

«خواجا بزرك» - الوزير نلقب به نظام الملك وزير ملك شاه • وفي «كتاب العصا» لأسامه (طبعة دربورغ ١٨٩٣) ص ١٢ «خواجا بزرك نظام الدين سلامي»

عليه رآه شيخاً مهيباً بهياً (٣٢) . فقال «من اين الشيخ؟» قال «من غربة» . قال «الك حاجة؟» قال «انا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم [٥٣ و] الى ملك شاه» . قال «ياشيخ، اي شيء هذا الحديث؟» قال «ان اوصلتني اليه بلغته الرسالة . والا فانا لا ازول حتى اجتمع به وابلغه ما معي» . فدخل خواجا بزرگ على السلطان فاعلمه بما قاله الشيخ فقال «احضروه» . فلماً حضر قدّم للسلطان مسواكاً ومنتطاً وقال له «انا رجل لي بنات . وانا فقير لا اقدر على جهازهن وتزويجهن . وكل ليلة ادعو الله تعالى ان يرزقني ما اجهنهن به فنمت ليلة الجمعة من شهر كذا ودعوت الله سبحانه بمعوتتي عليهن . فراءيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم فقال لي «انت تدعو الله تعالى ان يرزقك ما تجهن به بناتك؟» قلت «نعم يارسول الله» . فقال «امض الي فلان (وسمّاه بعز (٣٣) ملك شاه - يعني السلطان) وقل له: قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم جهن بناتي» . فقلت «يارسول الله، ان طلب مني علامة ما اقول له؟» قال «قل له بعلامة انك كل ليلة عند النوم تقرأ سورة تبارك» . فلماً سمع ذلك السلطان فقال «هذه علامة صحيحة . وما اطّلع عليها غير الله تبارك وتعالى . فان مؤدبي امرني ان اقرأها كل ليلة عند النوم . وانا افعل ذلك» . ثم امر له بكل ما طلبه لتجهيز بناته واجزل عطيته وصرفه

وآخر الى الوزير علي بن عيسى

ويشبه هذا الحديث ما سمعته عن ابي عبدالله محمد بن فاتك (٣٤) المقرئ قال «كنت اقرأ يوماً على ابي بكر بن مجاهد رحمه الله المقرئ ببغداد اذ ورد عليه شيخ عليه عمامة رثة وطيلسان وثياب رثة . وكان ابن مجاهد يعرف الشيخ فقال له «ايش (٣٥) كان من خير الصبية؟» قال

(٣٢) «بها» في الاصل

(٣٣) «عز» في الاصل

(٣٤) «مالك» في الاصل

(٣٥) عامية . اي شيء

ديابابكر (٣٦)، جاءتني البارحة ابنة ثالثة فطلبت مني اهلي دانسقاً (٣٧) يشترون به سنناً وعسلاً يحنكونها به فلم أقدر عليه • فبت مهموماً • فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم، فيما يرى النائم • فقال: لا تغتم ولا تحزن • وإذا كان غداً فادخل علي علي بن عيسى وزير الخليفة (٣٨) فأقره (٣٩) مني السلام وقل له: بعلامة انك صليت علي عند قبري (٤٠) اربعة الاف مرة ادفع لي مائة دينار عينا،

فقال ابو بكر بن مجاهد ديابابا عبد الله في هذا فائدة، • وقطع علي القراءة واخذ بيد النبي وقام فدخل به علي علي بن عيسى • فرأى علي ابن عيسى مع ابن مجاهد شيخاً لم يعرفه فقال «من اين لك يا بابكر هذا؟» فقال «يدنيه الوزير ويسمع منه كلامه»، • فادناه وقال «ما خطبك يا شيخ؟» فقال الشيخ «ان ابا بكر بن مجاهد يعلم ان لي ابنتين • والبارحة جاءتني ثالثة • فطلبت مني اهلي دانسقاً يشترون به عسلاً وسنناً يحنكونها به فلم أقدر عليه • فبت البارحة وانا مهموم • [٥٣ ق] فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول: لا تغتم ولا تحزن • اذا كان غداً فادخل علي علي بن عيسى واقره (٤١) مني السلام وقل له: بعلامة انك صليت علي عند قبري اربعة الاف (٤٢) مرة ادفع لي مائة دينار عينا، • قال [ابن] مجاهد فاغرورقت عينا علي بن عيسى بالدموع • ثم قال: صدق الله ورسوله وصدقت ايها الرجل • هذا شيء ما كان علم به الا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم • يا غلام هات الكيس • فاحضره بين يديه • فضرب بيده اليه فاخرج منه مائة دينار وقال: هذه المائة التي قال

(٣٦) «بابا بكر» في الاصل

(٣٧) «دانسق» الفارسية - سدس الدرهم

(٣٨) المقتدر بالله (٩٠٨ - ٣٢٢)

(٣٩) «عاقبه» في الاصل

(٤٠) قبر النبي

(٤١) «واقره» في الاصل

(٤٢) «الف» في الاصل

لك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذه مائة اخرى للبشارة . وهذه مائة اخرى هدية منك . فخرج الرجل من عنده وفي كفه ثلاثمائة دينار»

عليّ يشفي مفلوجاً

وحدثني القائل (٤٣) الحاجّ ابو عليّ في شهر رمضان في سنة ثمان وستين وخمس مائة (٤٤) بحسن كيفاً قال «كنت بالموصل جالساً في دكان محمد بن عليّ بن محمد بن مامة . فاجتاز بنا رجل فقاعي (٤٥) ضخم غليظ الساقين فدعاه احمد (٤٦) وقال «يا عبد عليّ (٤٧) بالله حدث فلاناً حديثك . قال «انا رجل ابيع الفئاع كما ترى . فبت ليلة اربعاء وانا صحيح . فانتبهت وقد انحلت وسطي فلا اقدر على الحركة وبست رجلاي ودقتا (٤٨) حتى بقيت الجلد والعظم . فكنت ازحف الى وراء لان رجلي ما كانت تبغني ولا كان فيها حركة بالجملة . فقعدت في طريق زين الدين عليّ كوجك رحمه الله . فامر بحملي الى داره فحملت . واحضر الاطباء وقال: اريد ان تداووا هذا . فقالوا: نعم نداويه ان شاء الله . ثم اخذوا مسماراً فاحموه ثم كوا به رجلي فما حسنت به فقالوا لزين الدين: ما تقدر على دواء هذا ولا فيه حيلة . فوهب لي دينارين وحماراً . فبقي الحمار عندي نحواً من شهر ومات . فعدت فعدت في طريقه . فوهب لي حماراً اخر فمات . ووهب لي حماراً ثالثاً فمات . فعدت الى سوء اله . فقال لواحد من اصحابه: اخرج بهذا فارمه في الخندق . فقلت له: بالله ارمني على وركي فاني ما احس فيها بما يكون . فقال: ما

(٤٣) علي مائة . الطبري ٣: ١٧٩٩

(٤٤) ١٦ نيسان - ١٥ ايار سنة ١١٧٣

(٤٥) بائع الفئاع، شراب من الشعير يعلوه الزبد

(٤٦) كذا في الاصل . والمطلوب «محمد»

(٤٧) يظهر انه كان شيعياً

(٤٨) «ودقت» في الاصل . عامية

ارميك الا على رأيتك . فاذا رسول زين الدين رحمه الله فد جاءني فردني
اليه - وكان الذي قاله من رمي مزاحاً . فلماً احضروني بين يديه اعطاني
اربعة دنانير وحماراً

فبقيت على ما انا عليه الى ليلة رأيت فيها فيما يرى النائم كأن رجلاً
وقف علي وقال: قم . قلت: من انت؟ قال: انا علي بن ابي طالب .
فقلت وفتت . فأنبهت امرأتي وقلت: ويحك! قد ابصرت كذا وكذا!
فقلت: ها انت قائم . فمشيت على رجلي وزال ما كان بي ورجعت كما
تراني . فمضيت الى عند زين الدين الامير علي كوجك رحمه الله فقصت
عليه منامي ورأني [٥٤ و] قد زال ما رآه بي فاعطاني عشرة دنانير» .
فسبحان الشافي المعافي

جزاء الامانة

حدثني الشيخ الحافظ ابو الخطأب عمر بن محمد بن عبد الله بن معمر
العليمي بدمشق اوائل سنة اثنتين وسبعين وخمس مائة (٤٩) قال: خكي
لي رجل بغداد عن القاضي ابي بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد
الانصاري الفرضي المعروف بقاضي المارستان انه قال «لمّا حججت
بينا اطوف بالبيت اذ وجدت عقداً من اللؤلؤ فشددته فسي طرف احرامي .
فبعد ساعة سمعت انساناً ينشده في الحرم وقد جعل لمن يردّه عليه عشرين
ديناراً . فسألته علامة ما ضاع له فاخبرني . فسلمته اليه . فقال لي
«تجي معي الى منزلي لادفع اليك ما جعلته لك . فقلت «ما لي حاجة
الى ذلك . وما دفعته اليك بسبب الجعالة . وانا من الله بخير كثير .
فقال «ولم تدفعه الا لله عز وجل؟» . فقلت «نعم» . فقال «استقبل بنا الكعبة
واؤمن على دعائي» . فاستقبلنا الكعبة فقال «اللهم اغفر له وارزقني
مكافأته» . ثم ودّعني ومضى

ثم اتفق انني سافرت من مكّة الى ديار مصر . فركبت فسي البحر

متوجهاً الى المغرب . فاخذت الرومُ المركبَ وأسرتُ فيمن أسرو .
فوقعتُ في نصيب بعض القسوس . فلم ازل اخدمه الى ان دنت وفاته .
فاوصى باطلاقي

فخرجت من بلد الروم فصرت الى بعض بلاد المغرب . فجلست
اكتب على دكان خباز وكان ذلك الخباز يعامل بعض تناة تلك المدينة .
فلما كان في رأس الشهر جاء غلام ذلك الثاني (٥٠) الى الخباز فقال
«سيدي يدعوك لحاسبه» . فاستصحبني معه ومضينا اليه فحاسبه على رقاعه .
فلما رأى معرفتي في الحساب وخطبي طلبني من الخباز فغير ثيابي (٥١)
وسلم اليّ جباية ملكه وكانت له نعمة ضخمة . واخلى (٥٢) لي بيتاً
في جانب داره

فلما مضت مُديدة قال لي يا ابا بكر ما رأيك في التزويج؟ قلت
«يا سيدي انا لا اطيق نفقة نفسي فكيف اطيق النفقة على زوجة؟» قال «انا
اقوم عنك بالمهر والمسكن والكسوة وجميع ما يلزمك» . فقلت «الامر
لك» . فقال «يا ولدي ان هذه الزوجة فيها عيوب شئ» - ولم يترك شيئاً من
العيب في الخلقة من رأسها الى قدمها الا ذكره لي وانا اقول «رضيت» .
وباطني في ذلك كظاهري . فقال لي «الزوجة ابنتي» . واحضر جماعة
وعقد العقد

فلما كان بعد ايام قال لي تهباً لدخول بيتك . ثم امر لي بكسوة
فاخرة ودخلت الى دار فيها التجمل [٥٤ ق] والآلات . ثم أُجلست
في المرتبة، وأخرجت العروسُ تحت النمط . ففقتُ لتلقيها . فلماً
كشفتُ النمط رأيت صورة ما رأيت في الدنيا اجمل منها . فهربت من
الدار خارجاً . فلقيني الشيخ وسألني عن سبب هربي . فقلت «ان الزوجة
ما هي التي ذكرت لي فيها من العيوب ما ذكرت» . فقبسّم وقال «يا ولدي

(٥٠) و «الثاني» هو صاحب الاملاك الراجعة

(٥١) «ثاني» في الاصل . «تناة» طبعة دربورغ ص ١٣٢

(٥٢) «واحلا» في الاصل

هي زوجتك • وليس لي ولد سواها • وانما ذكرت لك ما ذكرتُ لثلاث
تستقل ما تراه، • فعدتُ وجليتُ عليّ
فلما كان من الغد جعلتُ أتأمل ما عليها من الحلبي والجوهر الفاخر •
فرايت من جملة ما عليها العقد الذي وجدته بمكة • فعجبت من ذلك •
واستغرقتني الفكر فيه • فلما خرجتُ من البناء استدعاني وسألني عن
حالي وقال «جدّ ع الحلالُ انفَ الغيرة، • فشكرته على ما فعله معي •
ثم استولى عليّ الفكر في العقد ووصله اليه • فقال لي «فيم تفكر، •
فقلت «في العقد الفلاني • فاني حججت في السنة الفلانية فوجدته في
الحرم او عقداً (٥٣) يشبهه، • فصاح وقال «انت الذي رددت عليّ العقد،
قلت «انا ذاك، • فقال «ابشر • فان الله قد غفر لي ولك • فاني دعوت
الله سبحانه في تلك الساعة ان يغفر لي ولك وان يرزقني مكافأتك • وقد
سلّمت اليك مالي وولدي وما اظنّ اجلي الا وقد قرب، • ثم اوصى اليّ
ومات بعد مُديدة قريبة رحمه الله»

٢ - الشفاء بطرق غريبة

شرب البيض يشفي الخراج

وحدثني الامير سيف الدولة زنكي بن قراجاء رحمه الله، قال «دعانا شاهنشاه بحلب (وهو زوج اخته) . فلما اجتمعنا عنده نقَدنا الى صاحب لنا كئنا نعاشره وتنادمه خفيف الروح طيب العشرة فاستدعيناه . فحضر . فعرضنا عليه الشرب فقال «انا محتم(١) . امرني الطيب بالحمية ايّاماً حتى تُشَقَّ هذه السلعة، . وكان في موءخر رقبتة سلعة كبيرة . فقلنا «وافقنا اليوم وتكون الحمية من غد، . ففعل وشرب معنا الى اخر النهار . فطلبنا من شاهنشاه شيئاً نأكله . فقال «ماعندي شيء(٢)، . فلاججناه حتى اجابنا السى ان يُحضر لنا بيضاً نَقليه على المنقل . فاحضر البيض . واحضرنا صحناً وكسرنا البيض وافرغنا ما فيه في الصحن . ووضعنا المنقل على المنقل ليحمى . فاشرت الى ذلك الرجل الذي في رقبتة السلعة ان يشرب البيض . فرفع الصحن على فمه ليشرب بعضه فانساب جميع ما في الصحن في حلقه فشربه . وقلنا لصاحب الدار «عوضنا عن البيض، . فقال «والله ما افعل، . فشربنا . ثم افترقنا

فانا في السحر في فراشي والباب يُقرَع . فخرجت جارية تنظر من بالباب . فاذا هو صديقنا ذلك . فقلت [٥٥ و] «احضريه، . فجاءني وانا في الفراش وقال «يامولاي، تلك السلعة التي كانت في رقبتى ذهبت . وما بقي لها اثر، . فنظرت موضعها فاذا هو كغيره من جوانب رقبتة . فقلت «اي شيء اذهبها؟، قال «الله سبحانه . ما عرفت انني استعملت شيئاً ما كنت

(١) «محتم» في الاصل

(٢) «سا» في الاصل

استعمله غير شربي لذلك (٣) اليبص النبي» . فسبحان الفادر المبلي المعافي

أكل الغربان يشفي من الفتق

وكان عندنا في شيزر اخوان اسم الاكبر مظفر والاخر مالك (٤) بن عياض من اهل كفر طاب . وهما تاجران (٥) يسافران الى بغداد وغيرها من البلاد . ومظفر آدر له (٦) قبيلة عظيمة فهو منها في تعب . فسار في قافلة على السماوة (٧) الى بغداد . فنزلت القافلة بحبي من احياء العرب ، فضيفوهم بطيور طبخوها لهم . فتعتتوا وناموا . فاتبه ابنه رفيقه الذي في جانبه وقال له «انا نائم او مستيقظ؟» قال «مستيقظ . لو كنت نائماً ما تحدثت» . قال «تلك القبيلة قد ذهبت وما بقي لها اثر» . فنظر فاذا هو قد عاد كغيره الى الصحة

فلما اصبحوا سألوا العرب الذين اضافوهم اي شيء اطعموهم . قالوا «نزلتم بنا ودوابنا عازبة . فخرجنا اخذنا فراخ غرابان طبخناها لكم» . فلما وصلوا بغداد دخلوا المارستان وحكوا للمتولي (٨) المارستان حكايته . فنقد حصل فراخ غرابان واطعمها لمن به هذا المرض . فلم تنفعه ولا اثرت فيه . فقال «تلك الفراخ التي اكلها كان زقها ابوها افاعي (٩) . فلذلك كان نفعها»

(٣) مكررة في الاصل

(٤) «ملك» في الاصل

(٥) «بحار» في الاصل

(٦) «ادرکه» مطبوعة در نبورغ ص ١٣٤

(٧) بادية سوزية

(٨) كدا في الاصل

(٩) «افاعاء» في الاصل

معجزات ابن بطلان في الطب

ومما يشاكل ذلك ان رجلاً اتى يوحنا بن بطلان (١٠) الطبيب المشهور بالمعرفة والعلم والتقدم في صنعة الطب وهو في دكانه بحلب . فشكى اليه مرضه فرآه قد استحکم به الاستسقاء وكبر بطنه ودقت رقبته وتغيرت سحته . فقال له «ياولدي، مالي والله فيك حيلة . ولا بقي الطب ينجع فيك» . فانصرف

ثم بعد مدة اجتاز به وهو في دكانه وقد زال عنه ما كان به من المرض وضمر جوفه وحسنت حاله . فدعاه ابن بطلان فقال «ما انت الذي حضرت عندي من مدة وبك الاستسقاء وقد كبر بطنك ودقت رقبتك وقلت لك «ما لي فيك حيلة؟» قال «بلى» . قال «فماذا تداويت حتى زال ما كان بك؟» قال «والله ما تداويت بشيء» . انا رجل صعلوك ما لي شيء ولا لي من يدور بي سوى والدتي عجوز ضعيفة كان لها في دُنَيْنِ خَلٍّ . فكانت كل يوم تطعمني منه بخبز» . فقال له ابن بطلان [٥٥ ق] «بقي من الخلل شيء؟» قال «نعم» . قال «امش معي ارنى (١١) الدن الذي فيه الخلل» . فمشى بين يديه الى بيته اوقفه على دن الخلل . فافرع ابن بطلان ما كان فيه من الخلل فوجد في اسفله افعيين (١٢) قد تهرأ تا (١٣) . فقال له «يابني، ما كان يقدر يداويك بخلل فيه افعيان (١٤) حتى تبرأ الا الله عز وجل»

(١٠) طبيب مسيحي في بغداد مارس الطب في حلب واطاكية . ولقد ترجم له ابن ابي اصيبعة «طبقات الاطباء» (مصر ١٨٨٢) ١: ٢٤١ - ٢٤٣ والقفطي «اخبار الحكماء» مصر (١٣٢٦ هـ) ١٩٢ - ٢٠٨

(١١) «ارسي» في الاصل

(١٢) «افعاس» في الاصل

(١٣) «بهرنا» في الاصل . قابل ادناه ص ٢١٥ ح ٩٣

(١٤) «افعاس» في الاصل

بداوي بالخل

وكان لهذا ابن بطلان اصابات عجيبة في الطب . فمن ذلك ان رجلاً اتاه، وهو في دكانه بحلب، والرجل قد انقطع كلامه فلا يكاد يفهم منه اذا تكلم . فقال له «ما صنعتك؟» قال «انا مغربل» . فقال «احضر لي نصف رطل خلّ حاذق» . فاحضره . فقال «اشربه» . فشربه وجلس لحظة، فذرعته القيء . فتقيأ طيناً كثيراً في ذلك الخل . فانفتح حلقة واستوى كلامه . فقال ابن بطلان لابنه وتلامذته «لا تداووا بهذا الدواء احداً فقتلوه . هذا كان قد علق بالمريء من غبار الغريلة تراب ما كان يخرج الا الخل» .

يميز بين البرص وحب الصبا

وكان ابن بطلان ملازماً لخدمة جدتي الاكبر ابي المتوج مقلد بن نصر بن منقذ (١٥) . فظهر في جدتي ابي الحسن علي بن مقلد بن نصر ابن منقذ، رحمه الله، وضح وهو صبي صغير . فافلق ذلك اباه واشفق عليه من البرص . فاحضر ابن بطلان وقال له «ابصر ما قد ظهر في جسم علي» . فنظرو وقال «اريد خمس مائة دينار حتى اداويه وأذهب هذا عنه» . فقال له جدتي «لو كنت داويت علياً ما كنت رضيت لك بخمس مائة دينار» . فلمأ رأى الغضب من جدتي قال «يامولاي، انا خادمك وعبدك وفي فضلك . ما قلت ما قلت الا على سبيل المزح . وهذا الذي بهلي بهق الشباب . واذا ادرك زال عنه . فلا تحمل منه همأ . ولا يقول لك سواي انا اداويه ويتسوق عليك، فهذا يزول عند بلوغه» . فكان كما قال

وكان في حلب امرأة من وجوه نساء حلب يقال لها برة لحقها برد في رأسها . فكانت تعمل عليه القطن العتيق والقلنسوة والمنخلة والسناديل

(١٥) «المقلد بن منقذ الكيناني الكفرطابي» نسي ابن الاثير «الكامل» (طبعة طرنبرغ) ٣٤٣:٩

حتى تصير كأنّ على رأسها عمامة كبيرة وهي تستغيث من البرد . فاحضرت ابن بطلان وشكت اليه مرضها فقال «حصلني في غد خمسين مثقالا من كافور رياحيّ عارية (١٦) او مكروىّ من بعض الطيبين . فهو يهود اليه باسره .» فحصلت له الكافور . ثم اصبح القى كل ما على رأسها وحشا (١٧) شعرها بذلك الكافور وردّ على رأسها ما كان عليه من الدثار وهي تستغيث من البرد . فنامت لحظة وانتبهت [٥٦ و] تشكو الحر والكرب في رأسها . فالتقى عنها شيئاً شيئاً مما كان على رأسها حتى بقي على رأسها قناع واحد . ثم نفّض شعرها من ذلك الكافور، وذهب عنها البرد وصارت تتفّنع بقناع واحد

أسامة والطيب

وقد جرى لي بشيزر ما يقارب ذلك . لحقني برد عظيم وقنعريرة من غير حمىّ وعليّ الثياب الكثيرة والفرو . ومتى تحركتُ في جلوسي ارتعدتُ وقام شعر بدني وتجمّعتُ . فاحضرت الشيخ ابا الوفاء تيمماً (١٨) الطيب فشكوت اليه ما اجد . فقال «احضروا لي بطيخة هنديّ (١٩)» . فاحضرت . فكسرها وقال لي «كلّ منها [ما] استطعت .» قلت «ياحكيم، انا في الموت من البرد، والرمّان بارد . كيف آكل هذه مع بردها؟» قال «كلّ كما اقول لك» . فاكلت . فما انتهى اكلها منها حتى عرقتُ وزال ما كنت اجد من البرد . فقال لي «الذي كان بك من غلبة الصفراء ما كان من برد حقيقيّ»

حلم يشفي المغص

وقد تقدّم ذكر شيء من غريب الاحلام . وقد اوردت في كتابي المترجم

(١٦) اي عيارة

(١٧) «وحسى» في الاصل

(١٨) «سم» في الاصل

(١٩) «طحه هندي» في الاصل

بـ «كتاب النوم والاحلام» من ذكر النوم والاحلام وما قيل فيها وفي اوقات الروايا وفي اقوال العلماء فيها، واستشهدت على اقوالهم بما ورد فيها من اشعار العرب ووسعتُ الشرح واشبعت فيه المعنى . فما حاجة الى ذكر شيء منه هاهنا . لكنني ذكرت هذا الخبر واستطرفته فاوردته

كان لجدي سيد الملك ابي الحسن علي بن مقلد بن نصر بن مقذ، رحمه الله، جارية يقال لها لؤلؤة ربّت والدي مجد الدين ابا سلامة مرشد بن علي، رحمه الله . فلماً كبر وانتقل عن دار والده انتقلت معه . فرزقي . فربّني تلك العجوز الى ان كبرت وتزوجت وانتقلت من دار والدي، رحمه الله، فانتقلت معي . ورزقت الاولاد فربّتهم . وكانت، رحمها الله، من النساء الصالحات صوّامة قوّامة . وكان يلحقها القولنج وقتاً بعد وقت . فلحقها يوماً من الايام واشتدّ بها حتى غاب ذهنها، وآيسوها . فقيت كذلك يومين وليتين . ثم افاقت فقالت «لا اله الا الله! ما اعجب ما كنت فيه! لقيت امواتنا جميعهم وحدّثوني بالعجائب وقالوا لي في جملة ما قالوا «ان هذا القولنج ما يعود يلحقك»، فعاشت بعد ذلك المدّة الطويلة لم يلحقها قولنج

وعاشت حتى قاربت المائة سنة . وكانت محافظة لصلواتها، رحمه الله . فدخلت اليها في بيت افردته لها من داري وبين يديها طست وهي تغسل منديلاً للصلوات . فقلت «ما هذا يا امّي؟» قالت «يابني، قد مسكوا هذا المنديل وايدهم ذفرة من الجبن وكلّما غسلته قد فاحت [٥٦ ق] منه رائحة الجبن» . قلت «اريني الصابونة التي تغسلين (٢٠) بها» . فاخرجتها من المنديل فاذا هي قطعة جبن، وهي تظن أنّها صابون . وكلّما عركت ذلك المنديل بالجبن قد فاحت ورائحه . قلت «يا امّي، هذه (٢١) جنة! ما هي صابونة» . فنظرتها وقالت «صدقت، يا بني، ما

(٢٠) «صلى» في الاصل

(٢١) مكررة

ظننتها الا صابوناً(٢٢)» • فتبارك الله اصدق القائلين: «وَمَنْ نُعَمِّرْهُ
نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ(٢٣)»

الاطالة تجلب الملالة، والحوادثُ والطوارئُ أكثر من ان تُحصَرَ •
والرغبة السى الله، عزّ وجلّ في السرّ والعافية فيما بقي من الحياة،
والرحمة والرضوان عند موافاة الوفاة • فانه سبحانه اكرمُ مسوءول،
واقرب ماُمول

الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وعلى آله وسلامه

(٢٢) «صابون» في الاصل

(٢٣) القرآن ٦٨:٣٦

الباب الثالث
اخبار الصيد

الباب الثالث

اخبار الصيد

[٥٧ و] توكلت على الله تعالى (١)

ولله مني جانبٌ لا أُضِيعُهُ وللَّهِ مِنِّي والبَطَالَةُ جَانِبٌ

فد ذكرتُ من احوال الحرب وما شاهدته من الوقعات والمصافآت والاطخار [ما] حضرني ذكره ولم يُسنِّه الزمان ومرُّه، فان العمر طال ولزمتُ الانفراد والاعتزال . والنسيان من ارث متقاد من ابينا آدم، عليه السلام (٢)

وانا ذاكر فصلاً فيما حضرته وشاهدته من الصيد والقنص والجوارح فمن ذلك ما حضرته بشيزر في صدر العمر . ومن ذلك ما حضرته مع ملك الامراء اتابك زنكي بن آق سنقر، رحمه الله . ومن ذلك ما حضرته بدمشق مع شهاب الدين محمود بن تاج الملوك، رحمه الله . ومن ذلك ما حضرته بمصر . ومن ذلك ما حضرته مع الملك العادل نور الدين ابي المظفر محمود بن اتابك زنكي، رحمه الله . ومن ذلك ما حضرته بديار بكر مع الامير فخر الدين قرا ارسلان (٣) بن داود بن اُرتق، رحمه الله

(١) القرآن ١٠: ٧٢ ولعلها حشو من النسخ

(٢) «السلم» في الاصل

(٣) «قرا ارسلان» في الاصل

١ - الصيد في سورية والجزيرة ومصر

والد أسامة صياداً

فأمّا ما كان يسير فكان مع الوالد، رحمه الله . وكان مشغوقاً بالصيد لهجاً به وبجميع الجوارح، وما يستكثر ما يغرمه عليه لفرجه . فانه كان نزهته . فليس له شغل سوى الحرب وجهاد الأفرنج ونسخ كتاب الله، عز وجل عند فراغه من انغال اصحابه . وهو، رحمه الله، صائم الدهر مواظب على تلاوة القرآن . فكان الصيد كما جاء في الخبر «رَوْحِ حِوَالِ التُّلُوبِ تَعِي الذِّكْرِ» . فما رأيت قط مثل صيده وترتيبه

الصيد مع زنكي

وقد شاهدت صيد ملك الامراء اتابك زنكي، رحمه الله . وكان له الجوارح الكثيرة . فرائيته ونحن نسير على الانهار فيقدم البازدارية بالزاة ترميها على طيور الماء وتدقّ الطبول كجاري العادة فتصيّد منها ما تصيد وتخطيء ما تخطيء، ووراءهم الشواهين الكوهية (١) على ايدي البازدارية . فاذا اصطادت الزاة واخطأت ارسلوا الشواهين الكوهية على الطيور وقد ابعدت دشب خيز (٢) . فتلحق وتصيد . وترسل على الحجل فتلحق الحجل في طلوعها في سفح الجبل فتصيد . فانها من سرعة الطيران على صفة عجيبة

وشاهدته يوماً ونحن في المفرقة بظاهر الموصل نسير في باذنجان (٣) وبين ايدي اتابك بازيار على يده باشق . فطار ذكر دراج فارسله عليه

(١) من «كوه» الفارسية - جبل . راجع W. T. Blanford, *The Fauna of British India* (لندن ١٨٩٥) ٣: ٤١٥

(٢) كدا في الاصل . «دست جبر» طعة دربورغ ص ١٤٠

(٣) «مادحان» في الاصل

فاخذه ونزل . فلماً صار في الارض فرط الدراج من كفه وطار . فلماً ارتفع انتقل الباز من الارض اخذه ونزل وقد نبته

ورأيت [٥٧ ق] وهو في صيد الوحش دفعات . اذا اجتمعت الحلقة واجتمع فيها الوحش لا يقدر احد يدخل الحلقة، واذا خرج من الوحش شيء رموه . وكان من ارمى الناس . فكان اذا دنا منه الغزال رماه، فراه كأنه قد عثر فيقع ويذبح . وكان اول غزال يضربه في كل صيد احضره يُنفذه لي مع غلام من غلمانه وانا معه

وشاهدته وقد اجتمعت الحلقة ونحن في ارض نصيبين على الهرماس (٤)، وقد ضربوا الخيام . فوصل الوحش الى الخيام . فخرج الغلمان بالعصي والعمد، فضربوا منها شيئاً كثيراً . واجتمع في الحلقة ذيب فونب في وسطها على غزال اخذه وبرك عليه . فقتل وهو عليه

وشاهدته يوماً ونحن بسنجان وقد جاءه فارس من اصحابه فقال «ها هنا ضبعة نائمة!» فسار ونحن معه الى واد هناك، والضبعة نائمة على صخرة في سفح الوادي . فترجل انا بك ومشي حتى وقف مقابلها وضربها بنشاب رماها الى اسفل الوادي . ونزلوا جاءوا بها الى بين يديه وهي ميتة ورأيت أيضاً بظاهر سنجان وقد جلوا ارنبا (٥) . فامر فاستدارت الخيل حولها (٦) . وامر غلاماً خلفه [يحمل] الوشق كما يُحمل الفهد . فتقدم ارسله على الارنب فدخلت بين قوائم الخيل . وما تمكّن منها . وما كنت رأيت الوشق قبل ذلك يصيد

الصيد في دمشق

ورأيت الصيد بدمشق أيام شهاب الدين محمود بن تاج الملوك للطير والغزلان وحمر الوحش واليحمير . فرأيت يوماً وقد خرجنا الى

(٤) من روافد الخابور الذي يصب في الفرات

(٥) «ارنب» في الاصل

(٦) بالتائيت في الاصل . وربما كان المقصود الجمع

فخرجنا يوماً ومع بعض البازيارية باز مفرص بيت (١٣) احمر العينين . فرائنا كراكي . فقال له الزمام «تقدم ارم (١٤) عليها الباز الاحمر العينين» . فتقدم رماه . وطارت الكراكي فلحق منها واحداً على بعد مئاً فحطه . فقلت للغلام لي على حصان جيد «ادفع الحصان اليه وانزل اغرز منقار الكراكي في الارض واكتفه (١٥) واترك رجله تحت رجلك الى ان نصلك» . فمضى وعمل ما قلت له . ووصل البازيار ذبح الكراكي واشبع الباز .

فلما دخل الزمام حدث الحافظ بما جرى وما قلته للغلام وقال «يامولانا، حديثه حديث صياد» . قال «واي شيء شغل هذا الا القتال والصيد؟»

وكان معهم صقور برسلونها على البلاشيب وهي طائفة . فاذا رأى البندوب الصقر دار وارتفع . والصقر يدور في جانب اخر حتى يرتفع على البنسوب . ثم ينقلب عليه يأخذه

وفي تلك البلاد طيور يسمونها البُج (١٦) مثل الثُحام يصيدونها ايضاً . وطيور الماء في مقطعات (١٧) النيل سهلة الصيد . والغزال عندهم قليل . بل في تلك البلاد بقر بني اسرائيل (١٨) . وهي بقر صفر قرونها مثل قرون البقر وهي اصغر من البقر تعدو عدواً عظيماً . وتخرج لهم من النيل دابة يسمونها فرس البحر مثل البقرة الصغيرة وعيناها صغيرتان (١٩)

(١٣) القرصة سقوط الريش كما يطرا لبعض الحيوان . فاذا شرعت الجوارح في القرصة فينبغي ان بعد لها بيت لا يدخله الغبار والدخان والرياح ويفرش حوله ورق الصفصاف

(١٤) «ارمي» في الاصل

(١٥) «واكتفه» في الاصل

(١٦) ذكره ياقوت ١: ٨٨٥

(١٧) المواضع التي بقطع النهر فيها

(١٨) «اسرايل» في الاصل . قابل القرآن ٢: ٦٤ - ٦٧ . والدميري «حياة

الحيوان» (مصر ١٣١٣) ١: ١٣٤

(١٩) «وعسها صغار» في الاصل . عامية

فخرجنا يوماً ومع بعض البازياريّة باز مفرّص بيت (١٣) احمر العينين . فرائنا كراكي . فقال له الزمام «تقدّم ارم (١٤) عليها الباز الاحمر العينين» . فتقدّم رماه . وطارت الكراكي فلحق منها واحداً على بعد متناً فحطّه . فقلت للّلام لي على حصان جيّد «ادفع الحصان اليه وانزل اغرز منقار الكراكي في الارض واكتفه (١٥) واترك رجله تحت رجلك الى ان نصلك» . فمضى وعمل ما قلت له . ووصل البازيار ذبح الكراكي واشبع الباز .

فلما دخل الزمام حدّث الحافظ بما جرى وما قلته للّلام وقال «يامولانا، حديثه حديث سيّاد» . قال «واي شيء شغل هذا الا القتال والصيد؟»

وكان معهم صقور برسلونها على البلاشب وهي طائفة . فاذا رأى البُدْشُوب الصقر دار وارتفع . والصقر يدور في جانب اخر حتى يرتفع على البلسوب . ثم ينقلب عليه يأخذه

وفي تلك البلاد طيور يسمونها البُج (١٦) مثل الثُحام يصيدونها ايضاً . وطيور الماء في مقطعات (١٧) النيل سهلة الصيد . والغزال عندهم قليل . بل في تلك البلاد بقر بني اسرائيل (١٨) . وهي بقر صفر قرونها مثل قرون البقر وهي اصغر من البقر تعدو عدواً عظيماً . وتخرج لهم من النيل دابة يسمونها فرس البحر مثل البقرة الصغيرة وعيناها صغيرتان (١٩)

(١٣) القرنصة سقوط الريش كما يطرا لبعض الحيوان . فاذا شرعت الجوارح في القرنصة فينبغي ان بعد لها بيت لا يدخله الغبار والدخان والرياح ويفرش حوله ورق الصفصاف

(١٤) «ارمي» في الاصل

(١٥) «واكتفه» في الاصل

(١٦) ذكره ياقوت ١: ٨٨٥

(١٧) المواضع التي بقطع النهر فيها

(١٨) «اسرايل» في الاصل . قابل القرآن ٢: ٦٤ - ٦٧ . والدميري «حياة

الحيوان» (مصر ١٣١٣) ١: ١٣٤

(١٩) «وعسها صغار» في الاصل . عامية

وهي جرداء، مثل الجاموس . لها انياب طوال في فكها الاسفل . وفي فكها الاعلى خروق لانيابها تخرج روءوسها (٢٠) من تحت عينيها . وصياحها مثل صياح الخنزير . ولا تبرح في بركة فيها ماء وتاكل الخبز والحبيش والشعير

الصيد في عكا

وكت قد مضيت مع الامير معين الدين (٢١)، رحمه الله، الى عكا الى عند ملك الافرنج فلك بن فلك . فرائنا رجلاً من الجنويّة قد وصل من بلاد الافرنج ومعه باز كبير مقرنص يصيد الكركي، ومعه كلبه صغيرة اذا ارسل البار على الكراكي عدت تحته . فاذا اخذ الكركي وحطه عضّته (٢٢) فلا يقدر على الخلاص منها . وقال لنا ذلك الجنويّ «ان الباز عندنا اذا كان ذنبه ثلاث عشرة (٢٣) ريشة اصطاد الكركي» . فعدنا (٢٤) ذب ذلك الباز فكان كذلك

فطلبه الامير معين الدين (٢٥)، رحمه الله، من الملك فاخذه من ذلك الحنويّ هو والكلبه واعطاه للامير معين الدين . فجاء [٥٨ ق] معنا . فرائته في الطريق يش الى الغزال كما يشب الى اللحم . ووصلنا به الى دمنق . فما طال عمره بها ولا صاد شيئاً ومات

في حصن كيفا

وشاهدت الصيد في حصن كيفا مع الامير فخر الدين قرا ارسلان (٢٦)

(٢٠) «روسها» في الاصل

(٢١) أنر

(٢٢) «عطه» في الاصل

(٢٣) «ثله عشر» في الاصل

(٢٤) «فعدنا» في الاصل

(٢٥) أنر . وذلك حوالي سنة ١١٤٠

(٢٦) «قرا ارسلان» في الاصل

ابن داود، رحمه الله . وهناك الحجل والزرخ (٢٧) كثير والدراج .
فأما طير الماء فهو في الشط (٢٨) وهو واسع ما يتمكن الباز منها . وأكثر
صيدهم الاراوي ومعزى الجبل يعملون لها شباكاً (٢٩) ويمدونها في
الأودية ويطردون الاراوي فتقع في تلك الشباك وهي كثيرة عندهم وقريبة
المتصيد . وكذلك الارانب

مع نور الدين

وشهدت الصيد مع الملك العادل نور الدين، رحمه الله . فحضرته
ونحن بارض حماة وقد جلوا له ارنباً (٣٠) . فضربها بنشابة كشماء (٣١)
وقامت وسبقت الى مجحر دخلته . فركضنا خلفها، ووقف عليها نور الدين .
وناولني الشريف السيد بهاء الدين، رحمه الله، رجليها قد قطعها النشابة
من فوق العرقوب وشقت جوفها قرنة النصلة فوق منها بيت الولد . وسبقت
بعد هذا وانجحرت . فأمر نور الدين بعض الوشاقية نزل وقلع خفافه
ودخل خلفها . فما وصل اليها . وقتل للذي معه بيت الاولاد وفيه
خرنقان (٣٢) «شُقَّه واطمرهم (٣٣) بالتراب» . ففعل . فتحرَّكوا
وعاشوا (٣٣)

وحضرته يوماً وقد ارسل كلبه على ثعلب ونحن على قرا حصار (٣٤)
بارض حلب، فركض خلفه وانا معه . فلحقت الكلبة اخذت ذنب الثعلب
فرجع اليها برأسه فعض خيشومها . فصارت الكلبة تعوي ونور الدين،
رحمه الله، بضحك . ثم خلاها وانجحر . فما قدرنا عليه

(٢٧) «وهو الطيهوج» على هامش المخطوطة

(٢٨) دجلة

(٢٩) «شاك» في الاصل

(٣٠) «ارب» في الاصل . وفي العاشبة «يعني راوها وهي نائمة»

(٣١) «كسما» في الاصل . ولعلها «كتساء» . قابل اعلاه ص ٤٦ ح ٤٥

(٣٢) «خرنقين» في الاصل

(٣٣) كذا في الاصل . عامة

(٣٤) باقوب ٤: ٤٤

وجاءه يوماً ونحن ركاب تحت قلعة حلب من شماليّ البلد باز . فقال
 لنجم الدين ابي طالب بن عليّ كرد (٣٥) ، رحمه الله «قل لفلان (يعني)
 ياخذ هذا الباز يلعب به» . فقال لي - فقلتُ «ما أحسن له» . فقال نور
 الدين «اتم في الصيد ما كنتم تزالون . ما تحسن تصلاح الباز؟» قلت
 «يامولاي، ما كنّا نصلحها نحن . كان لنا بازياريّة وغلماں يصلحونها
 ويتصيّدون بها قدّامنا» . وما اخذتُ الباز

(٣٥) ابن علم الدين عليّ كرد وهو صاحب حماة المذكور اعلاه

٢ - والد أسامة صياداً

شاهدت من الصيد مع هاؤلاء الاكابر شيئاً كثيراً ما اتسع لي الوقت
لذكره مفصلاً . وكانوا قادرين على ما يحاولونه من صيد وآله وغيره .
ومارأت مثل صيد والدي، رحمه الله . فما ادري كنت اراه بعين المحبة
كما قال القائل: «وكلُّ ما يفعل المحبوبُ محبوبٌ» . ما ادري اكان
نظري فيه على التحقيق . وانا اذكر شيئاً من ذلك ليحكّم فيه من يقف عليه
وذلك ان والدي، رحمه الله، كان قد فرغ زمانه [٥٩ و] لتلاوة القرآن
والصيام والصيد في نهاره، وفي الليل ينسخ كتاب الله تعالى . فكان قد
نسخ ستاً واربعين ختمة بخطه، رحمه الله، منها ختمتان بالذهب جميع
القرآن . ويركب الى الصيد يوماً ويستريح يوماً . وهو صائم الدهر
ولنا بشيزر متصيّدان: متصيّد للحجل والارانب في الجبل قبليّ البلد،
ومتصيّد لطير الماء والدراج والارانب والغزلان على النهر في
الازوار (١) من غربيّ البلد

وكان يتكلّف في تسيير قوم من اصحابه الى البلاد لشرى البزاة .
حتى انه انفذ الى القسطنطينية احضر له منها بزاة . وحملوا الغلمان
معهم من الحمام ما ظنوا انه يكفي البزاة التي معهم فتغيّر عليهم البحر
وتعوقوا حتى فرغ ما معهم من طعم البزاة . فاضطروا الى ان صاروا
يُطعمون البزاة لحم السمك . فآثر ذلك في اجنحتها (٢) صار ريشها
ينكسر وينقص . فلماً وصلوا بها الى شيزر كان فيها بزاة نادرة . وفي

(١) الزار أو الزارة أو الزارة هي الأجمة من الحلء . وقد وردت «الازوار»

مراراً فيما يلي

(٢) «اجنحتهم» في الاصل

خدمة الوالد بازيار طويل اليد في اصلاح البزاة وعلاجها يقال له غنائم .
فوصل اجنحتها واصطاد بها . وقرنص بعضها عنده

مصايد البزاة

وكان اكثر ما يستدعي البزاة ويشتريها من وادي ابن الاحمر
بالعلاء (٣) . فاحضر قوماً من اهل الجبل (٤) القريب من شيزر من
اهل بشيلا ويسمالخ وحلّة عارا وتحدث معهم في ان يعملوا في مواضعهم
مصايد للبزاة . ووهبهم وكساهم . فمضوا وعملوا بيوت الصيد . فاصطادوا
بزاة كثيرة فراخاً (٥) ومقرنصة وزرارق . فحملوها الى الوالد وقالوا
« يامولانا، نحن قد بطلنا معاشنا وزراعتنا في خدمتك . ونشهي ان تأخذ
متا كل ما نصيده وتقرّر لنا ثمناً نعرفه لا تجاذب فيه » . فقرّر ثمن
الباز الفرخ خمسة عشر ديناراً، وثنم الزرّرق الفرخ نصفها، وثنم الباز
المقرنص عشرة دنانير وثنم الزرّرق المقرنص نصفها . وانفتح
للجبلتين اخذُ دنانير بغير كلفة ولا تعب . انما يعمل له بيتاً
بحجارة (٦) وعلى قدر خلقته، ويغطيه بعيدان ويسرّها بقشّ وحشيش
ويجعل نافذة . يأخذ طير حمام يجمع رجليه على قضيب ويسندّها [!] اليه
ويخرجه من تلك النافذة . يحرك العود فيتحرك الطير ويفتح
اجنحته . فيراه الباز يتقلب عليه يأخذه . فاذا احسّ به الصياد جذب
القضيب الى النافذة ومدّ يده قبض رجلي الباز، وهو قابض للطير الحمام،
وانزله اليه وخبّط عينيه (٧) . ويصبح من الغد يصلنا به، يأخذ ثمنه ويعود
الى بيته بعد يومين

(٣) « بالعلاء » ورسا كان المقصود « بالعلاء » اي بالعلاء اسم موضع

(٤) جبل النصرية

(٥) « فراخ » في الاصل (٦) « سب حجار » في الاصل

(٧) ظهر من معال في « الانار » (رحلة ١٩٢٧) ٩: ٤٧٧ ان هذه الطرق نفسها لم
تزل مستعملة لليوم في جبال النصيرمة . والصيد بالباز والباشق لم يزل البعض
يستعملونه في سورية وكيليكيا والعراق والجزيرة العربية

فكتر الصيَّادون وكثرت البزاة حتى صارت عندنا مثل الدجاج: فيها ما يُتصَيَّد به وفيها ما يموت على الكنادر من كرتها

وكان في خدمة الوالد بازيار وصقَّارون (٨) وكلا بزبئة. وعلَّم قوماً من مماليكه اصلاح البزاة فمهروا فيها. وكان [٥٩ ق] يخرج السي الصيد ونحن اولاده معه في اربعة رجال ومعنا غلماننا وجنائبنا وسلاحنا، فانَّما كُنَّا نأمن من الفرنج لقربهم منَّا. ويخرج معنا بزاة كثيرة من العشرة وما حولها ومعهم صقَّاران وفهَّادان وكلا بزبان، مع احدهما كلاب سلوقيَّة ومع الآخر كلاب رغارية. فيوم حروجه (٩) الى الجبل نصيد الحجل وهو بعيد من الجبل بقول لنا اذا خرج الى طريق الجبل «تفرَّقوا. كلَّ مَنْ عليه فراءة يقرأها». ونحن اولاده حفَّاظ القرآن. فنفترق نقرأ حتى يصير الى مكان الصيد يأمر من يستدعينا فيسألنا كم قرا كلُّ واحد منَّا. فاذا اخبرناه يقول «انا قرأت مائة آية» او نحوها. وكان، رحمه الله، يقرأ القرآن كما انزل

فاذا صرنا في المتصَيِّد امر الغلمان فنفترق بعضهم مع البازيارية. فكيف طارت الحجل كان في ذلك الجانب باز يرسل عليه (١٠). ومعهم من مماليكه واصحابه اربعون فارساً اخبر الناس بالصيد. فلا يكاد يطير طير ولا بشور ارنب ولا غزال الا اصطدناه. وننتهي في الجبل نصيد الى العصر ثم نعود وقد اشبعنا البزاة وطرخناها على القلوت (١١) في الجبل شربت واستحممت. ونعود الى البلد بعد عتمة فاذا ركبنا الى طير الماء والدراج كان ذلك يوم فرجتنا. تقع في

(٨) «صمارس» في الاصل

(٩) «يوم لحروجه» طبعة درنبرغ ص ١٤٦. «مؤم» [انخروحه] في *Ousūma*

(١٠) بالدكبير مع انه سبق فعال «طارت»

(١١) ح فُلَّت -- النعرة في الارض سسمع فيها الماء.

الصيد من باب المدينة ثم نصل الى الازوار فيقف الفهود والصقور برآ من الزور وندخل اليه بالبزاة . فان طارت درآجة اخذها الباز . وان قفزت ارنب ارسلنا عليها بعض البزاة . فان اخذها والا خرجت الى الفهود ارسلوا (١٢) عليها . وان قفز غزال خرج الى الفهود ارسلوا عليه (١٣) . فان اخذ والا ارسلوا عليه الصقور فما يكاد يفلت منّا صيد الا بفسحة الاجل

وفي الازوار خنازير كثيرة تخرج فتركض عليها وتقتلها فيكون فرحنا بقتلها اكثر من فرحة الصيد (١٤)

وكان له ترتيب في الصيد كآنه ترتيب الحرب والامر المهم . لا يشتغل احد بحدث مع صاحبه ولا لهم هم الا التبخر في الارض لنظر الارانب او الطير في اوكارها

الارمن يرسلون بزاة

وكان قد صار بينه وبين بني روبال - تروس (١٥) ولاون الارمن من اصحاب المصيبة وانطرطوس واذنة والدروب - مصادقة ومكاتبة اكبر سبها رغبته في البزاة . فكانوا ينفذون له كل سنة عدة من عشرة بزاة او ما حولها على ايدي رجالة ارمن بازياربة (١٦) وينفذون الكلاب الزغارية . وينفذ لهم هو الحصن والطيب ومن كسوة مصر . فكان يجيئنا (١٧) من عندهم بزاة ملاح نادرة فاجتمع [٦٠] و عندنا في بعض السنين بزاة قد جاءت من الدروب فيها باز فرخ مثل العقاب وبزاة دونه

(١٢) كذا في الاصل

(١٣) كذا في الاصل

(١٤) «فرحنا بقتلها اكبر من فرحه الصيد» طعة درنورغ ص ١٤٧ . والخنزير

معسر نحس . الفران ٤٠٥ و ١٤٦٠٦

(١٥) «روبال» تروس» في الاصل

(١٦) «بازبا» في الاصل

(١٧) «بعضا» في الاصل

وجاءنا من الجبل عدّة بزاة فيها باز كأنه مقر عريض فرخ ما يلحق بتلك البزاة. والبازيار غنّام يقول «ما في هذه البزاة كلّها مثل هذا الباز اليحشور» (١٨). ما يترك شيئاً الا يصيده. ونحن لا نصدّقه. ثم أصلح ذلك الباز فكان كما ظنّ فيه من أفره البزاة واطيرها واططرها. وقرنص عندنا وخرج من القرناص اجود مما كان. وعمر ذلك الباز وفرضى (١٩) عندنا ثلاث عشرة سنة. فكان قد صار كأنه من اهل البيت يصطاد للخدمة لا لما جرت به عادة الجوارح ان يصيدوا لنفوسهم

وكان مقامه عند الوالد، رحمه الله، لا يتركه عند البازيار، لان البازيار انما يحمل الباز في الليل ويجوّعه حتى يصطاد به. وذلك الباز كان يكفي من نفسه ويعمل ما يراه منه. فكنا نخرج الى ميد الحجل ومعنا عدّة بزاة فيدفعه الوالد الى بعض البازيارية ويقول «اعتزل به ولا تُرسلنه بالحملنة وتشرّفي الجبل». فكلما خلوا (٢٠) ابصروا حجلة لابتة من شجرة قد اعلموه بها يقول «هاتوا اليحشور». ساعة يقيم يده له قد طار من على يد البازيار وقع على يده بغير دعور. ثم يستشرف برأسه ورقبته فيقف على الحجلة النائمة ويرميها بقضيب في يده فتطير. ويرسل عليها اليحشور فيأخذها في عشرة اذرع. وينزل اليه البازيار يذبح (٢١) في رجليه ويرفعه. فيقول «اعتزل به». فاذا رأوا حجلة اخرى لابتة عمل بها ذلك، حتى يصيد خمس ست حجلات. كذا يأخذها في عشرة اذرع. ثم يقول للبازيار «اشبعه». فيقول له «يامولاي، ما تدعه تصيد به؟» يقول «يابني، معنا عشرة بزاة تصيد بها وهذا قد اصاد (٢٢). هذه الاطلاق تقطع عمره». فيشبعه ويعتزل به البازيار

(١٨) «الحشور» في الاصل هنا وفيما يلي

(١٩) «ورنص» في الاصل

(٢٠) «فكما حلوا» في الاصل

(٢١) «مدح» في الاصل

(٢٢) كذا في الاصل. وقد وردت فيما يلي

فإذا انهينا في الصيد واستبعا البزاة وحططناها (٢٣) على الماء شربت واستحمت، واليحنور على يد البازبار . فإذا استقبلنا البلد راجعين ونحن في الجبل قال «هات اليحنور» حمله على يده وسار . ان طارت حجلة من بين يديه ارسل عليها صاها حتى بصيد عترة اطلاق او اكثر على قدر ما يطير له من الحجل، وهو شعاع لا يحط منسره في مذبح حجلة ولا يذوق دمها . فاذا دخلنا الى الدار قال «هاتوا طاسة ماء» . فجاؤا بطاسة فيها ماء قدمها اليه وهو على يده، رحمه الله، فيشرب [٦٠ ق] منها . وان كان يريد يستحم خضخض منسره في الماء، فيدري انه يريد يستحم، فيأمر باحضار جفنة كبيرة فيها ماء ويقدمه اليها . فيطير بنزل في وسطها ويدف في الماء حتى يكفي من السباحة ثم يطلع . فيحطه على قفاز حسب، قد غسل له، كبير . ويقرب منه منقل نار . فيتمسق ويتدهن حتى ينشف من الماء . ثم يضع له فرواً مطويّاً (٢٤) فينزل اليه ينام عليه . فلا يزال بيننا على ذلك الفرو نائماً حتى يتهور الليل ويريد الوالد يدخل الى دار الحرم فيقول لاحدنا «احملنه» . فيحمل كما هو نائم على الفرو حتى يحط الى جانب فراش الوالد (٢٥)، رحمه الله [الله]

وكان من عجائب هذا الباز، وعجائبه كثيرة وانا اذكر منها ما يحضرني ذكره فان الامد قد طال وانستني السنون كثيراً من احواله، ان كان في دار الوالد حمام وطيور ماء خضر واناثها وبيضانيات (٢٦) من التي تكون بين البقر لتلقط الذبان من الدار . وكان يدخل الوالد وهذا الباز على يده يجلس على دكة في الدار والباز على قفاز الى جانبه فلا يطلب شيئاً من تلك الطيور ولا ينب اليها، ولا كأنها مما جرت عادته بصيدها وكانت المياه تكثر في ظاهر شيزر في الشتاء فيصير برّاً من سورها نقاع

(٢٣) «وحططاها» في الاصل

(٢٤) «مرو مطوي» في الاصل

(٢٥) «الولد» في الاصل

(٢٦) «بعضاب» في الاصل . وهي غمر واضحة

كبتار ماء (٢٧) وفيها الطيور . فيأمر الوالد البازيار وغلاماً معه يخرجوا الى قريب من تلك الطيور . ويأخذ اليحشور (٢٨) على يده ويقف به على الحصن يريه (٢٩) الطيور وهو شرقي البلد والطيور غربيها . فاذا ابصرها ارسله فينزل يشق (٣٠) على البلد حتى يخرج منه ويتهي الى الطيور . فيدق له البازيار الطبل فتطير الطيور فيصيد منها وبينها وبين موضع أرسل منه مسافة بعيدة

وكنا نخرج الى صيد طير الماء والدراج ونرجع بعد غنمة نسمع صوت طيور في خلجان كبار بالقرب من البلد . فيقول الوالد «هات اليحشور» . فيأخذه وهو شعبان ويتقدم الى الطيور يدق الطبل حتى تطير الطيور ثم يرميه عليها . فان اصاد (٣١) وقع بيننا نزل اليه البازيار ذبح فسي رجليه ورفعته . وان لم يصد (٣٢) وقع على بعض اكفاف النهر فما نراه ولا ندري اين وقع . فتخليه وندخل الى البلد . ويصبح البازيار من سحر يخرج اليه يأخذه ويطلع به الى الحصن الى عند الوالد، رحمه الله، ويقول له «يامولاي، قد مقل هذا الصقيع قفاه طول الليل . وقد اصبح يقط البولاذ (٣٣)» . فاركب ابصر ايش يحمل اليوم!

وما كان يفوت هذا الباز شيء من الصيد من السمانة الى الوز السمند (٣٤) والارنب . وكان البازيار يشتهي ان يصيد به الكراكي [٦١ و] والحرجل ما يتركه الوالد ويقول «الحرجل والكراكي»

(٢٧) «كيازما» في الاصل

(٢٨) «الحسور» هنا وفيما يلي

(٢٩) «بور» في الاصل . عامية

(٣٠) «سف» في الاصل . شف طار على وجه الارض

(٣١) «اماد» هنا واعلاه ص ٢٠٢ س ٢١ ما يدل على ان اللفظة بهذه الصيغة

كانت دارجة يومئذ

(٣٢) «صيد» في الاصل

(٣٣) كذا في الاصل

(٣٤) لم اعثر على وصف لهذا الطائر في كتب الحيوان ولا في معجم اللغة

تصيدها (٣٥) بالصفور» . وكان هذا الباز قد فُصِّرَ عما نعهد من صيده سنة من السنين، حتى انه كان اذا أُرسل واخطأ لا يجيء الى الدَعْوِ وهو عاجز ولا يستحم ولا ندرى ما به . ثم صلح عمًّا كان من تقصيره وصاد واستحمَّ يوماً . فرفعه البازيار من الماء وقد تفرَّق ريشه بالبلل عن جانبه، واذا في جانبه سلعة في فِدِّ اللوزة . فاحضره البازيار بين يدي الوالد وقال «يامولاي، هذه التي فُصِّرَت بالباز وكادت تُهلكه» . ثم ملك الباز وعصرها خرجت مثل اللوزة يابسة . وختم موضعها . وعاد اليحشور (٣٦) الى الطيور بالسيف والنطع

وكان شهاب الدين محسود بن قراجا صاحب حماة في ذلك الوقت يُنفذ كل سنة يطلب الباز اليحشور (٣٧) بمصي اليه مع البازبار يقيم عنده عشرين يوماً يتصيد به ويأخذه البازيار ويعود . فمات الباز بشيزر واتَّفَق انني كنت قد زرت شهاب الدين الى حماة . واصبحت يوماً وانا بحماة وقد حضر الفُرَّاء والمكبرون وخلق عظيم من اهل البلد . فسألت «من قدمات؟» قالوا «بنت لشهاب الدين» . فاردت الخروج خلف الجنازة . فمأحكني شهاب الدين ومنعني . وخرجوا قبروا الميت في تلِّ صقرون (٣٨) . فلمَّا عادوا قال لسي شهاب الدين «تدري من هو الميت؟» قلت «قالوا: ولد لك» . قال «لا، والله، بل هو الباز اليحشور . سمعت انه قدمات انفذت اخذته وعملت له تابوتاً (٣٩) وجنازة وقبرته . فانه كان يستحق ذلك»

فهدة عجيبة

وكان للوالد، رحمه الله، فهدة في الفهود مثل اليحشور في البزاة،

(٣٥) «صدعا» في الاصل

(٣٦) «الحشور» في الاصل

(٣٧) «الحشور» في الاصل هنا وفسا بلي

(٣٨) «صقرون» في الاصل

(٣٩) «تابوت» في الاصل

اصطادوها وهي وحشيّة، من أكبر ما يكون من الفهود . فآخذها الفهّاد
 وفرمها واستحبابها(٤٠) . وكانت تركب ولا تريد الصيد . وكانت تُصرع
 كما يُصرع المصاب بعفله وتزبد . ويقدم إليها الخنثف فلا تطلبه ولا
 تريده حتى إذا شمّته عصّته . وبقيت كذلك مدّة طويلة نحواً(٤١) من
 سنة . فخرجنا يوماً إلى الأزوار . فدخلت الخيل إلى الزور وأنا واقف
 في فم الزور، والفهّاد بهذه الفهدة قريب منّي . فقام من الزور غزال
 وخرج إليّ . فدفعت حصاناً كان تحتي من اجود الخيل أريد إردّه إلى
 الفهدة . وعاجله الحصان ندّسه بصدرة، رماه . فوثبت الفهدة صادته .
 فكأنّها كانت نائمة انتهت وقالت [٦١ ق] «خذوا من الصيد ما اردتم!»
 فكانت مهمما قام لها من الغزلان اخذته، ولا يستطيع الفهّاد ضبطها فتجذبه
 ترميه . ولا تقف كما تقف الفهود في طردها بل وقت أن يقول «قد وقفت»
 تجدد عدواً أو تأخذ الغزال

وصيدنا بشيزر الغزال الأدمي، وهو غزال كبير . فكأنّا إذا خرجنا
 بها إلى العلاة والأرض الشرقية، وفيها الغزال الأبيض، لا تترك الفهّاد
 يركض بها حتى يمكنها الا تجذبه ترميه، وتغير على الغزلان كأنها
 كانت ترى انهم خشوف لصغر الغزال الأبيض
 وكانت هذه الفهدة دون باقي الفهود في دار الوالد، رحمه الله . وله
 جارية تخدمها . ولها في جانب الدار قطيفة مطوية تحتها حشيش يابس .
 وفي الحائط سكة مضروبة يجيء الفهّاد بها من الصيد إلى باب الدار
 يحطّها وفيها المرتفه(٤٢) . وتدخل إلى الدار إلى ذلك المكان المفروش
 لها فتنام فيه . وتجيء الجارية تربطها إلى السكة المضروبة في الحائط .
 وفي الدار والله، نحو من عشرين غزال ادمي وابيض وفحول ومعزى وخشوف

(٤٠) «واسحابها» في الاصل . وقد وردت ادناه ص ٢٠٩ س ١٥

(٤١) «بحو» في الاصل

(٤٢) غير واضحة في الاصل ولعلها «المترّمة» «المرققة»

قد توالدت في الدار فلا تطلبهم ولا ترؤعهم (٤٣) . ولا تزول عن موضعها .
وتدخل الى الدار وهي مسيبة فلا تلتفت الى الغزلان
وشاهدت الجارية التي كانت تدور بها وهي تسرح جسمها بالمشط فلا
تمتنع ولا تنفر . ورأيتها يوماً، وقد بالت على تلك القطيفة المفروشة
لها، وهي تلتلها وتضربها حيث بالت على القطيفة ولا تهز عليها ولا تضرب
بها (٤٤)

ورأيتها يوماً وقد أثار (٤٥) من بين يدي الفهاد ارنين، وقد
لحقت الواحدة واخذتها وعضتها بفمها وتبعت الاخرى فلحقتها وجعلت
تضربها بيدها وقمها مشغول بالارنب الاولة (٤٦) . فوقفت عنها بعد ان
ضربت يديها عدة ضربات ومضت الارنب

وحضر معنا في الصيد الشيخ العالم ابو عبد الله الطلبي النحوي،
رحمه الله . وكان في النحو سيويه زمانه . قرأت عليه النحو نحواً من
عشر سنين وكان متولتي دار العلم بطرابلس (٤٧) . فلمأ اخذ الافرنج
طرابلس (٤٨) . نفذ الوالد والعم، رحمهما الله، استخلصا الشيخ ابا عبد
الله هذا ويانسس الناسخ . وكان قريب الطبقة في الخط من طريقة ابن
البواب (٤٩) . اقام عندنا بشيزر مدة ونسخ للوالد، رحمه الله، ختمتين .
[٦٢] ثم انتقل الى مصر ومات بها

وشاهدت من الشيخ ابي عبد الله عجباً . دخلت عليه يوماً لأقرأ عليه

(٤٣) عامية فصيحتها «غزالاً ادنيا . . . تطلبها ولا ترؤعها»

(٤٤) ولعلها «تضربها»

(٤٥) «بارب» في الاصل . قابل «تور» ادناه ص ٢١٥ س ٧

(٤٦) كذا في الاصل هنا واعلاه ص ٨٨

(٤٧) ابن الاثير في *Recueil* ٢٧٤:١ وابن خلكان ٨:٣

(٤٨) ١٢ تموز سنة ١١٠٩

(٤٩) ابو الحسن علي بن هلال الذي اشتهر بحسن خطه . توفيت في بغداد سنة

فوجدت بين يديه كتب النحو: «كتاب سيويه (٥٠)»، و «كتاب الخصائص» لابن جنّي (٥١)، و «كتاب الايضاح» لابي علي الفارسي (٥٢)، و «كتاب اللّمع» و «كتاب الجُمّل (٥٣)». فقلت «يا شيخ ابا عبد الله، قرأت هذه الكتب كلها؟» قال «قرأتها؟ لا والله الا كتبها في اللوح وحفظتها. تريد تدري: خذ جزءاً وافتحه وقرأ من اول الصفحة سطرًا واحدًا. فاخذتُ جزءاً وفتحته وقرأت منه سطرًا. فقرأُ الصفحة باجمعها حفظًا حتى اتى على تلك الاجزاء جميعها. فقرأت منه امرًا عظيمًا ما هو في طاقة البشر

هذه جملة اعتراضية لا موضع لها من سياقة الحديث وقد حضر معنا صيد هذه الفهدة وهو راكب في رجليه اfdام (٥٤). وفي الارض شوك كثير وقد ضرب رجليه أدامهما. وهو مشغول ينظر (٥٥) صيد الفهدة ولا يحس بتألم رجليه - مشغول بما يراه من تسللها الى الغزلان وعدوها وحسن صيدها

باز احمر العينين

وكان الوالد، رحمه الله، محظوظاً (٥٦) من الجوارح النادرة الفارحة. وذلك انهما كانت عنده كثيرة فيندر منها الجارح الفاره. وكان عنده في بعض السنين باز مقرنص بيت احمر العينين، فكان من افره البزاة. فوصل كتاب عمّي تاج الامراء ابي المتوج مقلد، رحمه الله، من مصر (وكان مقامه بها في خدمة الامر باحكام الله) يقول «سمعتُ في مجلس الأفضل

(٥٠) توفي سنة ٧٩٦م

(٥١) ابو الفتح عثمان. توفي سنة ١٠٠٢

(٥٢) ابو علي الحسن الفسوي توفي سنة ٩٨٧

(٥٣) «كتاب اللّمع» لابن جنّي. و «كتاب الجُمّل» اما لابي قاسم عبد الرحمن

الزجاجي المتوفى سنة ٩٥٠ او لعبد القاهر البرجاني المتوفى سنة ١٠٨١

(٥٤) خرق

(٥٥) ولعلها «بنظر»

(٥٦) «محطوط» في الاصل

ذكر الباز الاحمر العينين . والأفضل يَسْتَخْبِرُ المحدث عنه وعن صيده» .
 فنَفَذَهُ الوالد، رحمه الله، مع بازياره الى الأفضل . فلماً حضر بين يديه
 قال له «هذا هو الباز الاحمر العينين؟» قال «نعم يامولاي» قال «اي شيء»
 يصيد؟» قال «يصيد السمانة والحرجلة وما بينهما من الصيد» . فبقي هذا
 الباز بمصر مدة ثم افلت وراح وبقي سنة في البرية في شجر الجميز
 وقرنص في البرية . ثم عادوا اصطادوه . فجاءنا كتاب عمي، رحمه
 الله، يقول «الباز الاحمر العينين ضاع وقرنص في الجميز وعادوا اصطادوه
 وتصيدوا به . وقد أرسل على الطير منه مصيصة عظيمة»

باز افرنجي

وكنّا يوماً عند الوالد، رحمه الله، وقد جاء انسان من فلاحى معرفة
 النعمان معه باز مقرنص مكسر ريش الاجنحة والذنب في قدر العقاب
 الكبير، ما رأيت قط بازاً مثله [٦٢ ق] وقال «يامولاي، كنت أصلي للدائم
 بالنادوف فضرب هذا الباز على دكمة في النادوف فأخذته وحملته
 اليك» . فأخذه واحسن الى الذي اهداه . ووصل البازيار ريشه وحمله
 واستجابه (٥٧) . واذا الباز صائد مطابق مقرنص بيت قد افلت من الافرنج
 وقرنص في جبل المعرفة . فكان من افراء الجوارح واشطرها

فرخ شاهين

وشاهدت يوماً وقد خرجنا معه، رحمه الله، الى الصيد وقد استقبلنا على
 بعد رجلٍ معه شيء ما تحقّقه . فلماً دنا منا واذا معه شاهين فرخ من
 اكبر السواحين واحسنها وقد خمش يديه وهو حامله . فدلاه ومسك
 سابقه (٥٨) . ورجليه - والشاهين مدلى مشور الاجنحة . فلماً وصلنا
 قال «يامولاي، اصطدت هذا الطير وقد جئت به اليك» . فسلمه الوالد
 الى البازيار فاصلحه ووصل ما انكسر من ريشه . ولم يخرج مخبره مثل

(٥٧) «واسعاه» في الاصل . وقد وردت اعلاه ص ٢٠٦ س ٢

(٥٨) سباق البازي قيداه

منظره. كان قد اتلفه الصيَّاد بما عمل به. والشاهين هو الميزان. ادنى شيء يعيبه ويُفسده. وكان هذا البازيار صانعاً مجوّداً في اصلاح الشواهين كئناً نخرج من باب المدينة السى الصيد ومعنا جميع آلة الصيد، حتى الشباك والفؤوس (٥٩) والمجارف والكلايب لما ينجر من الصيد، ومعنا الجوارح والبزاة والصقور والشواهين والفهود والكلاب. فاذا خرجنا من المدينة ادار شاهينين فلايز الان يدوران على الموكب. فاذا خرج احدهما (٦٠) عن القصد تنحنح البازيار واثار بيده الى النحو الذي يريد فيرجع والله الشاهين من وقته الى ذلك النحو. ورأيتُه وقد ادار شاهيناً على قطعة من الصلاصل نازلة في مرج. فلماً اخذ الشاهينُ طبقته دقّ لها الطبل فطارت وانقلب عليها الشاهين ضرب رأس مصلصلة قطعها، واخذها ونزل. فدرنا والله على ذلك الرأس ما وجدناه. واثره قد وقع على بعد في الماء لاننا كئناً بالقرب من النهر

وقال له يوماً غلام يقال له احمد بن مجير (٦١) لم يكن ممَّن يركب معه «يامولاي، اشتهيتُ ابصر الصيد». قال «قدّموا لاحمد فرساً يركبه ريخرج معنا». فخرجنا السى صيد الدراج. فطار ذكرٌ وتثر (٦٢) كما جرت العادة، وعلى يد الوالد، رحمه الله، اليحشور. فارسله عليه. فطار مع الارض الارض والحشيش يضرب صدره والدراج قد ارتفع [٦٣] وارتفاعاً كبيراً. فقال له احمد «يامولاي، وحياتك كان يتلاهي (٦٣) به حتى اخذه»

(٥٩) «والعوس» في الاصل. وقد وردت اعلاه من ٣٥ س ٧ بالصورة نفسها مما يدل انها كانت تلفظ «الفوس» في العامية

(٦٠) «برال يدور على الموكب فاذا خرج احدهما» في الاصل

(٦١) «محر» في الاصل

(٦٢) غير واضحة في الاصل

(٦٣) «نلاها» في الاصل

كلاب صيد

وكان يجيئه (٦٤) من بلاد الروم الزغاريّة: كلاب جياذ ذكور واناث •
فكانت تتوالد عندنا وصيدها الطير طبع فيها
شاهدت منها جرّوة صغيرة قد خرجت خلف الكلاب التي (٦٥) مع
الكلابزي • فارسل بازاً على درّاجة فبنجت في غلفاء (٦٦) في جرف
النهر • فارسلوا الكلاب على الغلفاء لتطير الدراجة، وتلك الجرّوة
واقفة على الجرف • فلما طارت الدراجة وثبت الجرّوة خلفها من على
ذلك الجرف فوقعت في وسط النهر، وما تعرف الصيد ولا صادت قط
ورأيت كلباً من هذه الزغاريّة وقد بنجت حجلة في الجبل في
بنج (٦٧) صعب وقد دخل اليها الكلب وابطأ • ثم سمعنا حشكة في
داخل البنج (٦٨) • فقال الوالد، رحمه الله «في البنج (٦٩) وحش وقد
قتل الكلب» • ثم بعد ساعة خرج الكلب يجرّ رجل ابن آوى، وكان في
البنج (٧٠) قد قتله وجرّه اخرجته الينا
وكان الوالد، رحمه الله، سار الى اصبهان (٧١) التي دركاه (٧٢)
السلطان ملك شاه، رحمه الله • فحكى لي قال «لما قضيت اشغالي (٧٣)

(٦٤) «بحه» في الاصل

(٦٥) «الدى» في الاصل

(٦٦) «الغلفاء» الارض لم تزرع ففيها كل صغير وكبير من الكلاب • «بنجت»

أو «بنجت» اختبأت او صاحت في ححرها • وقد وردت تكراراً ادناه ومرّة اعلاه
ص ٦٠ س ١٨

(٦٧) «سج» في الاصل

(٦٨) «السج» في الاصل

(٦٩) «البنج» في الاصل

(٧٠) «البنج» في الاصل

(٧١) حوالى سنة ١٠٨٥

(٧٢) بلاط • وقد وردت اعلاه ص ٤٩ ح ٥٨

(٧٣) كانت مهمته على ما يظهر استنجاد ملك شاه على سليمان بن قُطلميش
السلجوقي الذي كان قد استولى على معرّة النعمان وكفرطاب واخذ يتهدّد شيزر

من عند السلطان وارتدت السفر اردت أستصحب معي جارحاً أتفرّج به في طريقي . فجاءوني بيزاة ومعها ابن عرس معلّم يُخرِج الطيور من البنج (٧٤) . فاخذت صقوراً تصيد الارانب والحبارى . واستصعبت مداراة البزاة في تلك الطريق البعيدة الشاقة»

وكان عنده، رحمه الله، من الكلاب السلوقية كلاب جياد . أرسل يوماً الصقور على الغزلان والارض غبّ مطر ثقيلةً بالوحل، وانا معه صغير على برذون لي، وحيلهم قد وقفت من الركض في الطين وبرذوني ليخفتي عليه مستظهر، وقد صرعت الصقور والكلاب الغزال . فقال لي «يا أسامة الحقّ الغزال وانزل امسك رجله الى ان نجى» . ففعلت . ووصل هو، رحمه الله، فذبح الغزال ومعه كلبه صفراء جواد، يسمونها الحموية صرعت الغزال - وهي واقفة . واذا قطعة الغزلان التي اصطدنا منها قد عادت عابرة علينا . فاخذ، رحمه الله، قلادة الحموية وخرج يهرول بها حتى رأت الغزلان . وارسلها عليها اصطادت غزالا اخر

وكان، رحمه الله، مع ثقل جسمه وكبر سنّه وأنّه لا يزال صائماً يركض نهاره كلبه . وكان لا يتصيد الا على حصان او اكديش جواد، ونحن معه اربعة اولاده نتعب ونكلّ وهو لا يضعف (٧٥) [٦٣ ق] ولا يكلّ ولا يتعب . ولا يقدر وشاقسيّ ولا صاحب جنب ولا حامل سلاح يقصر في الركض على الصيد

وكان لي غلام اسمه يوسف معه رمحي ودرقتي ويجنب حصاني فلا يركض على الصيد ولا يتبعه، فيحرد الوالد عليه . فعل ذلك مرّة بعد مرّة . فقال له الغلام «يامولاي، ما ينفعك احد من الحاضرين، والعياذ بالله، مثل ابنك هذا . فدعني اكون خلفه بحصانه وسلاحه . ان احتجته وجدته . واحسب اني ما انا معكم» . فما عاد يلومه ولا ينكر عليه كونه ما يركض على الصيد

(٧٤) «البنج» في الاصل

(٧٥) هذه الكلمة والثلاث قبلها تكاد تكون مسحوة في الاصل

والد أسامة يتوقف عن الصيد ليراقب الأفرنج

ونزل علينا صاحب انطاكية (٧٦) وقاتلنا ورحل عن غير صلح .
فركب الوالد، رحمه الله، الى الصيد واخرهم ما اجد عن البلد . فتبعهم
خيلنا . فعادوا عليهم والوالد قد اجد عن البلد . ووصل الأفرنج الى
البلد والوالد قد طلع على تل سكين (٧٧) يراهم وهم بينه وبين البلد .
وما زال واقفاً على التل الى ان انصرفوا عن البلد وعاد الى الصيد

الفرق بين الخيول العربية والبراذين

وكان رحمه الله يطرد اليحامير في ارض حصن الجسر (٧٨) . فصرع
منها يوماً خمسة او ستة على فرس له دهماء تسمى فرس خُرْجِي (٧٩)
باسم صاحبها الذي باعها (٨٠) . كان اشتراها الوالد منه بثلاثمائة وعشرين
ديناراً . فطرد اخر اليحامير . فوقعت يدها في حفرة مما يُحْفَرُ
للخنازير فانقلبت عليه كسرت ترقوته (٨١) . ثم قامت ركضت قدر
عشرين ذراعاً وهو مطروح . ثم عادت وقفت عند رأسه تنحب وتسهل حتى
قام وجاءه الغلمان اركبوه . فهذا فعل الخيل العربية

وخرجتُ معه، رحمه الله، الى نحو الجبل لصيد الحجل . فنزل غلام
له اسم لولوء، رحمه الله، لبعض شغله، ونحن قريب من البلد من بكرة
وتحته برذون . فرأى ظلّ تركّنه (٨٢) اجفل منه فرماه وانفلت .
فركض والله عليه انا وبعض الغلمان من بكرة الى بعد العصر الى ان

(٧٦) تنكرد عام ١١١٠

(٧٧) «سكس» في الاصل . وموقعه الى الجنوب العربي من شيزر . Dussaud

ص ٢٠٩

(٧٨) علي العاصمي في شيزر

(٧٩) «خرجي» في الاصل

(٨٠) «اباعها» في الاصل

(٨١) «رفاهه» في الاصل . قابل اعلاه ص ١١٣ ح ٧

(٨٢) فارسية معناها الكنانة والجببة . «تركاش» في Dozy

الجأناه (٨٣) السى جُشار (٨٤) فى بعض الأزوار . وقام الجُشاريّه مدّوا له الجبل وقبضوه كما يُقبَضُ الوحش . واخذته وعدت والوالد، رحمه الله، واقف فى ظاهر البلد ينتظرني ما يصيد ولا ينزل فى داره . فالبراذين بالوحش اشبهُ ممّا هي بالخيل

شيخ يعترض على صيد الطيور

حكى لى، رحمه الله قال «كنت اخرج السى الصيد ويخرج معى الرئيس ابو تراب حيدرة (٨٥) بن قطر متر (٨٦)، رحمه الله . (وكان شيخه الذي حفظ عليه القرآن وقرأ عليه العربية) . فكنا اذا وصلنا موضع الصيد ينزل عن الفرس ويجلس على صخرة يقرأ القرآن ونحن نتصيد حوله . فاذا فرغنا من الصيد ركب وسار معنا . فقال يوماً «يا سيدنا انا جالس على صخرة واذا [٦٤ و] حجلة قد جاءت وهي تمهكف وهي معية الى تلك الصخرة التي انا عليها . دخلت واذا الباز قد اتى خلفها وهو بعيد منها . فنزل مقابلى ولؤلؤ يصيح: عينك عينك (٨٧) يا سيدنا . وجاء وهو يركض وانا اقول: اللهم استر عليها . فقال: يا سيدنا اين الحجلة؟ قلت: ما رأيت شيئاً، ما جاءت الى هاهنا . وترجل عن فرسه ودار حول الصخرة وطلّح (٨٨) تحتها فرآها . فقال: اقول الحجلة هاهنا تقول لا! واخذها يا سيدنا كسر رجلها ورماها السى الباز، وقلبي ينفطع عليها،»

صيد الارانب

وكان هذا لولوء، رحمه الله، اخبر الناس بالصيد . شاهدته يوماً

(٨٣) «الحناء» فى الاصل

(٨٤) الماشية ترعى ليلاً ولا ترجع الى مزارها

(٨٥) «الرس ابو تراب حيدره» فى الاصل

(٨٦) «قطرته» طبعة درنبورخ ص ١٥٨

(٨٧) «عينك عينك» فى الاصل

(٨٨) عامية بمعنى فُشّ، نظر

وكانت جاءتنا من البرية ارانب جالية . فكنتا نخرج نصطاد منها شيئاً كثيراً . وكانت ارانب صفاراً حمر (٨٩) فناهذته يوماً وقد جلئى عشرة ارانب طعن التسعة بالباله (٩٠) اخذها . ثم جلئى ارنباً عشرة . فقال له الوالد، رحمه الله «دعها . تقيموها للكلاب تنفرج عليها» . فاقاموها وارسلوا عليها الكلاب . فسبقت الارنب وسلمت . فقال لوءلوه «يامولاي، لو كنت تركتني طعتها واخذتها»

وشاهدت يوماً ارنباً قد ثورناها وارسلنا عليها الكلاب فانجحرت في ارض الحبيبة (٩١) . فدخلت كلبه سوداء خلفها في المجحر . ثم خرجت في الحال وهي تعوص (٩٢) . ثم وقعت فماتت . فما انصرفنا عنها حتى تفسخت وماتت وتهرأت (٩٣)، وذلك انها لسعتها حية في المجحر

باز بصطاد زرروراً

ومن عجيب ما رأيت من صيد البزاة انني خرجت مع الوالد، رحمه الله، عقيب مطر قد تابع ومنعنا من الركوب ايّاماً . فامسك المطر فخرجنا بالبزاة نريد طير الماء . فرأينا طيوراً ممرجة في مرج تحت شرف . فتقدم الوالد ارسل عليها بازاً مقرنص بيت . فطلع مع الطيور اصاد (٩٤) منها ونزل فما رأينا معه شيئاً من الصيد . فنزلنا عنده واذا هو قد اصاد (٩٥) زرروراً وطبق كفه عليه فما جرحه ولا اذاه . فنزل البازيار خلّصه وهو سالم

(٨٩) كذا في الاصل . وقد وردت ادناه من ٢١٩ س ٥

(٩٠) «بالله» في الاصل . الباله حربة او سكين طويل وهي تعريب «بالا» التركية

(٩١) «الحبيبة» في الاصل

(٩٢) «عوص» في الاصل

(٩٣) «وتهرت» في الاصل . وقد وردت بهذه الصيغة من ١٨٣ س ١٦ مما يدل

انها كانت تلعظ كذلك في العامية

(٩٤) كذا في الاصل وقد ورد اعلاه بهذه الصيغة

(٩٥) كذا في الاصل

صيد الوز والحبارى

ورأيت من الوز السند [؟] حمية وشجاعة كحمية الرجال وشجاعتهم .
وذلك اننا ارسلنا الصقور على رفّ وزّ سمند ودققتنا (٩٦) الطبول،
فطار . ولحقت الصقور تعلقت بوزة حطتها من بين الوز، ونحن بعيد
منها . فصاحت . فترحلّ من الوز اليها خمسة سة طيور يضربون (٩٧)
الصقور باجنحتها . فلولا نبادرهم كانوا خلّصوا الوزة وقصّوا اجنحة
الصقور بمناقيرهم

[٦٤ ق] وهذا ضد حمية الحبارى . فانها اذا قرب منها الصقر نزلت
الى الارض وكيف دار استقبلته بذنبها . فاذا دنسا (٩٨) منها سلحت
عليه (٩٩) بلّت ريشه وملأت عينه وطار . وان اخطأته بما تفعله به
اخذها

صيد العيمة

ومن اعرب ما صاده الباز مع الوالد، رحمه الله، انه كان على يده باز
غطراف فرخ وعلى خليج ماء عيمة (١٠٠)، وهي طير كبير مثل لون
البلشوب الا انها اكبر من الكركي - من طرف جناحها الى طرف جناحها
الآخر اربعة عشر شبراً . فجعل الباز يطلبه . فارسله عليه ودق له الطبل .
فطار ودخل فيه الباز اخذه ووقعا في الماء . فكان ذلك سبب سلامة الباز،
والا كان قتله بمنقاره . فرمى غلام من الغلمان نفسه في الماء بثيابه
وعدته مسك العيمة واطلعها . فلمّا صارت على الارض صار الباز يبصرها

(٩٦) «ودما» في الاصل

(٩٧) كذا في الاصل بصيغة جمع المذكر السالم هنا وفي ما يلي الى آخر الجملة

(٩٨) «دمي» في الاصل

(٩٩) قابل C. H. Stockley, *Shikar* (لندن ١٩٢٨) في *Times*١ تشرين الاول سنة ١٩٢٨ *Literary Supplement*

(١٠٠) طائر ماء لم اعثر على وصف له في كتب الحيوان

ويصيح ويطير عنها، وما عاد يعرض لها. ولا رأيت بازاً سوى ذلك اصطادها. فانها كما قال ابو العلاء بن سليمان (١٠١) في العنقاء: «ارى العنقاء تكبر أن تُصادا»

سبع يخاف اجراس الباز

وكان الوالد، رحمه الله، يمضي الى حصن الجسر وهو كثير الصيد فيقيم (١٠٢) فيه اياماً. ونحن معه نصيد الحجل والدراج وطيور الماء واليحمير والغزلان والارانب. فمضى يوماً اليه وركبنا الى صيد الدراج فارسل بازاً يحمله ويصلحه مملوك اسمه نقولا (١٠٣) على دراجة ومضى نقولا يركض وراءه وقد بنج الدراج في غلفاء. واذا صياح نقولا قد ملأ الاسماع وعاد يركض. قلنا «مالك؟» قال «السبع خرج من الغلفاء التي وقع فيها الدراج فخلت الباز وانهمزت». واذا السبع ايضاً ذليل مثل نقولا لمّاسع اجراس الباز خرج من الغلفاء منهزماً الى الغاب

صيد السمك

وكنّا نصيّد ونعود ننزل على بوشمير (١٠٤)، نهر صغير بالقرب من الحصن، ونفد نحضر صيادي السمك فنرى منهم العجب. فيهم من معه قصبه في رأسها حربة لها جبّة مثل الخشوت. ولها في الجبّة ثلاث شعب حديد طول كلّ شعبة ذراع. وفي رأس القصبه خيط طويل مشدود الى يده يقف على جرف النهر وهو ضيق المدى ويبصر السمكة فيزرقها بتلك القصبه التي فيها الحديد فما يخطئها (١٠٥). ثم يجذبها بذلك الخيط فتطلع والسمكة فيها. واخر من الصيادين معه عود قدر قبضة فيه شوكة

(١٠١) المعري سنة ٩٧٣ - ١٠٥٧ م

(١٠٢) «معم» في الاصل

(١٠٣) «نقولا» هنا وفيما يلي

(١٠٤) «بوشمير» في الاصل

(١٠٥) «حطها» في الاصل

حديد وفي طرفه الآخر خيط مسدود الى يده . ينزل يسبح في الماء و يبصر السمكة يخطفها بتلك الشوكة ويخلبها فيها ويطلع ويجذبها بذلك الخيط يُطلع الشوكة والسمكة . [٦٥ و] وآخر ينزل يسبح ويمرُّ يده تحت الشجر الذي في الشطوط من الصفصاف على السمكة حتى يدخل اصابعه في خواشيم السمكة، وهي لا تتحرك ولا تنفر، وياخذها ويطلع . فكانت تكون فرجتنا عليهم كفرجتنا على الصيد بالبزة

غنائم البازيار

وتوالى المطر والهواء علينا ايّاماً ونحن في حصن الجسر . ثم امسك المطر لحظة . فجاءنا غنائم البازيار وقال للوالد «البزة جياح جيّدة للصيد . وقد طايت وكفّ المطر . ما تركب؟» قال «بلى» . فركبنا فما كان باكثر من ان خرجنا الى الصحراء وتفشّحت ابواب السماء بالمطر . فقلنا لغنائم «انت زعمت انها طايت وصحت حتى اخرجتنا في هذا المطر!» قال «ما كان لكم عيون تبصر الغيم ودلائل المطر؟ كتمت قلم لي تكذب في لحيتك ما هي طيّبة ولا صاحية!»

وكان هذا غنائم صانعاً جيّداً (١٠٦) في اصلاح الشواهين والبزة خبيراً (١٠٧) بالجوارح، ظريف الحديث طيّب العشرة، قد رأى من الجوارح ما يُعرف وما لا يُعرف

خرجنا يوماً الى الصيد من حصن شيزر فرأبنا عند الرحا الجلالى (١٠٨) شيئاً واذا كركي مطروح على الارض . فنزل غلام قلبه واذا هو ميت وهو حارّ ما يرد بعد . فرآه غنائم قال «هذا قد اصطاده اللزبق (١٠٩)» .

(١٠٦) «صابع حد» في الاصل

(١٠٧) «خبير» في الاصل

(١٠٨) «الجلالى» في الاصل

(١٠٩) ولعلها «اللذبق» في الاصل وهو ضرب من البازي لم اعثر على ذكر له في

فَتَسَى تَحْت جَنَاحِهِ وَإِذَا جَانِبَ الْكَرْكِيِّ مَثْقُوبٌ وَقَدْ أَكَلَ قَلْبَهُ • فَقَالَ غَنَائِمُ
«هَذَا جَارِحٌ مِثْلُ الْعَوْسُقِ (١١٠) يَلْحُقُ الْكَرْكِيَّ يَلْصِقُ تَحْتِ جَنَاحِهِ يَثْقُبُ
أَضْلَاعَهُ وَيَأْكُلُ قَلْبَهُ»

وَقَضَى اللَّهُ سَبْحَانَهُ إِنِّي صَرْتُ السِّيَ خِدْمَةَ آتَابِكِ زَنْكِي (١١١)، رَحِمَهُ
اللَّهُ • فَجَاءَهُ جَارِحٌ مِثْلُ الْعَوْسُقِ أَحْمَرُ الْمَنْسَرِ وَالرَّجْلَيْنِ جَفُونَ عَيْنِهِ حَمْرٌ
وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ الْجَوَارِحِ • فَقَالُوا «هَذَا اللَّزِيْقُ» • مَا بَقِيَ عِنْدَهُ إِلَّا أَيَّامًا
فَلَانِلٌ وَقَرَضَ السِّيورَ بِمَنْسَرِهِ وَطَارَ

صيد حمير الوحش

وَخَرَجَ الْوَالِدُ، رَحِمَهُ اللَّهُ يَوْمًا إِلَى صَيْدِ الْغَزْلَانِ، وَإِنَّمَا مَعَهُ صَغِيرٌ •
فَوَصَلَ وَادِي الْقَنَاطِرِ (١١٢) وَإِذَا فِيهِ عَيْدٌ حَرَامِيَّةٌ يَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ •
فَأَخَذَهُمْ وَكَتَفَهُمْ وَسَلَّمَهُمْ إِلَى قَوْمٍ مِنْ غُلَمَانِهِ يُوصلُونَهُمْ إِلَى الْحَبْسِ بِشِيزَرِ •
فَأَخَذَتْهَا خَسْتًا (١١٣) مِنْ بَعْضِهِمْ وَسَرْنَا فِي الصَّيْدِ، وَإِذَا عَانَةَ حَمِيرٌ
وَحَشَى • فَتَمَّتْ لِلْوَالِدِ «يَامُولَايَ، مَا أَبْصَرْتُ حَمِيرَ الْوَحْشِ قَبْلَ الْيَوْمِ •
عَنْ أَمْرِكِ أَرَكُضُ أَبْصِرُهُمْ» • فَقَالَ «أَفْعَلُ» • وَتَحْتِي فَرَسٌ شَقْرَاءُ مِنْ أَجُودِ
الْخَيْلِ • فَرَكُضْتُ وَفِي يَدِي ذَلِكَ الْخَشْتِ الَّذِي أَخَذْتَهُ مِنَ الْحَرَامِيَّةِ •
فَصَرْتُ وَسَطَ الْعَانَةِ فَأَفْرَدْتُ مِنْهَا حَمَارًا وَصَرْتُ أَطْعَمَهُ بِذَلِكَ الْخَشْتِ فَلَا
يَعْمَلُ فِيهِ شَيْئًا [٦٥ ق] لَضَعْفِ يَدِي وَقَلَّةِ مِضَاءِ الْحَرْبَةِ • فَرَدَدْتُ الْحَمَارَ
حَتَّى رَدَدْتَهُ إِلَى أَصْحَابِي • فَأَخَذُوهُ • وَعَجِبَ الْوَالِدُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ عَدُوِّ
تِلْكَ الْفَرَسِ

فَقَضَى اللَّهُ سَبْحَانَهُ إِنِّي خَرَجْتُ يَوْمًا أَتَفَرَّجُ عَلَى نَهْرِ شِيزَرِ (١١٤) وَهِيَ
تَحْتِي وَمَعِيَ مُقْرَىٌ يُنْشِدُ مَرَّةً وَيَقْرَأُ مَرَّةً وَيَغْنِي مَرَّةً • فَنَزَلْتُ تَحْتِ

(١١٠) كذلك لم اعثر على ذكر لهذا الطائر في غير هذا الموضع

(١١١) حوالى عام ١١٣٠

(١١٢) «الفاطر» في الاصل

(١١٣) «خست» في الاصل

(١١٤) العاصي

شجرة ودفعت الفرس الى الغلام فعمل فيها شكالا (١١٥)، وكان الى جانب النهر . فنفرت ووقعت في النهر على جنبها . وكلّما ارادت تقوم تعود تقع في الماء لاجل الشكال . وكان الغلام صغيراً (١١٦) لا يقدر على تخليصها، ونحن لا نعلم ولا ندري . فلماً قاربت الموت صاح بنا فجنّناها وهي في اخر رمق . فقطعنا شكالها واطلعناها فماتت . وما كان الماء يصل الى عضدها الذي غرقت فيه، وانما الشكال املكها

يخاف على البازي من الغرق

وخرج يوماً (١١٧) الوالد، رحمه الله، الى الصيد . وخرج معه امير يقال له الصمصام من اصحاب فخر الملك بن عمّار صاحب طرابلس على سبيل الخدمة . وهو رجل قليل المخبرة بالصيد . فارسل الوالد بازاً على طيور ماء فأخذ منها طيراً ووقع في وسط النهر . فجعل الصمصام يدقّ يبدأ على يد ويقول «لا حول ولا قوّة الا بالله (١١٨)» . كيف كان خروجي في هذا اليوم؟» فقلت له «ياصمصام، تخاف على الباز ان يغرق؟» قال «نعم قد غرق . بطّة هو حتى يقع في الماء ولا يغرق؟» فضحكت وقلت «الساعة يطلق» . فأخذ الباز رأس الطير وسبح وهو معه حتى طلع به . فبقي الصمصام يتعجّب من ذلك ويسبّح الله سبحانه ويحمده على سلامة الباز

لكل حيوان اجله

ومنايا الحيوان، مختلفة الالوان . قد كان الوالد، رحمه الله، ارسل زُرْقاً ابيض على درّاجة . فوقعت الدراجة في غلفاء ودخل معها الزرّق .

(١١٥) «شكال» في الاصل

(١١٦) «صعر» في الاصل

(١١٧) حوالى عام ١١٠٩

(١١٨) القرآن ١٨: ٣٧

وفي الغلفاء ابن آوى اخذ الزرق قطع رأسه . وكان من خيار الجوارح
وافرهما

ورأيت من منايا الجوارح وقد ركبت يوماً وبين يديّ غلام لي معه
باشق . فرماه على عصافير، فاخذ عصفوراً . وجاء الغلام ذبيح (١١٩)
العصفور في رجل الباشق . فنفض الباشق رأسه وتقيأ دماً ووقع ميتاً .
والعصفور في تلفه مذبوح (١٢٠) . فسبحان مقدّر الآجال

واجترت يوماً من باب فتحناه في الحصن لعمارة كانت هناك، ومعني
زربطانة . فرأيت عصفوراً على حائط انا واقف تحته، فرميت به بندقة
فاخطأته . وطار العصفور وعيني السى [٦٦ و] البندقة . فنزلت مع
الحائط وقد اخرج عصفور (١٢١) رأسه من ثقب في الحائط فوقعت البندقة
على رأسه، فقتلته . ووقع بين يديّ فذبحته . وما كان صيده عن قصد
ولا اعتماد

وارسل، رحمه الله، يوماً الباز على ارنب قامت لنا في زور (١٢٢) كثير
الشوك، فاخذها وانفرطت منه . فجلس على الارض . وراحت الارنب .
فركضت انا فرساً دهماً تحتي من جياذ الخيل لاردّ الارنب . فوقعت يد
الفرس في حفرة فانقلبت عليّ . فملأت يديّ ووجهي من ذلك الشوك
وانفسخت رِجلُ الفرس . ثم انتقل الباز من الارض بعد ما ابعدت
الارنب لحقها اصاها (١٢٣) . فكأنه كان قصدهُ اِتلاف (١٢٤) فرسي
واذيتي بالوقوع في (١٢٥) الشوك

(١١٩) «دمج» طبعة درنبرغ ص ١٦٤

(١٢٠) «بلفه مذبوح» في الاصل

(١٢١) «عصفورا» في الاصل

(١٢٢) يستعملها المؤلف بمعنى الأجمة وكمفرد «ازوار»

(١٢٣) كذا في الاصل

(١٢٤) «تلاف» او «تلاف» في الاصل

(١٢٥) غير واضحة في الاصل

صيد الخنزير

فأصبحنا يوماً في أول يوم من رجب صياماً . فقلت للوالد، رحمه الله «اشتهي اخرج اتشاغل بالصيد عن الصيام» . قال «اخرج» . فخرجت انا واخي بهاء الدولة ابو المغيث منقذ، رحمه الله، ومعنا بعض البزاة التي الازوار، فدخلنا في سوس . فقام لنا خنزير ذكر قطعنه اخي جرحه ودخل ذلك السوس . فقال اخي «الساعة يكربه الجرح ويخرج . استقبله اطعنه اقتله» . قلت «لا تفعل . يضرب فرسك يقتلها» . نحن نتحدث والخنزير خرج يريد زوراً اخر . فالتقاء اخي طعنه في سنامه انكسرت فيه عالية القنطاريّة التي طعنه بها ودخل تحت فرس شقراء تحته (١٢٦) عشرًا محجّلة شعلاء ضربها رماها ورماه . فامّا الفرس فانفسخت فخذها وتلفت . واما هو فانفكت اصبعه الخنصر وانكسر خاتمه

وركضت انا خلف الخنزير . فدخل في سوس مخضب وخناث فيه باقورة نائمة ما اراها من ذلك الغاب . فقام منها ثور (١٢٧) في صدر حصاني فندسه . فوقعت ووقع الحصان وانكسر لجامه . وقمت اخذت الرمح وركبت ولحقتة وقد رمى نفسه في النهر . فوفقت على جرف النهر وزرقته بالرمح فوقع فيه وانكسر منه قدر ذراعين وبقيت الحربة، وكسر الرمح فيه . وسبح الى ناحية النهر . فصحنا يقوم من ذلك الجانب يضربون لبناً لعمارة بيوت في قرية لعمتي . فجاهوا ووقفوا عليه وهو تحت جرف لا يقدر يطلع منه . فجعلوا يرمونه بالحجارة الكبار حتى قتلوه . وقلت [٦٦ ق] لركابي لي «انزل اليه» . فقلع عدته وتعزّي (١٢٨) واخذ سيفه وسبح اليه تمّ قتله . وسحب برجله واتى به وهو يقول «عرّفكم الله بركات صيام رجب! استفتحناه بنجس الخنازير (١٢٩)»

(١٢٦) «حبه» في الاصل . «مُجَبَّة» طبعة دربورغ ص ١٦٥

(١٢٧) «ور» في الاصل

(١٢٨) «وسرا» في الاصل

(١٢٩) قابل القرآن ١٤٦:٦

ولو كان للخزبر ظفر وناب مثل الأسد كان اشدّ بأساً من الأسد .
فلقد رأيت منها خنزيرة قد اقمناها عن جريّات لها وواحد منها ضرب
حافر فرس غلام معي بضمه وهو فسي قدّ جرو القط . فاخذ الغلام من
تركّشه نشابه ومال اليه طعنه بها، ورفعها في النشاب . فعجبت من قتاله
وضربه حافراً لفرس وهو بحيث يُحمّل في سهم نشاب

صيد الحجل

كان من عجائب الصيد اننا كنّا نخرج الى الجبل الى صيد الحجل ومعنا
عشرة بزاة تنصّد بها النهار كلّها، والبارياريّة مفترقة في الجبل ومع كل
بازيار فارسان (١٣٠) ثلاثة من الممالك، ومعنا كلابزيان اسم الواحد
بُطرس والآخر زرزور بادية (١٣١) وكلّما ارسل البازيار على حجلة
وبنجت قد صاحوا «يا بطرس!» بعدو اليهم مثل الهجين . كذلك النهار
كلّته يعدو من جبل الى جبل هو ورفيقه . فاذا اشبعنا البزاة ورجعنا اخذ
بطرس قلاعة وعدا خلف واحد من الممالك ضربه بها، اخذ الغلام قلاعة
وضرب بطرس . فلا يزال يطارد الغلمان وهم ركاب وهو راجل ويراميهم
بالقلاع من الجبل الى باب المدينة ما كأنه كان نهاره كلّته يعدو من
جبل الى جبل

الكلاب الزغارية

ومن عجائب الكلاب الزغارية انها ما تأكل الطيور ولا تأكل منها
الا رؤوسها (١٣٢) وارجلها التي ما عليها لحم والعظام التي قد اكلت
البزاة لحمها

وكان للوالد، رحمه الله، كلبة سوداء زغارية يضع الغلمان بالليل على

(١٣٠) «فارس» في الاصل

(١٣١) «بادبه» في الاصل

(١٣٢) «روسها» في الاصل

رأسها السراج ويقعدون يلعبون بالشطرنج وهي لا تتحرك ولا تزول حتى عننت عيناها . وكان الوالد، رحمه الله، يحرد على الغلمان ويقول «قد اعيتم هذه الكلبة!» ولا يتهون عنها

واهدى الأمير شهاب الدين مالك (١٣٣) ابن سالم بن مالك صاحب القلعة (١٣٤) للوالد كلبة عروفاً (١٣٥) تُرسل تحت الصقور على الغزلان فكنتاً نرى منها العجب

الصيد بموجب نظام

وصدُ الصقور بالترتيب . يُرسل في الاول [٦٧ و] المقدم فيعلق باذن غزال يضربه . ويُرسل العون بعده فيضرب غزالاً آخر . ويُرسل العون الآخر فيفعل كذلك . ويُرسل الرابع كذلك . فيضرب كل صقر منها على غزال . فبأخذ المقدم اذن غزال ويُفرده من الغزلان، فترجع الصقورُ جميعها اليه وتترك تلك الغزلان التي كانت تضربها . وهذه الكلبة تحت الصقور لا تلتفت الى شيء من الغزلان الا ما عليه الصقور . فيتفق ان يظهر العقاب فتحلّ الصقور عن الغزال، فيمضي الغزال، وتدور الصقور . فكنتاً نرى تلك الكلبة قد رجعت عن الغزلان وقت رجوع الصقور، وهي تدور تحت الصقور في الارض كما تدور الصقور في الهواء حلقة . ولا تزال تدور تحتها حتى تنزل الصقور الى الدعوى . فحينئذٍ تقف وتمشي خلف الخيل

صيد الغزلان والدراج

وكان بين شهاب الدين مالك وبين الوالد، رحمهما الله، مودة ومواصله بالمكاتبات والرسل . ففدّ اليه يوماً يقول له «خرجت الى صيد الغزلان فاصطدنا منها ثلاثة الاف خشف فسي يوم» . وذلك ان الغزلان عندهم فسي

(١٣٣) «ملك» هنا وفيما يلي

(١٣٤) قلعة جعير

(١٣٥) «عروف» في الاصل

ارضى القلعة كبيرة . وهم يخرجون وقت ولاد الفزلان خيالة ورجالة
 فيأخذون (١٣٦) منها ما قد ولد تلك الليلة وقبلها بلبلة وليلتين وثلاث
 يشتونها كما يفتش^٢ الحطب والعشب

والدراج عندهم كبير فسي الازوار على الفرات . واذا شق جوف
 الدراجة وازيل ما فيه وحشي بالشعر لا تتغير رائحتها ابناً كبيرة
 ورأيت يوماً دراجة قد شق جوفها وأخرجت فانصتها وفيها حية قد
 أكلتها نحو من شبر

وقلنا مرة ونحن في الميد حية خرج من جوفها حية قد بلعتها صحبة
 دونها يسير . فهي طباع جميع الحيوان اعتداءً القوي على الضعيف
 والظلم من سيسر الثغوس فان تجد ذا عيفة فليمت لا يظلم^٣

الخاتمة

حصر ذكر الصيد (١٣٧) وقد شهدته سبعين سنة من عمري غير ممكن
 ولا متطاع . وتضيع الاوقات في الخرافات، من اعظم عوارض الآفات .
 وانا (١٣٨) [٢٧ ق] استغفر الله تعالى من تضيع الصبابة الباقية من العمر،
 قسي غير طاعة واكتساب ثواب واجر . وهو تبارك وتعالى يغفر الخطية،
 ويجزل من رحمته العظيمة . فهو الكريم الذي لا يخيب آمليه، ولا يرده
 سائله

(١٣٦) «ماحدوا» في الاصل

(١٣٧) او «الميد» على الهامش

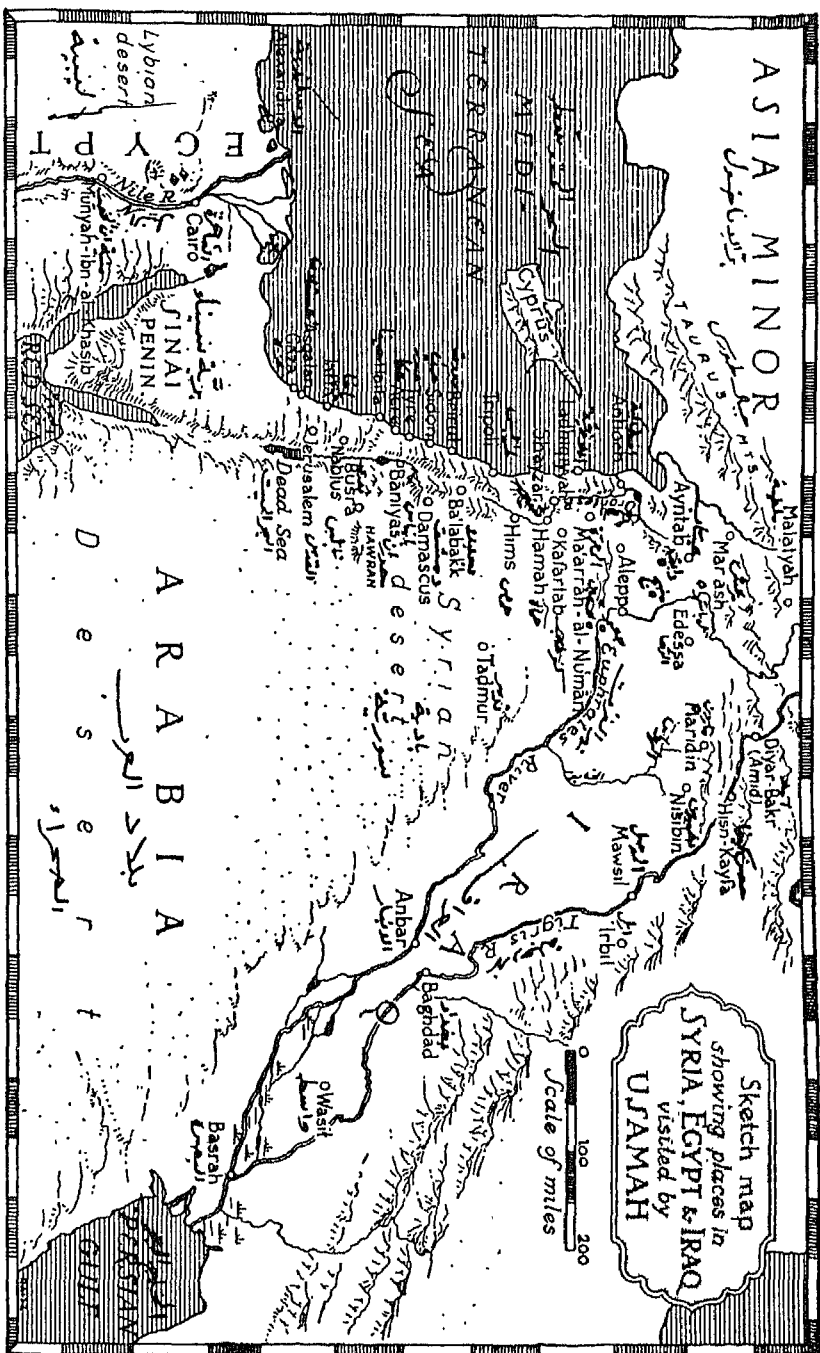
(١٣٨) مكررة

آخر الكتاب

آخر الكتاب والحمد لله رب العالمين (١)، وصلّى الله على سيّدنا محمّد
نبيّه وعلى آله الطاهرين اجمعين، وسلّم تسليمًا، وحسبنا الله ونعم الوكيل
وكان في آخر الكتاب ما مثاله:

فرأب هذا الكتاب (٢) من أوّله الى آخره فسي عدّة مجالس على مولاي
حدّثني الامير الاجلّ العالم الفاضل الصدر الكامل عضد الدين (٣)
جليس الملوك والسلاطين حجّة العرب خالصة امير المؤمنين،
ادام الله سعادته . وسألته ان يجيزني روايته عنه،
فاجابني الى ذلك . واطر خطّه الكريم به .
وذلك في يوم الخميس ثالث عشر صفر
سنة عشر (٤) وستّمائة (٥) .
صحيح ذلك . وكتب
جدّه مرهف بن
اسامة بن
منقذ،
حامدًا
ومصلّيًا

- (١) «العلمس» في الاصل
- (٢) الكتاب الذي نقل عنه الناسخ هذه المخطوطة
- (٣) مرهف بن اسامة وهو على ما يظهر جد صاحب الكتاب الاصل المنقولة عنه
هذه المخطوطة
- (٤) «عسره» في الاصل
- (٥) ٤ تموز سنة ١٢١٣



سورية ومصر واليران والامان التي زارها ائمة وردت في « كتاب الاعتبار »

فهرست الكتاب (١)

بنو إسرائيل ١٩٤	آدم ٣٦، ٧٩، ١٩٠
إسعد ١٧٠	آمد ٨٣، ٨٤، ١٥٥
أسفونا ٩٥	الآمر بإحكام الله ٢٠٨، ٢٠٩
الاسكندرية ٦	بنو أبي ١٢
الاسكندرية ٢٤	أتابك أنظر عماد الدين زكي، أيضاً
الاسلام ٣٧، ٨٢، ١١٥	طُغندكين
إسماعيل الكجي ٧٣	الأتراك ١٥، ٢٥، ٢٦، ٣١، ٧٥، ٩٣
الاسماعيلية ٧٧ - ٧٩، ١١٦، ١٢٣	١٤٧، ١٢٨
١٦٢، ١٥٩	أحمد بن مجير ٢١٠
أسوان ٣٤	أحمد بن معبد بن أحمد ١٤٧
إصبهان ٤٩، ٥١، ٢١١	ابن الأحمر ٨٤
أفامية ٤٠، ٤٧، ٤٨، ٥٢، ٥٧، ٦٧ -	أدم، سير ١١٠
١٤٨، ١٢٩، ١٢٠، ٩٠، ٨٧، ٦٩	أذنة ٢٠١
١٥٢، ١٥١	إربل ٨٧
إفتخار الدولة أبو الفوح بن عمرو	أرمن ١٠٣، ١٠٦، ٢٠١
١١٨، ١١٧	أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن
الإفرينج (الفرنج) ١، ٢، ١٠ - ١٢	نصر بن منقذ ٩، ١٠، ١٦، ٢٦
١٤ - ١٨، ٢٧ - ٢٩، ٣٤، ٤٠ -	٢٧، ٣٤، ٤٠، ٤٦، ٥٧، ٨١
٤٥، ٤٧ - ٥٥، ٥١ - ٥٩، ٦١ -	٩١، ٩٣، ٩٩، ١٠٣، ١٠٦، ١٠٩
٦٥، ٦٩، ٧١، ٧٣، ٧٦، ٧٧، ٨٠ -	١٢٤، ١٢٥، ١٣٤، ١٤٣ - ١٤٥
٨١، ٨٥، ٨٦، ٩٠ - ٩٣، ٩٥ -	١٥٢، ١٥٣، ١٦٠، ١٦٩، ٢١٢
٩٧، ١٠٣، ١١٠، ١١١، ١١٤ -	إسباسلار أنظر برسوق بن برسوق،
١١٨، ١٢٠ - ١٢٢، ١٢٨، ١٣٠ -	أيضاً مودود، وخطنخ
١٣٢ - ١٣٥، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٣ -	أسد الدين شيركوه ١٤
١٤٤، ١٤٦ - ١٥٢، ١٥٤، ١٦٢ -	أسد القائد ١٤٥

(١) لقد شاركني في وضع هذا الفهرس وفي سقيح مسودات الكتاب الدكتور كوستي زريق الأستاذ في جامعة بيروت الامبركية واحد تلامذة پرستون ساعاً

بدران، ابن صاحب قلعة جبر ١٣٠	١٦٣، ١٩١، ١٩٥، ٢٠٠، ٢٠٩
بدرهوا Pedrovant? ٦٧	٢١٣
بندليسي ٨٩، ٨٨	الإفرنجي ٤٩، ٥٠، ٥٧، ٧٠، ٧٥
بدوي ٨١، ٨٠	٧٧، ٨٣، ٩١، ٩٤، ٩٦، ٩٧
بِراق الرُّبَيْدِي ١٥	١١٠، ١١١، ١٢٢، ١٢٨ - ١٣٠
برج خريية ٤٨	١٣٢، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٨ - ١٤٠
برج، قرية ٧٨	١٤٩، ١٥٠، ١٦٣
البرجاسية bourgeoisie ١١٥، ١٤١	الأفضل بن أمير الجيوش ٦
برّة، امرأة حليية ١٨٤	الأفضل رضوان بن الوكّخشي أنظر
برسّق بن برسّق، إسباسلار ٧٣، ٧٥	رضوان بن الوكّخشي
١٢٠، ٩٠، ٧٦	الأكراد ٣٧، ٤٧، ٤٩، ٩٥
برشك، أمير تركي ١٥	الأمير السيد الشريف ٧٥، ٧٦
البرقيّة ٢٣	امين الدولة طغندكين، أنظر
برناد Bernard ١٣٣	طغندكين، أتاك
برهان الدين البلخي ١٤٠	امين الملك، استاذ ٢٢
بريكة، مملوكة ١٢٢، ١٢٣	الأنبار ٧٢، ١٧٣
بُزرك، خواجا ١٧٤، ١٧٥	الأنصار ٤٩
بَسْتَكِين غرزة ١٢٦	انطاكية ٤٠، ٤٣، ٥٧، ٦١، ٦٤، ٦٦
بِشْر بن كريم بن بشر ١	- ٧٠، ٧٥، ٧٦، ٨٧، ٩٦، ١١٤
بشلا ١٩٩	١١٥، ١١٩ - ١٢٢، ١٣٤، ١٤٠
بُصْرَى ١٤	٢١٣
بطرس، كلابزي ٢٢٣	أنطوطوس ٢٠١
البيترك (William بطريك اورشليم)	الأوحد، اخو رضوان ٣٠
٨٦	أوزبه، امير الجيوش ٧٣، ٧٦، ٧٧
بعلبك ٣٠، ٧٩، ٩٩، ١٥٤	إيلغازي بن أرثق أنظر نجم الدين
بغداد ١٥٧، ١٧٨، ١٨٢	إيلغازي بن أرثق
بَغْدَوِين Baldwin III ٣٤	
بَغْدَوِين البرونس Baldwin II	باب القاهرة ١٩، ٢٥
٨١، ١٠٣، ١١٨ - ١٢١	باب النصر ٢٥
ابو البقي ٢١	الباطني ١١٦، ١٦٠
بقيّة بن الأُصَيْفِر ١٢٣	الباطنية ١٢٥، ١٦٠، ١٦٢
بكتمر، الحاجب الكبير ٧٣	بانياس ٦٥، ٨٦، ١٩٣
ابو بكر الدّيبسي ١٥٦	بدر، الكردي ١١٦

- ابو بكر الصديق ٣٧
 البلاط ٤٠
 بلاطئس ١١٩
 بليسي ١٨، ٢٦
 البلد أنظر شيزر
 بتدرفين ٦٣، ١٦٣
 بهاء الدولة ابوالمغيث منقذ ١٠١، ١٠٤، ١٠٦، ٢٢٢
 بهاء الدين، الشريف السيد ١٩٦
 بو شمير ٢١٧
 ابن البواب ٢٠٧
 بيت جبريل ١٦، ١٧، ٨٠
 البيت المقدس (بيت المقدس) ٧٨، ١١٨، ١١٩، ١٢١، ١٢٨، ١٣٤، ١٣٩
 تاج الأمراء ابو المتوج مقلد ٢٠٨
 تاج الدولة تئش ٥٤
 تادرس بن الصفي Theodoros Sophianos ١٤٠
 تدمر ٧٠
 تركبولي Turcopole ٥١
 التركمان ٣١، ٤٦، ١٠٤، ١٢٠
 تركماني ١٠٤
 تركسي ٧١، ٧٢، ٧٥، ١٠٠، ١٢٧، ١٥١
 تروس، ارمني ٢٠١
 تلّ باشر ١١٤
 تلّ الترمسي ٦٩
 تلّ التلول ٦٩، ١٠٦
 تلّ سكين ٢١٣
 تلّ مجاهد ٩٨
 تلّ ملح ٥٥، ٥٧
 تميمك ٧٣
 تيه بني اسرائيل ١٤
 ثابت، طبيب نصراني ١٣٣
 ثيوفيل (توفيل) ٧٣، ١٢٨
 الجامع الأحمر ٣٢
 جامع، ركابي ١١٧
 الجامعي، سيف ١١٧
 جان كومنينوس Comnenus ٢
 جبريل بن الحافظ ٢١
 جبيلة ٩٦
 جندام ٢٤
 الجزيرة [العراق] ٥٩
 الجزيرة، في العاصي ٦٢
 جزية، دليل ١٣
 الجسر (جسر شيزر) ١٠٤، ١٠٥، ١٤٨، ١٤٩
 جشار ٢١٤
 جبر أنظر قلعة جبر
 جعفر ٢٤
 الجفر ١١
 الجلابي، نهر ٦٣
 جمال الدين محمد بن تاج الملوك بُوري
 ابن طغديكين ٨١، ٩٩
 جمعة الثميري ٣٦، ٣٧، ٤٧، ٥٧ - ٥٩، ٦١، ٦٢، ٦٤، ٦٧، ٦٨
 ابن جيني ٢٠٨
 الجنوية ١٩٥
 جواد، رئيس ١٦٠
 جوسلين ٩٠
 الجيزة ٣٢
 ابو الجيش، كردي ١٥٠

- الحوشية ٧، ٦
- حارثة الثميري ٦٧، ٤٧
- الحافظ لدين الله خلفه ٦، ٧، ٤٢، ٤٣، ٢٩ - ٢٩، ٣٢، ٨٠، ١٩٣، ١٩٤
- الحشة ٣٤
- الحبيبة ٢١٥
- حسام الدولة بن دليماج ٨٩
- حسام الدلة مسافر ٤٣
- حسام الدين تيمرماش بن إيلغازي بن أرثق ١٠٣، ١٢٠، ١٥٥
- حسام الملك، ابن عم عباس ٢٩
- حسام الملك بن عباس ٢٧
- حسني (حسناه) ١٢
- حسن الزاهد ٩٢
- ابو الحسن علي أنظر سديد الملك ابو الحسن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ
- حسنون، كردي ٦٦
- الحصن أنظر شيزر
- حصن البارعة ١٥٦
- حصن ابو فئيس ١١٧، ١١٨
- حصن الجسر ٨٤، ٩٠، ١٤٦، ١٤٧
- ١٤٩، ٢١٣، ٢١٧، ٢١٨
- حصن الخربة ٧٨، ٧٩
- حصن الصور ١٥٤ - ١٥٦
- حصن كيميا ١٧١، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٧
- ١٩٥
- حضر الطوط ٦٢، ٦٣
- حلب ٣١، ٥٣، ٥٤، ٧٦، ٧٧، ٩٣
- ١٤٥، ١٥٥، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤
- ١٩٦، ١٩٧
- الحليثون ٧٦، ١١١، ١٢٩
- حلة عارا ١٩٩
- حماة ٣٦، ٣٩، ٤٤، ٤٥، ٤٨، ٦٢، ٧٨، ٧٩، ٨٥، ٨٦، ٩٠، ٩٨
- ١٠٠، ١٠١، ١١٥، ١١٦، ١٤٤
- ١٥٤، ١٧١، ١٧٢، ١٩٦، ٢٠٥
- حمّادات، كردي ٤٩ - ٥١
- حمص ٤٤، ٧٩، ٩٧، ١٠١، ١٠٣
- ١٤٢، ١٤٣، ١٥٤، ١٥٧
- حناك ١١٠، ١١١
- بنو حنيفة ٣٧
- الحوف ٧، ٨
- حيدرة بن قطمر، ابو تراب ٢١٤
- حيزان ٩٤
- حيفا ١١١
- حاتون بنت تاج الدولة تثنش ١٤٨
- الخراسانية ٧٣، ٧٤، ١٥٦، ١٥٨
- خُرْجي، فرس ٢١٣
- الغضن بن مسلم بن قاسم (قسيم؟) الحموي، ابو القسم ١٧٠، ١٧٢
- خُطْلُنج، إسبالار ٦٣
- خُطْلُنج، ملوك ١١٣
- حَقّاجَة ٦٧
- حلاط ٨٨، ٨٩
- خيرخان بن قراجا ١٠١، ١٠٣
- دار الشابورة ٢٠
- دار العقيني ٣١
- داريًا ٩٩
- دابث ٧٥، ٧٧، ١١٩
- الداوّه Templars ١٣٤، ١٣٥
- دُبَيْس ١٤٢
- دخله ١٩٦

- درماء ٢٤
الدروب ٢٠١
ابن الدقيق Benedeit ١٤
دلاص ٨
دمشق ٤، ١٤، ١٦، ٢٤، ٢٨، ٣٠، ٣١، ٦٩، ٧٠، ٨٢، ٩٣، ٩٥
٩٧ - ٩٩، ١٠٦، ١١٤، ١١٥
١٢٠، ١٣٩، ١٤٠، ١٥٠ - ١٥٢
١٥٤، ١٦٠، ١٧٨، ١٩٠، ١٩٢
١٩٥
دمياط ٣٤
دمياط ١٧٣
دنكري Tancred ٦٥، ٦٨ - ٧١
٩٦
ديار بكر ٨٧، ٨٨، ١٩٠
ذخيرة الدولة ابو القنا حيطام ٥٩
زورور بادية ٢٢٣
زرعاء اليمامة ١٢٧
زُرَيْق ٢٤
زَلِين ٧٠
الزَّمْرَكْل ٤٣، ٤٤
زنكي أنظر عماد الدين زنكي
زنكي بن سرق ٧٣
زهر الدولة بختيار القصرمي ٨٦، ٨٧
زيد، الجرائعي ٥٢
رين الدين اسمعيل بن عمر بن بختيار،
السلار ٤٤
رين الدين علسي كوحك ١٥٧، ١٧٧،
١٧٨
سابق بن وثاب بن محمود بن صالح ١٠٥
سابه بن قنيب، كلابي ٤٨
- ٢٤
٢٠١
١٤
٨
٤، ١٤، ١٦، ٢٤، ٢٨، ٣٠، ٣١، ٦٩، ٧٠، ٨٢، ٩٣، ٩٥
٩٧ - ٩٩، ١٠٦، ١١٤، ١١٥
١٢٠، ١٣٩، ١٤٠، ١٥٠ - ١٥٢
١٥٤، ١٦٠، ١٧٨، ١٩٠، ١٩٢
١٩٥
٣٤
١٧٣
٦٥، ٦٨ - ٧١
٩٦
٨٧، ٨٨، ١٩٠
٥٩
١٤٤، ١٤٤، ١٤٤، ١٤٤
١
٤٧
٤٦
١٣١
٢٨
٢٧
١٠١
٧٣
٥٣ - ٥٥
٢٩ - ٣٢
١٠٨
٣٥
٤٦، ٧٨، ٨٧، ١٢٩
رفول، بنت ابي الجيش (الجبشي؟)

- سالم بن قانت، ابو المرجى ١٤٥
 سالم، حمّامي ١٣٦
 سالم العجّازي ١٢٧
 مديد الملك ابو الحسن علي بن مقلّد بن
 نصر بن منقذ ٥٤، ١٢٥، ١٨٤
 ١٨٦
 سراج الدين ابو طاهر ابراهيم بن
 الحسين بن ابراهيم ١٧٠
 السرداني، كونت Cerdagne ٥٠
 سرهّنك بن ابي منصور ٣٦، ٣٧، ٦٢
 سروج ١٣٠
 سعد الله الشيباني ١٠٦
 سعيد الدولة، خادم ٢٠
 ابن السّار أنظر سيف الدين ابو الحسن
 علي بن السّار
 المساوة ١٨٢
 ستان الدولة شيب بن حامد بن حميد ١٢٤
 سنييس ٢٤
 سنجار ١٩٢
 سنقر د راز ٧٣
 سهري، الرئيس ٧٨
 سهل بن ابي غانم الكردي ٦٧
 السودان ٦، ٨، ١٠، ٢٩، ٣٢
 سوق السيوفيين ٢٠
 سومان (شومان) ٤٤
 سونج، غلام ١٥٢
 السويدية ١٢١
 سويقة امير الجيوش ٧
 سيويه ٢٠٧
 سيف الدولة خلف بن ملاعب الاشهبى
 ٥٢، ٥٥، ٩٥، ١٢٧، ١٢٨
 سيف الدولة زكي بن قراجا ١٨١
 سيف الدين ابو الحسن علي بن السّار،
 الملك العادل ٧ - ١٠، ١٣، ١٧،
 ٢٠، ١٨
 سيف الدين سوار ١٤٣، ١٤٤
 الشاروف ١٠١
 الشّام ٢٣، ٢٤، ٢٨، ٢٩، ٣١، ٥٧،
 ٨٧، ٩٠، ٩٤، ٩٥، ١١٥، ١٥٠
 ١٦١
 الشّاميون ٣٣
 شاهنشاه ١٨١
 شمس الخواصّ آلتو نتاش ٧٨
 شمّاس ١٠٥
 شهاب الدين ابو الفتح المظفر بن اسعد
 ابن مسعود بن بختكين بن
 سبكنكين ١٧٣
 شهاب الدين احمد بن صلاح الدين ٢، ٩٨
 شهاب الدين مالك بن سالم بن مالك ٩٩،
 ١٣٠، ٢٢٤
 شهاب الدين مالك بن شمس الدولة أنظر
 شهاب الدين مالك بن سالم بن مالك
 شهاب الدين محمود بن بوري بن طغذكين
 ٩٨، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣
 شهاب الدين محمود بن تاج الملوك أنظر
 شهاب الدين محمود بن بوري بن
 طغذكين
 شهاب الدين محمود بن قراجا ٣٦، ٣٨،
 ٣٩، ٤٦، ٤٨، ٤٨، ٤٧، ٤٤، ٤١، ٤٠، ٣، ٢،
 ٥٥ - ٥٧، ٦٣، ٦٤، ٦٦ - ٧٠،
 ٧٦، ٧٧، ٧٩، ٨٦، ٩١ - ٩٣،
 ٩٧، ١٠٠، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٧،
 ١٠٨، ١١٠، ١١٣، ١١٤، ١١٦ -
 ١١٨، ١٢٠، ١٢١، ١٢٣ - ١٢٥،

٢٨، ٢١	١٢٩، ١٣٤، ١٤٢ - ١٤٧، ١٤٥
	١٤٩، ١٥١، ١٥٩، ١٦٦، ١٦٣
ابن العادل، اخو عباس ٢٩	١٨٧، ١٨٥، ١٩٠، ١٩١، ١٩٨
الصامى ٨٥، ٩٢، ١٢١، ١٣٤، ١٣٩، ١٤١	١٩٩، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٧
	٢١٠، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٨، ٢٢١
عباس ركن الدين أنظر ركن الدين	٢٢٢
عباس بن ابي الفتح بن تميم بن	
باديس	صلاح الدين محمد بن ايوب الفسياني
عبد الرحمن الحنحولي ٩٥	٢، ٤٥، ٧٨، ٨٩، ٩٤، ٩٨، ٩٩
عبدالله بن القيس ١٧١	١٥٠، ١٥١، ١٥٦ - ١٥٨
عبدالله المشرف ٩٤	صلاح الدين يوسف بن ايوب، ابو المظفر
عبدالله بن ميمون الحموي ١٧١	١٦٤
ابو عبدالله بن هاشم ١٥٩	ملحد ٣٠
ابو عبدالله الطليطلي ٢٠٧، ٢٠٨	المصمام، امير ٢٢٠
عتاب، مانع ٤٢	صندوق، غلام ١٤٢
عذراء ١٥٠	صهيون ١١٩
العرب ١١، ١٢، ٢٤ - ٢٧، ٢٩، ٣١	صور ١٣٧
	بنو الصوفي ١٢٩
٣٧، ٤٠، ٧١، ١٨٢	
الريان ٨، ١١	
عرس Hurso ١٤١	ضبير ١٠٠
ابن العريق، جندي ١٥٥، ١٥٦	
عز الدولة ابو الحسن علي ١٦، ١٨، ١٧	الطاحون الجلاي ٦٢، ٢١٨
عز الدولة ابو المرفع نصر ٥٣ - ٥٥	طبرية ١٠، ١٣٧، ١٣٨
١٠٨	طرابلس ٥٠، ٥٥، ٧٩، ٢٠٧، ٢٢٠
عز الدين ابو العساكر سلطان ٤٠، ٤٩	طراد بن وهيب النشيري ٩٨
٥٣، ٦٦، ٧١، ١٠٠، ١٠٨، ١١٠	طغندكين، اتابك ٣٠، ٣١، ٩٠
١١٨، ١٢٦، ١٢٩، ١٤٢، ١٦٢	١١٩، ١٢٠
عسقلان ١٠، ١٥، ١٦، ١٨، ١٢٨	طلانغ بن رزك ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٣٤
عضد الدين مرهف بن أسامة بن منقذ	طلحة ٢٤
	الطور ٨٠
٢٢٦، ٢٨	طلي ١٢
العقاب الشاعر ٧٠	
عكّا ٣٤، ٨٢، ١٣٧، ١٩٥	
ابو العلاء بن سليمان [المرعي] ٢١٧	الظافر بامر الله خليفة ٧ - ٩، ١٨ -

- العلاء ٥٠، ٢٠٦
 علان بن فارس الكردي ٩٦
 علم الدين عليّ كرد ٧٨
 علنوا بن حرّار ١٢٤
 علنوا العراقي ١٠١
 عليّ بن ابي طالب ١٧٣، ١٧٧، ١٧٨
 عليّ بن الدود وَينَه ٤٥
 عليّ بن سلام، نُميري ٣٨
 عليّ بن شمس الدولة سالم بن مالك ٩٩
 عليّ بن عيسى ١٧٥، ١٧٦
 عليّ بن فرج، ابو الحسن ١٤٦، ١٤٧
 عليّ بن محبوب ١٢٢، ١٢٣
 عليّ بن عبد ابن ابي الريدان ١٢٧، ١٢٨
 ابو عليّ الفارسي ٢٠٨
 ابو عليّ، القائد الحاجّ ١٧٧
 عماد الدين زنكي بن آقْسُنْقُر (آق
 سُنْقُر)، أتابك ١ - ٣، ٣٠
 ٤٦، ٥٩، ٧٩، ٨٨، ٨٩، ٩٩
 ١٠٠، ١٠٤، ١٥٠، ١٥١، ١٥٥
 - ١٥٧، ١٩٠، ١٩١، ٢١٩
 عمر بن محمّد بن عبد الله بن معمر العُليسي،
 ابو الخطّاب ١٧٨
 عمر، السّار ١٤٤
 عترة (عتبر؟) الكبير ٢٤
 عترة بن شدّاد ٣٩
 عتاز الكردي ١١٦
 عيسى، الحاج ٧٨
 عس الدولة الياروقي ١٥
 ابو الفارات طلائع بن رُزْيك أنظر
 طلائع بن رُزْيك
 غازي التلي ٦٢، ٦٣، ٩٨
 ابن عاري المشطوب ١٦٣
 عرّو ١٠، ١٨
 العسباني أنظر صلاح الدين محمّد بن
 ايّوب العسباني
 عنانم، باريار ١٩٩، ٢١٨، ٢١٩
 عُنيم، ركابي ٦٠، ٦١
 فارس بن زمام ٣٨، ٣٩
 فارس الكردي ٩٦
 ابو الفتح، صانع ١٣٤
 فخر الدين ابو كامل شافع ١٢٩
 فخر الدين قرا ارسلان بن داود بن سُقان
 ابن أرتشق ٨٣، ١٥٥، ١٩٠
 ١٩٥
 فخر المُلك ابو عليّ عمّار بن محمّد بن
 عمّار ٩٦، ٢٢٠
 العراب ٣١، ٥٢، ٩٠، ١٧٣
 ابو الفرج البغدادي ١٧٠
 الفرحة ٦
 الفُتُفة ١٥٠
 فضل بن ابي الهيجا ٨٧
 فلك بن فلك Fulk V ٦٥، ٨١
 ١٣٢، ١٩٥
 فليب، Philip الفارس ٤٢
 الفسند الزماني ٥٠
 الفيدلاوي، الفقيه ٩٥
 فنون، جارية ١٢٥
 بنو فُهيد ٢٧، ٢٨
 ابو الفوارس مُرُحف بن أسامة أنظر
 مُرُحف بن أسامة
 قاضي القضاة الشاميّ الحمويّ ١٧١
 القاهرة ٧، ٨، ١٨، ١٩، ٢٢، ٣٢
 القدس أنظر الست المقدّس

فهرس الكتاب

٢٣٧

- القدموس ١١١
القرآن ٢٠، ٢٤، ٣٧، ٥٣، ٥٦، ١٩١،
١٩٨، ٢٠٠، ٢١٤
بنو قَراجا ٤٦
فرا حصار ١٩٦
القسطنطينية ١٩٨، ١٩٣
قطب الدين حُسرو بن تليل ١٥٣
قطر الندى بنت رضوان ٣٠
القطيِّفة ١٥٠
مَفجَاق، الأمير ١٥٧، ١٥٩
قلادة الحمويَّة ٢١٢
قلعة با شمرا (با سهراب) ٦٠
قلعة جعبر ٨٩، ٩٠، ١٣٠، ٢٢٤، ٢٢٥
قَسْرين ١
قُسْنَب بن مالك ١١٥
قيس بن العظيم ٤٩
قيماز، صاحب الباب ٣٢
كامل المنطوب ٦٦، ٩٦، ٩٧
كتاب الايضاح ٢٠٨
كتاب الجُمَل ٢٠٨
كتاب الخصائص ٢٠٨
كتاب سيبويه ٢٠٨
كتاب اللُّمع ٢٠٨
كتاب النوم والاحلام ١٨٦
الكَرخيني ١٥٩
ابن كردوس ٩٣
بنو كردوس ٩٢
كردي ١٤٩
الكعبة ١٧٨
كفرطاب ٤٥، ٥٢، ٥٨، ٧٣، ٧٥ -
٧٧، ٨٤، ٩٧، ١١٥، ١٢٨، ١٤٤
١٥١، ١٥٢، ١٨٢
كَمَرَسُوذا ٨٤
كليام William حيا ٨١، ٨٢
كليام دبور William of Bures
١٣٧
كمال الدين عليّ بن بيسان ٨٣
بنو كنانة ٨٤، ١٤٦، ١٤٧
كُندُغدي، أمير ٧٣
الكهف ١٥
الكوفة ١٧١
كوم أشفين ٢٥
كوهستان ١٥٨
كَيُّون ٣٥
اللاذقية ٩٦، ١٠٨
لاون، ارمني ٢٠١
لكرون، أمير ٧
لَوَاتة ٨، ٢٤، ٣٢
لؤلؤ الخادم ٧٦
لؤلؤ، مملوك ١٤٢، ١٤٣، ٢١٣ - ٢١٥
لؤلؤة، جارية ١٨٦
لبث الدولة يحيى بن مالك بن حميد ٣٨،
٣٩، ٤٣، ١٢١، ١٢٤
ماسر ١٥٨
مالك بن الحارث الانسر ٣٧، ٣٨
مالك بن عَبَّاس ١٨٢
منكبر (منكين؟) ٤٥، ١١٥
بن مجاجو، ابو المجد ١٠٥
بن مُجاهد، ابو بكر ١٧٥، ١٧٦
مجد الدين ابوسلامة أنظر مرشد بن عليّ،
والد أسامة
مجد الدين ابو سليمان داود بن محمّد
ابن الحسن بن خالد الخالدي ١٧٤

- محاسن بن مجاجو ١٠٥
 بنو محرز ١١١
 محمد السُّنِّي ١٧١
 محمد البصري، ابو عبدالله ١٧٠
 محمد بن سرايا ٩٠
 محمد بن عبد الباقي بن محمد الانصاري
 القُرْضِيّ، ابو بكر قاضي المارستان ١٧٨،
 ١٧٩
 محمد بن عليّ بن محمد بن مامة ١٧٧
 محمد بن قانك المقرئ، ابو عبدالله ١٧٥،
 ١٧٦
 محمد بن محمد بن ظفر، ابو هاشم ١١٢
 محمد بن مسعر ١٧٢
 محمد بن يوسف المعروف بابن المنيرة،
 ابو عبدالله ٨٥
 محمد السَّمَّاع ١٧١
 محمد شاه بن ملكشاه سلطان اصبهان
 ٩٠، ٧٣
 محمد العجمي ١٤٥
 محمد، النبيّ ٤٩، ٩٤، ١٦٦، ١٧٤ -
 ١٧٦، ١٨٧، ٢٢٦
 محمود بن بلداجي ٦٢
 محمود بن جمعة الشَّيرِي ٥٧، ٦١، ٦٢
 محمود بن صالح ٩٢
 محمود بن قراجا أنظر شهاب الدين
 محمود بن قراجا
 محمود المسترشدي ٤
 المدينة أنظر شيزر
 مُرتفع بن فحل ٢٠
 مرج أظامية ٥٨
 ابن المَرَجِيّ (المَرَحِيّ) ٧٨
 مرشد بن عليّ، والد أسامة ٥١، ٥٣،
 ١٨٦، ١٩١، ١٩٨ - ٢٠٠، ٢٠٢
- ٢١١، ٢١٣ - ٢٢٠، ٢٢٢،
 ٢٢٤
 مرهف بن أسامة أنظر عضد الدين مرهف
 ابن أسامة بن منقذ
 ابن مروان، صاحب ديار بكر ٨٧
 مريم [العدراء] ١٣٥
 مزيد، جنداري ١٥٦
 المستظهر، خليفة ١٧٣
 مسجد ابي المجد بن سُمَيْة ٩٢
 المسجد الأقصى ١٣٤
 مسجد الخضز ١٧١
 مسجد صندُوديا (مسجد عليّ بن ابي
 طالب) ١٧٣، ١٧٤
 مسعود، ملك قونية ٣٥
 المسلمون ١، ١٦، ١٨، ٢١، ٢٢، ٣٤ -
 ٣٦، ٨٢، ٨٦، ٩٥، ١١٢، ١١٤،
 ١١٥، ١٢٦، ١٢٨، ١٣٤، ١٣٦،
 ١٣٨
 المسيح ١٣٥
 ا و مَسِيكَة الايادي ٣٧، ٣٨
 المصحف أنظر القرآن
 مصر ٤، ٦، ٨، ١٨، ٢٢، ٢٣، ٢٩ -
 ٣٢، ٣٤، ٨٠، ٩٣، ١٢٨، ١٧٨،
 ١٩٠، ١٩٣، ٢٠١، ٢٠٧
 المصربثون ٨، ١٠، ٢١، ٢٤، ٢٥
 مصيات [مصياد] ١٤٨، ١٤٩
 المصيبة ٢٠١
 مضر ٢٨
 مظفر بن عباس ١٨٢
 المُعَبَّد ١٠٧
 معرفة النعمان (المعرفة) ١٣٦، ١٧٢،
 ٢٠٩
 مَعْرَزَف ١١٠

- معركة الدولة ابن بويه ١٧٣
 معس الدس أنتر ٤، ٥، ٣٠، ٤٤، ٨٢،
 ١٠٧، ١٣٥، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٠،
 ١٥٢، ١٥٣، ١٩٥
- المغاربة ٨١
 المغرب ٧٠، ١١٢، ١٧٩
 مقبل، القائد ٢٩، ٣٠
 المقتفي بامر الله ١٧٣، ١٧٤
 مقلد بن نصر بن منقذ، ابو المتوج ١٨٤
 مكّة ٣٤، ١٥٩، ١٧٨، ١٨٠
 ابن ملاعب أنظر سيف الدولة حلف
 ابن ملاعب الاشهي
 ملك الألمان Conrad III ٩٤
 ملكشاه، السلطان معز ٤٩، ٨٧، ١٧٤،
 ١٧٥، ٢١١، ٢١٢
 الملك الصالح أنظر طلائع ابن رزّيك
 الملك العادل سيف الدين أنظر سيف
 الدين ابو الحسن عليّ بن السلار
 الملك العادل نور الدين أنظر نور
 الدين بن زنكي
 المندة ١٠٨
 منصور بن غدقل ٢٧، ٢٨
 ابن المنيرة أنظر محمد بن يوسف
 المعروف بابن المنيرة، ابو عبدالله
 المنيطرة ١٣٢
 المؤتمن بن أبي رِمادة ٢٣
 المؤيد الشاعر البغدادي ٧١
 مودود، إسباسلار ٦٨، ٦٩
 الموصل ٢، ٧١، ٧٣، ١٥٨، ١٧٣،
 ١٩١
 مؤتق الدولة شعون ٥٣، ٥٤
 المؤنلج ٢٧، ٢٩
 ميكائيل الكردي ١٢٢
- مسون Bohemond I ٦٥
 ابن ميمون Bohemond II ٦٤، ١٢١،
 ١٢٢
 مياح، كردي ٤٨
 نابلس ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩
 ناصر الدولة كامل بن مقلد ٩١
 ناصر الدولة ياقوت ١٥
 ناصر الدين نصر بن عباس أنظر نصر
 ابن عباس
 نجم الدولة ابو عبدالله محمد ٢٧
 نجم الدولة مالك بن سالم ٨٩، ٩٠
 نجم الدين ابو طالب بن عليّ كرد ١٩٧
 نجم الدين إيلغازي بن أرتق ٤٠، ٤١،
 ٩٠، ١١٩، ١٢٠
 نجم الدين بن مصال ٧، ٨
 ندى [بديّ؟] بن تليل القشيري ٤٢،
 ٤٣
 ندى [بديّ؟] الصليحي ١٢٨
 نصارى ١٥٨، ١٥٩
 نصر، ابن بركة ١٢٣
 نصر بن عباس ١٨ - ٢٣، ٢٦ - ٢٩،
 ٩٣
 نصيبين ١٩٢
 نصير الدين سنقر ١٥٧
 نصرة بنت بوزرماط ١٢٩
 نقولا، ملوك ٢١٧
 بنو عمير ٩٩
 نعيم العالروزي ٧٧
 نور الدولة بلك بن بهرام ١٢٠
 نور الدين محمود بن زنكي، ابو المظفر
 الملك العادل ١٠، ١٤، ١٥، ٢٣،
 ٣٤، ٣٥، ١٥٤، ١٩٠، ١٩٦

كتاب الاعتبار

٢٤٠

- النيل ٣٢، ١٩٤
الهرماس ١٩٢
مثنى الحاج ١١٦
ابو الهيجاء ٨٧
وادي ابن الاحمر ١٩٩
وادي ابو الميمون Bohemond ٤٠
وادي حلبون ١٥٣
وادي موسى
ابو الوفاء تميم ١٨٥
ياروق، خادم ٨٣
ياقوت الطويل ٥١
يانيس الناسخ ٢٠٧
يبنى ١٧
اليحشور ٢٠٧ - ٢٠٥، ٢١٠
يحيى بن ماضي الأعر ٦٧
يعقوب المَجْبَر ١١٤
يسالغ ١٩٩
يهود ١٥٨، ١٥٩
يوحنا بن بطلان ١٨٣ - ١٨٥
يوسف، ابن الحافظ ٢١
يوسف بن ابي الغريب ١١٣
يوسف، ركابي ١٤٤
يوسف، غلام ٢١٢
يوم الحديقة ٤٩
يونان، مكارم ٧٩، ٨٠

to Professor Harold H. Bender, chairman of the Department of Oriental Languages and Literatures, to Mr James T Gerould, librarian of Princeton University, and to the Mergenthaler Linotype Company, who together have made possible the production of such a book.

EDITOR'S NOTE

USĀMAH (A.D. 1095-1188) was a warrior, a hunter, a gentleman, and a poet, who sojourned in the courts of Nūr-al-Dīn and Salādin in Damascus, of the Fātimate caliph in Cairo, and of Zanki in Mosul, and who had personal contacts with Baldwin, Bohemond, Roger, Fulk, and other leaders of the first two Crusades. Aleppo, Jerusalem, and Mecca were likewise scenes of his varied activities. When not engaged in repelling Frankish, Byzantine, or Ismā'īliyah attacks against his picturesque castle, Shayzar, on the Orontes, he was battling against Crusaders or other adversaries elsewhere, hunting lions, hawking, or writing poetry.

At the ripe age of ninety, Usāmah wrote—rather dictated—his reminiscences entitled *Kitāb al-I'tibār*, one of thirteen books which he composed. In this work he gives us a first-hand description of many of the events of which he was an eyewitness. One section he devotes to rare anecdotes, another to falconry, and a third to his impressions of the character of the Franks and their methods of medication and judicial procedure. In their simplicity of narrative, dignity and wealth of contents, and in their general human interest, these *Memoirs* stand unexcelled in Arabic literature.

Through the kind offices of the United States embassy at Madrid, a photostatic reproduction was made of the unique manuscript of *Kitāb al-I'tibār*, now preserved in the Escorial Library: and this has elsewhere been rendered into English by the writer and issued under the title *An Arab-Syrian Gentleman and Warrior in the Period of the Crusades* (Columbia University Press, 1929). The calligraphy belongs to that of Syria in the thirteenth century and is lacking in diacritical marks and vowel signs.

In the present work the editor has collated the material with contemporaneous sources as well as modern works, especially those of Hartwig Derenbourg, has suggested a number of emendations, and added philological, geographical, and historical notes.

This being the first Arabic book to be printed in a university press in America, due acknowledgment should be made

To
JOSEPH T. MACKEY, ESQ.

PRINTED AT THE PRINCETON UNIVERSITY PRESS
PRINCETON, NEW JERSEY, U.S.A.

PRINCETON ORIENTAL TEXTS ∞ VOLUME I

USĀMAH'S MEMOIRS

ENTITLED

KITĀB AL-I'TIBĀR

BY

USĀMAH IBN-MUNQIDH

ARABIC TEXT EDITED FROM THE UNIQUE MANUSCRIPT
IN THE ESCURIAL LIBRARY, SPAIN

BY

PHILIP K. HITTI

*Associate Professor of Semitic Literature
Princeton University*

PRINCETON

PRINCETON UNIVERSITY PRESS

1930

*LONDON: HUMPHREY MILFORD
OXFORD UNIVERSITY PRESS*

USAMAH'S MEMOIRS

ENTITLED

KITĀB AL-I'TIBAR

